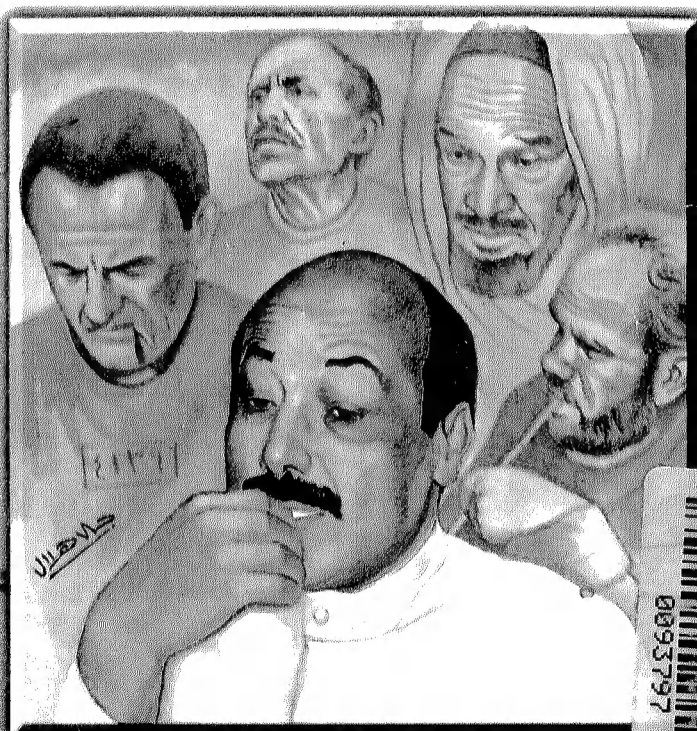


كتاب اليوم

معالم يافقلم



محمود السعدني



دار
أخبار اليوم

قطاع الثقافة

كتاب
اليوم
يصدر
أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :
إبراهيم سعدة
رئيس التحرير :
نبيل أباطة

□ عدد أغسطس ١٩٩٧ □

الطبعة الثانية

أسعار كتاب اليوم في الخارج

الجمهورية العظمى	دينار
المغرب	درهما
ليبيا	ليرة
الأردن	قلس
العراق	قلس
السعودية	دينار
السعودية	ريال
السودان	قرش
تونس	دينار
الجزائر	سنتا
سوريا	ل.س
الحبشة	سنت
البحرين	دينار
سلطنة عمان	ريال
غزة	دولار
ج. اليمن	ريال
الصومال، نيجيريا	بنى
السنگال	فرنكا
الإمارات	درام
قطر	ريالات
انجلترا	جك
فرنسا	فرنك
المانيا	مارك
إيطاليا	ليرة
هولندا	فلورين
باكستان	ليرة
سويسرا	فرنك
اليونان	دراخمة
النمسا	شلين
الدنمارك	كرون
السويد	كرون
الهند	روبية
كندا - أمريكا	سنت
البرازيل	كروزيرو
نيويورك - واشنطن	سنتا
لوس أنجلوس	سنت
استراليا	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٤٨ جنيها مصريا

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى ٢٥ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٣٠ دولارا

أوربا وأمريكا ٣٥ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان وأستراليا

٤٥ دولارا أمريكا أو ما يعادلها

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت: ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

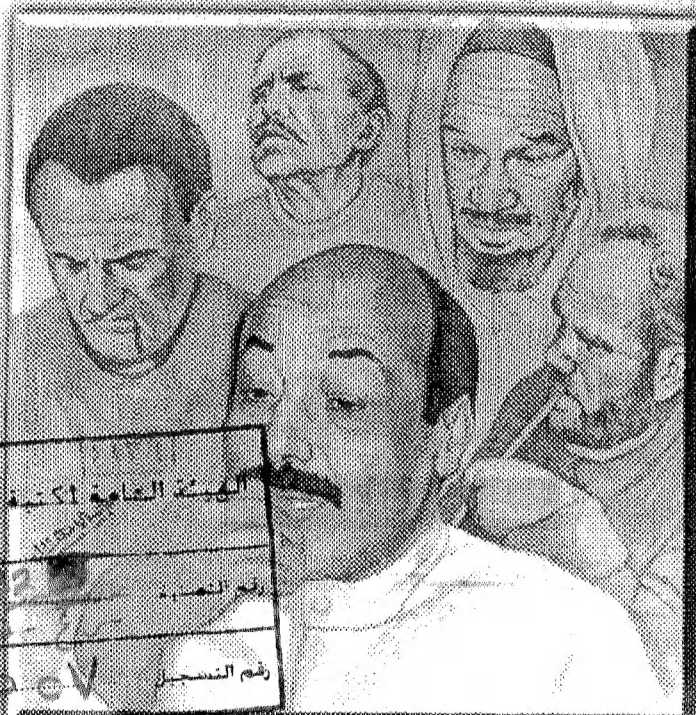
● فاكس ٥٧٨٢٥٤٠٠

● تليكس دولى: ٣٠٣٢١٠

● تليكس محلى ٢٨٢٠

كتاب النور

تعام يا فتيم



الهيئة العامة لكتبة الاسكندرية
رقم التسجيل ٥٧٥٠٥٧
رقم التمسك ٥٧٥٠٥٧

محمود السعدني



تصميم الغلاف والإخراج الفنى :

مجدى حجازى



تمام يا فندم

المقدمة

تمام .. مليون تمام !

التمام هو أهم شيء في السجن ، أهم من
النزلاء ومن الإدارة نفسها .. يالها من لحظة
متوترة ومشحونة بالقلق .. لحظة وقوف
شاويش العنبر أمام حضرة الصول ، ويضرب
كعبه بالأرض ويصرخ كعنتر بن شداد .. تمام
يا فندم ، ثم تتوالى اللحظات .. الصول أمام
ضابط العنبر ، وضابط العنبر أمام البية الوكيل،
والبيه الوكيل أمام البية المأمور ، والبيه
المأمور أمام البية المدير .. والكل يصرخ
واحد وراء الآخر.. تمام يا فندم !



□ المقدمة □

وتمام يا فندم تعنى أن كل شىء على ما يرام ، الجدران لم يصيبها الانهيار ، والسقوف ليس بها شقوق ، والأبواب فى أحسن حال ، والأسوار متينة وعال العال ، وعدد المساجين لم يطرأ عليه أى تغيير .. أقول عدد المساجين وليس حال المساجين ، لأن حال المساجين لا يهم أحدا على الإطلاق .. مسجون جوعان ، مسجون مرضان ، مسجون عريان ، هذه كلها أشياء تافهة وليس لها قيمة فى عملية التمام .. وبعد وصول التمام إلى البيه المدير ، تضاء الأنوار ، وتبدأ ضجة النزلاء تتردد داخل العنابر المغلقة بالضبة والمفتاح .

هنا تبدأ صرخات الحراس المرابطين فوق الأسوار تتصاعد فى الجو .. واحد تمام واثنين تمام وثلاثة تمام وأربعة تمام تصل أحيانا إلى عشرين تمام فى السجون المتوسطة وتصل إلى أربعين تمام فى السجون الكبيرة . ولكن .. وبالرغم من كل هذه التمامات إلا أن الواقع يقول إن كل شىء داخل السجن لا علاقة له بالتمام.. فليس فى العالم كله فساد كالفساد الموجود فى السجن .. أغلب الحراس بلا ضمير ، والسجن بالنسبة لهم هو مكان للتربح ، والنزلاء آخر غلب وآخر ضياع . والسجن نفسه

□ المقدمة □

ليس مؤسسة عقابية في الحقيقة ، ولكنه هيئة عامة لارتكاب أخطر أنواع الجريمة وأحقر ألوان التعذيب .. ولكن لا شيء يهم - على رأى إحسان عبدالقدوس - فواحد تمام واثنين تمام ، وكله في النهاية تمام يافندم .. آخر تمام .

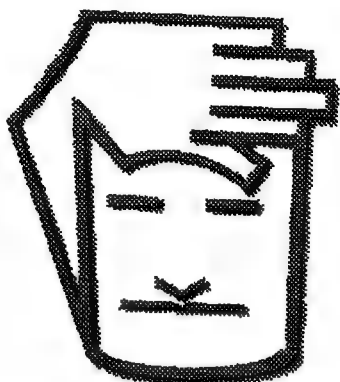
وسياسة تمام يافندم ليست قاصرة على السجن فقط ، ولكنها سياسة عامة في كل المجالات .. أى مسئول كبير يسأل عن الأحوال سيأتيه الجواب على الفور .. تمام يا فندم !

ولعل سر كثرة التوجيهات التى تصدر من أكبر رأس فى البلاد إلى الوزراء والتنفيذيين هى سياسة تمام يافندم .. يسأل الرئيس كل مسئول فى مجاله فيكون الجواب تمام يا فندم ، بينما التقارير التى أمامه تقول عكس ذلك . ولن تنهض مصر النهضة المطلوبة إلا إذا تم القضاء على سياسة تمام يافندم .. لأن تمام يافندم لا تعنى أن الناطق بها كذاب فحسب ، ولكنها تعنى شيئاً آخر أخطر ، وهو أن صاحب العبارة لن يتحرك من أجل التحسين أو التغيير أو التطوير، ولماذا التطوير والتغيير مادام كل شيء .. تمام يافندم ؟

□ المقدمة □

والآن أترككم لتقرأوا الكتاب نفسه ، وستجدون في صفحاته كل شيء .. تمام يافندم ، فأنا أيضا كذاب وراضى بما هو كائن ، ولا أرغب في المزيد ، ومحسوبكم من أنصار حزب تمام يافندم .. كل شيء تمام وعلى ما يرام .. والحمد لله على الخيبة والتمام !

محمود السعدني



تتلمذ يا خلدني

البيـه المأمور!

●● أدهشني هذا المنظر الذي لم أكن أتوقع رؤيته في هذا المكان الكتيب ، عندما اجتازت الباب الضيق المرفوع أعلاه بإفطة مكتوبة بخط جميل (المدرسة) فوجئت بحوش يمثل مساحة لا بأس بها ، وفي ركن منعزل من الحوش يجلس بعض المساجين ، بعضهم على دكة وبعضهم على كراسي قش ، والجميع يرتدون بدل (متأيفة) ومعهم شيخان معمران ، والجميع منهمكون في مص القصب ، قصب داخل السجن!!؟ يا للهول .. على رأي يوسف بك وهبي ! واكتشفت أن هؤلاء هم هيئة تدريس المدرسة ، أربعة مدرسين مساجين ، أحدهم يتهمه الرشوة ، والثاني تحرير شيكات بدون رصيد ، والثالث ضرب أفضى إلى موت ، والرابع ضرب أفضى إلى عاهة مستديمة . والفريب أن هذا الأخير كان يرتدي زي المشايخ قبل سجنه ، وكان يعمل في أرشيف إحدى المصالح نهارا ويعترف تلاوة القرآن الكريم في منتهى الفقراء ليلا ، أما الشيخان المعمران فهما موظفان من مصلحة السجن أحدهما يتولى منصب ناظر مدرسة السجن ويقوم بالتدريس في نفس الوقت ، أما الآخر فهو مدرس فقط ويطمع في أن يصبح ناظرا في يوم من الأيام ●●





● إليه الأمور ●

وعلى مدى أسابيع طويلة حرصت على حضور هذه الجلسة تحت شمس القناطر الدافئة ، وأصبحت جزءاً من طاقم المدرسة ، أشارك معهم في مص القصب وأساهم معهم في ثمنه ، وتصورت أن المدرسة في إجازة طويلة للتحسينات ، ولكنى فوجئت ذات صباح بأن الهيئة كلها مشغولة بإعداد مواد الامتحان ، وعلمت أن الامتحان سيجرى في أسبوع بالتمام والكمال ، طيب .. أين التلاميذ ؟ أجبني الأستاذ حمد الله بأن التلاميذ موجودون في العنابر .

— يعني همة في إجازة دلوقت ؟

— همة في إجازة على طول .

— من أول السنة ؟

— من أول ما فتحت المدرسة .

— آمال هيتمحنوا إزاي ؟

— ما حدش بيتمحن في حاجة ، احنا اللي بنكتب الأسئلة واحنا برضه اللي بنجاوب ، واحنا اللي بنصحح والنجاح عندنا مية في المية كل سنة والمشايخ الاثنين بياخدوا حوافز .

— غريبة ، ومفيش أى نوع من التفتيش ؟

— فيه تفتيش مرة كل شهر ، بيجي الشيخ عبد الله من المصلحة يقعد معانا يمص قصب ، وياخدوا شيخ من الاثنين دول على البيت ويكون دابح له دكر بظ مزغط م الى قلبك يحبه ، وهو

□ اليه الأمور □

راجع مصر المغربية بياخذ معاه شروة سمك حلوة وعلبة سجائر
عشرين وخمسة جنيه يشترك فيها المشايخ الاثنين الغلبة دول .

— مفيش حد م السجن بيفتش ؟

— ويفتش ليه يا عم ، المدير يهमे ما يحصلش دوشة والنتيجة
تكون مية في المية وخلاص !

الأستاذ حمد الله المرتشي والذي صدر ضده الحكم بثلاث
سنوات سجن ، كان شديد الثورة على الفساد الذي ينهش في جسم
مصر ، ذات صباح ونحن جلوس على الدكة نمص القصب كالعادة ،
قال بحماس شديد :

— مش المدرسة بتاع السجن بس الي ماشية كده ، يا أستاذ
دى البلد كلها ، المهم النتيجة الرسمية الي هتعرض على المدير
يبص فيها وينشكح لاحد بيشغل ولا حد بيتعلم ، والمهم النتيجة
مية في المية .

وصمت الأستاذ حمد الله وأنهمك في مص القصب بعض الوقت
ثم نظر نحوى نظرة طويلة قبل أن يقول : يعنى أنا عملت إيه ؟
خدت ألف جنيه من المحل ده وخمسميت جنيه من الدكان ده ،
وفيها إيه دى ؟ بدمتك دى رشوة ؟ دى حسنة . الدور والباقي على
الي بياخدوه الوحوش الثانية بتوع المصلحة وبتوع الوزارة ، لكن
تقول إيه بقى ، ما يجوش إلا ع الغلبة الي زينا .

عاد الأستاذ حمد الله إلى مص القصب ، وسرح بعيدا عن المكان
والزمان ، ثم عاد منها إلى جلستنا وقال لى بحماس :

— المهم أنت عملت كام ؟

— عملت كام في إيه ؟

— يعنى هبرت هبرة نضيقة ؟

— أهر منين ؟

□ اليه الأمور □

— منين ازاي ؟ م الحكومة ، ما أنت ممسوك مع الحكومة وكنت بتشتغل مع الحكومة .

— وهو اللي بيشتغل مع الحكومة لازم يسرق ؟

— امال هو بيشتغل ليه ؟

ضحك الأستاذ حمد الله ضحكة عريضة قبل أن يقول :

تصدق بالله ، أنا عمرى ما شفت حد بيشتغل لوجه الله ، كله بيهبر ، بس الخايب اللي زى محسوبك هو اللي بيع ، وبصراحة بقى مافيش حد غريب معانا ، قوللى إنت عملت قد إيه ؟ .. مليون ؟ كان شديد الثقة بأن العبد لله الجالس أمامه هبر هبرة كبيرة ، وكيف لا ؟ وأنا لا ينقصنى الذكاء ولا الحيلة وأعمل مع الحكومة فى نفس الوقت .. وعندما امتنعت عن الإجابة عاد يسأل :

— نص مليون كده ؟ إذا قلت لا هزعل منك قوى ، مش معقول واحد زيك يهبر أقل من كده .

ولم أجد مبررا لمناقشته ، فغمزت له بعينى غمزة ذات معنى ، وقلت له :

— يعنى .. الحمد لله

صاح متهللا : -

— أيوه كده .. خلاص فرحتنى

ثم ضربنى بيده على كتفى وقال :

— لو قتلتى لأ ، كنت زعلت منك قوى ، مش معقول واحد زيك حدق وعينه مفتوحة ويطلع م المولد بلا حمص ، دا مولد يا عم وصاحبه غايب ، دنا أعرف ناس أقل منك بكتير وعملوا ملايين ، دا احنا عندنا واحد م المصلحة معفن ، - واللى خلقك أنت - عاوز له مصلحة بحالها عشان تعد الفلوس الى معا .

وتركنى حمد الله وانصرف ، وتوطدت الصلة بينى وبينه بعد

□ البية الأمور □

ذلك ، كان ذكيا وخفيف الدم وخفيف الحركة وخفيف العقل ، وكان مذعورا على نحو ما يتوقع الشر في كل لحظة ، ويتوجس خيفة من كل الناس ، ولم يكن يشغله داخل السجن إلا الوجبة القادمة ، وكان يعمل المستحيل من أجل مائدة تليق بكرشه الذى يشبه كرش امرأة حامل في توأم .. وذات يوم عزمنى على أكلة لا تعوض على حسب تعبيره ، أكلة لحمه رأس وكرشه ومبار وطرشى بلدى . وقبل العزومة اكتشفت أنه تلقى زيارة منزلية في ذلك اليوم عبارة عن طشت غسيل من بتوع زمان ممتلئ بكل هذه الألوان من الطعام .. وعندما انتهيت من غدائي ، قال محتجا :

لا .. دا مش أكلك .. أمال بتكتب وتقول إنك بتاكل زى الغول !

قلت له معلقا :

— دا كلام !

قال في حسرة :

لا .. أنت مش عاجبنى ، انس السجن يا راجل وعيش حياتك الشوية الى انت قاعدهم .

واستأذنت وخرجت إلى الفناء ، وبعد نصف ساعة لحق بى هناك ومعه الطشت خاليا ، واستأذن منى دقائق لغسيله ، وعلشان ما يلمش الطير علينا ! وبعد عدة أسابيع كان قد اطمأن إلى صحبتى، فراح يحكى لى عن حياته التى بدأت بالغم ، وانتهت بالغم .. وبالرغم من ذلك فهو سعيد ، لأنه استطاع أن يخرج من المولد بشيء من الحمص .. صحيح أنه ليس الحمص الذى كان يريده ، ولكن شيء خير من لا شيء ! وعلى مدى أيام طويلة راح يحكى لى قصة حياته الرهيبة ، عائلة فقيرة وبيت مزدحم بالأطفال . وحاضر مظلّم ومستقبل أكثر إظلاما ، ولكن ربك كبير وفرجه قريب . ومشيت وبقت عال العال لولا ولاد الحرام الله يخرب

□ البيه الأمور □

بيوتهم الدنيا بقت حلوة والخير بقى كثير والعيال انبسطت وكل شىء بقى عال . هُب كل شىء راح فى لحظة ، قال إيه سجلوا لنا بالصوت والصورة والتهمة رشوة ، رشوة إيه يا أولاد الهرمة ، ماتمسكوا الى بيهبروا بالملايين ما بيتشطروش الا ع الغلابة وهى ألف جنيه واللا ألفين تبقى رشوة ؟! دى تبقى حلاوة ، تبقى إكرامية ، تبقى أى كلام والسلام ، حاجة كده تمشى المركب . المهم عكمونا وهزأونا وهات يا سين وجيم ، وبعدين افرجوا عنى بكفالة ، وبعدين طخونا ٣ سنين ، وأنا طلعت هندی ، لو هربت وسلمت نفسى فى شهر يناير كنت خدت ١٨ شهر ، لكن أنا سلمت نفسى على طول ، هاخد ٢٧ شهر .. مش مشكلة ، وكل الى عملته ٨٠ ألف جنيه عمى ، لكن زى بعضه . المهم اخرج من هنا بس ، وكل شىء هيبقى عال العال ع العموم أنا لسه صغير وبكره اعمل الى انا عاوزه . كان يحكى لى بين الحين والآخر جزءاً من قصة حياته ..

وفى ذات صباح دخلت السجن فرقة مسرحية مشهورة ، ونصبوا المسرح فى حوش السجن الضيق وتركوا الذين اعتذروا فى الحوش الكبير ، وكان العبد لله والأستاذ حمد الله فى الحوش الكبير ، وكانت فرصة للأستاذ حمد الله ليحكى لى قصة حياته بالتفاصيل . — تصدق بالله يا أستاذ ، أنا عاوز احكيك عشان أنت صحفى ويمكن تكتب قصتى دى فى يوم من الأيام ، أنا لو اغتنيت فى يوم من الأيام هاعملها فى السينما .

— والله فكرة يا أستاذ حمد الله

— إلا تتكلف كام عملية زى كده ؟

— مش مهم التكاليف ، أنت ممكن تاخذ فلوس كمان .

— بدمتك ، يا سلام ، يعنى اخذ كام ؟

— حسب الظروف ، على كل حال اكتب أنت القصة والباقي على

الله .

□ البية المأمور □

— أنا مش هكتب حاجة ، أنت اللي هتكتب .
— ماشى يا أستاذ حمد الله ، بس احكى على مهلك كده ، واللى فيه الخير ربنا هيعمله .

وانطلق حمد الله كالمدفع الرشاش يحكى بلا انقطاع .
يا قوة الله ، أخيرا جاء فرج الله ونال حمد الله بكالوريوس التجارة منذ ثلاثين عاما وهو يحلم بهذا اليوم ، وهو لم يدخل كلية التجارة قسرا ولا عن طريق مكتب التنسيق ، ولكنه هو الذى اختار الكلية وعينه على مصلحة الضرائب ، أعظم ناس فى العالم هم مأمورو الضرائب ، سلطاتهم لا تقاومها أى سلطة فى العالم ، فى امكان المأمور الجذع المفتوح العين أن يصبح فى زمن وجيز سلطان العالم ، إنه يتقاضى عدة ألوف من الجنيهاات مقابل إغماض العين عن عشرات الألوف من حق الدولة .. وما يأخذه مأمور الضرائب ليس رشوة إنها عملية توزيع للثروة بشكل عادل !
ثم ما هى مهمة الدولة على وجه التحديد ؟ أليست هى تحقيق السعادة والطمأنينة للمواطنين ؟ طيب .. إذا كان فى وسع بعض المواطنين تحقيق السعادة لأنفسهم بالحلول الذاتية ، فما المانع ؟ يا لها من أحلام جميلة لو تحققت يا حمد الله لقد تقدم بطلب إلى مصلحة الضرائب ليصبح مأمورا يشار إليه بالبوأكى والأساتك !
ولكن هل يتحقق الحلم ؟ لو تحقق حلمك يا ابن الشربينى لوضع حدا لعملية التعذيب التى استمرت منذ سقطت راسك فى حارة من حارات شبرا الضيقة وحتى يوم جاء الفرج ونال بكالوريوس التجارة ، ويا ضيعة سنوات الشقاء ، وما أرخص البكالوريوس لو رفضت المصلحة طلبه .. وما جدوى اشتغاله موظف بالأرشفة أو حتى محاسبا فى مكتب محاسبة ؟ ليست هذه أهدافه على كل حال .. لابد من منصب المأمور والهيمنة على مساحة فى العاصمة

□ البية المأمور □

تفوق مساحة إمارة من إمارات الخليج .. يا له من انقلاب رهيب في حياته .. حمد الله ستقلب حياته رأسا على عقب ولا الزلزال الذي ضرب سان فرانسيسكو وجعل سافلها عاليها . وداعا لأيام الفقر الحيسى والغم الأزلى والجوع الذى يفرى البطون .. كان حمد الله واحدا من بين تسعة أطفال للحاج حسن الشربيني عامل الدريسة بالسكة الحديد .. ولا يذكر حمد الله شيئا عن أيامه الأولى ، عندما كانت العائلة كلها تتكدس في حجرة بائسة على شريط السكة الحديد.

ولكن حتى هذه الحجرة لم يستطع الحاج الشربيني الاحتفاظ بها طويلا .. فقد أكل القطار مشط رجله ، فأعطوه بعض الجنيئات تعويضا وعدة جنيئات أخرى مكافأة وسرحوه بمعروف ، وداخ عمك الشربيني حتى عثر على حجرة في حارة من حارات شبرا .. واشتغل بعد ذلك في عدة مهن ، مناد سيارات ، مناد يبحث عن الأطفال الذين تاهوا في المدينة ومسحراتى في شهر رمضان ، وهكذا اشتهر الشربيني فى الحى الذى يسكنه ، وأنعم عليه أهل الحى بلقب الحاج ، مع أنه لم يغادر القاهرة منذ جاء إليها من كفر أبو محمود ، وبالرغم من العيشة الضنك والقرش الى بطلوع الروح ، استطاع حمد الله دون إخوته جميعا أن يدخل المدرسة الابتدائية ، وكان يرغب فى دخول المدرسة الثانوية ، ولكن العين بصيرة واليد قصيرة ، واضطر إلى دخول مدرسة التجارة المتوسطة .

كانت المدرسة بعيدة عن شبرا بعدة أميال .. وكان يذهب إليها فى الترام ، ليس فى ترام معين ، ولكن كان يقطع الرحلة فى عشر ترومايات على الأقل . فلم يكن هناك بد من الشعبطة ولكن ليس فى كل مرة تسلم الجرة .. فقد كان يخرج أحيانا من الرحلة بعدة

□ البيه المأمور □

كدمات وعدة جروح ، أحيانا بفعل الكسارية ، وأحيانا بفعل الأرضفة التى يضطر إلى القفز عليها هربا من مطاردات الكسارية الجشعين الذين لا يؤمنون بحرية المواطن فى استخدام المواصلات بدون حاجة إلى دفع المعلوم .. وبالرغم من بشاعة البيت وممرطة المواصلات ، كان على حمد الله أن يبحث لنفسه عن مورد ليتمكن من الحصول على بعض الفلوس ، اشتغل فى محل بقالة ، وفى مكتب محام ، وأعطى دروسا لبعض أولاد الجيران . واضطر فى وقت من الأوقات أن يسرح بأمشاط وفلايات ومحافظ فى ميدان العتبة .

وعندما حصل على دبلوم التجارة ، وجد لنفسه مكانا فى مصلحة حكومية يتقاضى منها ٦ جنيهات شهريا .

وفى الليل يكتب على الآلة الكاتبة فى مكتب محام بستة جنيهات . ودخل بذلك فى عداد الأعيان ولكن هذه الجنيهات لم تكن خالصة له وحده ، كان يعطى نصفها للأُم ويحتفظ لنفسه بالنصف الآخر . ولكنه بالرغم من كل شئ استطاع الحصول على التوجيهية والانتساب لكلية التجارة . ويالها من أيام كثيبة ، عمل من طلعة النهار وحتى منتصف الليل ، والتهام للكتب حتى الفجر . ولكن كل شئ يهون فى سبيل الهدف الأسمى .. بكالوريوس التجارة ومنصب مأمور الضرائب .. كاد حمد الله أن يفقد عقله عندما جاءه خطاب التعيين من مصلحة الضرائب .. واضطر لأول مرة إلى اقتراض مبلغ بالفوائد للحصول على بدلة جديدة قبل أن يذهب إلى المصلحة لاستلام خطاب التعيين .

وذهب حمد الله مبكرا فى البدلة الجديدة واستلم الخطاب ووضعه فى جيبه بعناية وقلبه يكاد يقفز من بين ضلوعه .. فقد أصبح أخيرا مأمورا للضرائب .

ومنذ لحظة خروجه من المصلحة وإلى لحظة وصوله إلى منزله بشبرا على بعد عدة أميال ، سار حمد الله على قدميه متوقفا أمام كل

□ البيه المأمور □

دكان يقدم نفسه لصاحبه .

— أنا حمد الله الشريينى مأمور الضرائب الجديد . فلوس يقبض ، قماش يقطع . عصير قصب يشرب ، لب وفول سودانى مفيش مانع ، خضار وقوطة لا بأس ، لحمه بتلو ولحمة ضانى كله ماشى ، وعندما وصل إلى البيت كان يبدو كأنه عائد من سفر طويل ، أكياس ورق وقراطيس ورق من النوع الفاخر الذى يلفون فيه القماش ، وصناديق أحذية وجوارب شغل المحلة وقمصان إنتاج الشورىجى .

وهكذا تكررت رحلات حمد الله من المصلحة إلى شبرا مرة ومن المصلحة إلى الجيزة مرة ، ومرة من المصلحة إلى باب الشعرية ومرة من المصلحة إلى السكاكينى .. المهم إنه يدخل البيت فى كل مرة محملا بالبضائع ، والمأكولات وأحيانا يخرج من الرحلة وجيوبه محشوة بالنقود .

ولكن ، وبالرغم من الرحلات المتكررة والجهد المرهق ، لم تكن الحصىلة كما كان حمد الله يتمنى ، أغرب شىء فى هذه الحياة أن بعض الناس تطفح الدم وتكسب قليلا ، وبعض الناس تربح مئات الألوف وهم فى راحة ولا راحة أمير تركى فى أجازة .. عندك مثلا وكيل المصلحة يحقق مائة ضعف ما يحققه حمد الله دون أى تعب. تأتية البواكى حتى باب مكتبه فى المصلحة .. ورئيسه المباشر يا ميت حلاوة على النعمة التى هبطت عليه أقام عمارة فى العباسية باسم شقيق زوجته ويملك سيارتين نقل ، وعنده صرة فلوس ولا الصرة التى كان يمنحها هارون الرشيد لرجال حاشيته.. أما حمد الله فيا ميت حسرة عليه ، كل ما خرج به ٨٠ ألف جنيه بعد أن أبلى مائة جوز جزمة فى المشاوير التى قام بها خلال عمله فى المصلحة .. وأغرب شىء أنهم يمنحون من يقطع عدة كيلومترات فى

□ اليه المأمور □

السباق حفنة فلوس وميدالية ذهب ، ولو كان هناك عدل في ميدان الرياضة لمنحوا حمد الله الميداليات والكؤوس .

ولكن الرياضة شأنها شأن كل شيء في الحياة طيبخ في طيبخ.. والناس يا حمد الله فيما يبدو صنفان ، صنف يبيع بالجملة ، وصنف يبيع بالقطاعي ، والجميع تجار .. وقرر حمد الله ذات يوم أن يهجر البيع بالقطاعي ويشغل في الجملة ، اختار شركة صابون محترمة يملكها رجل من أصل شامي ، وهو يعلم أنها تبيع بالهبل وصاحبها أغنى من شيخ فزارة وهجم حمد الله على مكتب صاحب الشركة هجوما خاطفا ولا هجوم روميل في الصحراء . وحدد حمد الله مطالبه بصراحة ووضوح ، ١٢ ألف جنيه في السنة على دفعتين ، ٦ آلاف الآن ، و ٦ آلاف بعد ٦ شهور .

هذا وإلا سيكون مصير الشركة أسود من قرون الخروب .. وحاول الرجل صاحب الشركة زحزحة حمد الله عن موقفه دون جدوى . كان حمد الله قد اتخذ قرارا لا رجعة فيه ، وهو أن يقصر عمله على ١٠ ممولين فقط ، ولو صحت اللعبة سيكون عنده ١٢٠ ألف جنيه سنويا وهو دخل يجعل منه ملكا من ملوك الهند في الزمن القديم .

١٠ آلاف جنيه لأسرته و ١٠ آلاف جنيه لنزواته التي أخذ يمارسها منذ أن عرفت الفلوس طريقها إليه .. والحقيقة أن حمد الله ليس له نزوات سوى شغفه بالبنيات المراهقات في البداية كان يتصور أنها مسألة صعبة ، ولكنه بالتجربة اكتشف أنها مسألة سهلة وبسيطة ولا تكلف إلا حفنة جنيهات ، يخرب بيت الفقير وبيت أهله ، إذا حل بقوم باعوا كل شيء حتى الشرف .. ذات مرة وقعت في طريقه بنت في الإعدادية لا تتعدى الخامسة عشرة ، صغيرة ورقيقة ، ولكنها مدربة وبنت سوق .. واستطاعت البنت

□ اليه المأمور □

اللهوية أن تحرك رجولة حمد الله الذى يقف على أعتاب الشيخوخة، وكانت ترقص فرحا لرؤية الورقة ذات الجنيهات العشرة، ولكنها كشفت عن حقيقتها بعد شهرين بالتمام والكمال، فإذا بها محترفة تخطط لضربة تغنيها عن سؤال اللثيم، ادعت أنها حامل في البداية، ثم جاءت معها بشاب يحمل وجهه القبيح آثار معارك بالمطاوى قرن الغزال، ادعت أنه شقيقها، وبالطبع هدده الشقيق وتوعد حمد الله بأن الشرف الرفيع لا يسلم من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم !

وعاش حمد الله أياما مريرة ورهيبة، ولم يتخلص من هذه الورطة إلا بعد أن انفق ٣ آلاف جنيه، حار ونار في دم البنت المراهقة وشقيقها المزعوم .

المهم .. اذعن صاحب مصنع الصابون لطلب الأستاذ حمد الله، ووافق على كل شروطه كما وافق الألمان على شروط الحلفاء بعد الحرب العالمية الثانية، ودفع الـ ٦ آلاف جنيه صاغرا ووعد بالدفعة الثانية في الميعاد المحدد .. ولم يضيع حمد الله وقته، اشترى بالمبلغ بيتا صغيرا في قليوب ودفع الثمن ورقا أخضر مقرقش، وأعطته هذه البداية ثقة كبيرة في نفسه ف ضرب ضربه الثانية والثالثة، ونجح حمد الله نجاحا ساحقا ولا نجاح روميل في اجتياح خط ماجينو . كان حمد الله يحكى وكأنه يحكى قصة فيلم لا علاقة له بأحداثه من قريب أو بعيد .. وخطر للعبد لله ذات جلسة هادئة في مكتبة السجن أن أسأله سؤالا كان يلح على العبد لله بشدة : لكن أنت عملت كل الحاجات دى كلها ببساطة زى ما بتحكىها دلوقت ؟

سكت حمد الله فترة وعض بأسنانه على شفته العليا وقال :
ببنى وبينك كنت باموت في جلدى م خوف والسجن والفضيحة ،

□ اليه المأمور □

والى أكثر من السجن والفضيحة هم العيال .
أنا ماليش فى الدنيا دى حد غير العيال ، كان نفسى أغتنى
عشان أمتعهم وأعلمهم لحد ما ياخدوا الدكتوراه ، مش عاوز
يحصل لهم الى حصل لى .

— وأنت حصل لك إيه يا عم حمد الله ؟ ما أنت الحمد لله فت
منها .

— أيوه فت منها بعد إيه ؟ تصدق بالله ، أنا مرة ناظر مدرسة
التجارة طردنى من المدرسة وطلب منى أجيب ولى أمرى ، خدت
ولى أمرى ورحت المدرسة ، ساعة الناظر ما شافه شتمه وضربه
بالشلوت قدام التلامذة .

— وأبوك عمل أيه ؟

— نزل ع الأرض وباس جزمته عشان يقبلنى تانى صمت
حمد الله قليلا ولحت فى عينيه لمعة غريبة وشروء لم أعهد فيه من
قبل ، وتوقف عن الكلام ، واستأذن من العبد لله وخرج .

فى ساحة المدرسة ذات صباح قال للعبد لله !

— تعرف كنت مبسوط م المكاسب الى زى الرز والبناات اللى
زى الزغاليل ، ولكن كان كل ما عينى تقع على العيال ينقبض قلبى،
هايعملوا ايه لو اتمسكت أو مت ؟

قاطعته ضاحكا :

— يمكن يتربوا أحسن بعد موتك

— بقى دا اسمه كلام يا أستاذ

— هو الكلام الصح يا أخ حمد الله ، سيدك وسيدى وسيد
الناس كلها محمد بن عبد الله أتربى يتيم .

— زمنه كان حاجة والزمن بتاعنا حاجة تانية .

— طيب ما عمك عبد الناصر من الزمن بتاعنا وكان يتيم راخر

□ البية المأمور □

ثم ضحكت ضحكة خفيفة قبل أن أقول :

— موت أنت بس وما لكش دعوة

وكانت المفاجأة الشديدة عندما انفجر حمد الله في نوبة بكاء عنيفة وتملكته رعشة شديدة فراح جسده كله يهتز كأنه واقف على سطح خشب ابلكاش ، ولم يتوقف عن البكاء إلا بعد فترة طويلة حاولت التخفيف عن حمد الله :

— يا راجل أنا بهزر معاك ، أنت خدت المسائل جد ؟

مسح آثار الدموع من عينيه وقال :

— أنا مستعد أموت نفسى بس اضمن مستقبل عيالى مش عاوز حد منهم يعيش عيشتى المهيبة ، مش عاوز يلمولهم مصاريف المدرسة من التلامذة زى ما حصل معايا .

مش عاوز حد من عيالى يقف فى حوش المدرسة يبص للعيال الى جايين معاهم سندوتشات من بيوتهم زى ما كنت بابص لهم ومصارينى بتقطع م الجوع . وقلت له وأنا على أهبة الانصراف .

— إن شاء الله هتعيش يا أخ حمد الله ويتربوا فى عزك ، نهض حمد الله على الفور وجذب رأسى بشدة وطبع عليها قبلة :

— يا رب ما يحرم عيالك منك ، بس بشرط ، تبقى غنى ومبسوط .. آخر مرة رأيت حمد الله كانت فى صباح يوم جمعة بارد ومطير كان السجن فى إجازة والخروج إلى الحوش ممنوع ، خطفت رجلى من الدور الثانى إلى الدور الأرضى ، كانت زنانة حمد الله مفتوحة ، وكان منهمكا فى لصق صور أبنائه على الجدران الباردة ، صور ياسر وإسماعيل وإبراهيم فوق ، وصور لبنى وجماليات تحت ، وأشار إلى صورة إسماعيل وقال :

لو ربنا أكرمنى هبعت الواد إسماعيل أمريكا يتعلم هناك إن

□ البية المأمور □

شاء الله لما نطلع هتشوفه واد عبقرى بحق وحقيق ، الواد الكبير ياسر ده حمار زى أبوه ، بيحب الأكل وبس أما إبراهيم بقى هيطلع بتاع كورة !

كان وجهه مكتسيا بهالة من النور وهو يحكى عن أبنائه .
وكان سعيدا لدرجة أنه أتى بحركة راقصة وهز وسطه ولا كاريوكا أيام زمان وضحكت من أعماقى وتركته وصعدت إلى زنزانتي ، وواربت الباب وجلست أقرأ فى كتاب ، وبعد ساعة زمان لا غير ، شعرت بحركة غير عادية داخل السجن ، نهضت من مكانى وألقيت نظرة على الطرقة الأرضية ، فإذا بمرضى وبعض المساجين يحملون نقالة والدكتور ميشيل يمشى خلف الجميع وقد برز كرشه الضخم ، بينما هو يزمجر كالضبع الجريح .

— حتى فى يوم الاجازة لازم يتعبوا قلبنا .. ملعون أبوهم .
نزلت الدور الأرضى لأعرف تفاصيل الحكاية .
لقد دخلوا زنزانة حمد الله أفندى وحملوه معهم .. ليس إلى المستشفى ، ولكن إلى مشرحة السجن .. لقد مات حمد الله أفندى بالسكتة .



غادرت سجن القناطر بعد موته بعدة أشهر ، ومضت سنوات طويلة ، عشرون عاما أو أكثر وأثناء زيارة خاطفة إلى الدنمارك ، وفى ليلة وبدعوة من الجالية المصرية فى كوبنهاجن لإلقاء محاضرة وبعد أن انتهت القعدة وخرجت بصحبة السفير ، وأثناء وقوفنا على الرصيف فى انتظار السيارة ، تقدم منى شاب مصرى فى الخامسة والثلاثين من العمر ، وقدم نفسه للعبد لله .

— إبراهيم حمد الله .. دكتوراه فى الكيمياء من جامعة كوبنهاجن .

□ البيه المأمور □

بدا على وجهى أننى لا أعرفه ، فاستطرد قائلا :
 — حضرتك ما تعرفنيش ، بس أنا أعرف سيادتك ، أنا ابن
 المرحوم حمد الله زميلك فى القناطر . هتفت بدون وعى :
 — يا سلام .. أهلا يا بنى .
 وهجمت على الشاب الذى يقف أمامى واحتضنته وقلت :
 — الله يرحم أبوك .. بس أنت عرفتنى إزاي ؟ دا أنت كنت
 صغير لما مات .

قال وهو يبتسم :

— كان عمرى ١٠ سنوات .. بس لما كبرت قرئت الجوابات اللى
 كان بيعيتها لنا من هناك ، ما كانش له سيرة فى الجوابات إلا
 حضرتك
 سألته متلهفا .

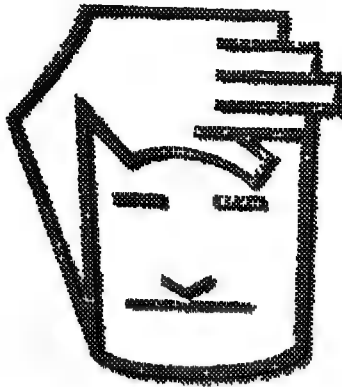
وأخواتك فين ؟

— البنات اتجوزوا ، وياسر بيشتغل محامى ، وإسماعيل
 محاسب ، وأنا هاجرت هنا وأنا عندى عشرين سنة واشتغلت
 ودخلت الجامعة ، وخذت البكالوريوس ، واشتغلت فى الحكومة
 الدنماركية ، وبعدين سبتها واشتغلت فى الأعمال الحرة ، وشاركت
 واحد مصرى مقيم هنا ، وربنا أكرمنا وبنشغل هنا وفى مصر
 وعندنا قرية سياحية فى شرم الشيخ ، وأرض زراعية فى
 الإسماعيلية.

— ووالدتك راحت فين ؟

— توفاه الله ودفناها جنب أبويا .

وصافحت إبراهيم حمد الله مودعا ، وركبت السيارة مع
 السفير وقرأت الفاتحة على روح البيه مأمور الضرائب حمد الله
 أفندى ، صديق ورفيق سجن القناطر .



تتم يا غلام

الدكتور

٢

●● عندما رأيته أول مرة تصورت أنه نشال وسخ من إياهم الذين يمزقون جيوب الفلاحين في ميدان المحطة، لقد كان منظره يوحي بأنه واحد من هؤلاء كما أن معاملة الآخرين له كانت تؤكد أنه كان يمارس في حياته خارج السجن مهنة أوطى من ذلك بكثير، كان (الدكتور) وهذا اسمه، موضع اضطهاد من الجميع لا يصادفه حارس من حراس السجن إلا ويلطشه على وجهه أو يلزقه على قفاه وكان النزلاء يتحرشون به بمناسبة وبدون مناسبة أحيانا يمزقون جلد وجهه بشفرات الخلاقة وأحيانا يكتفون بالسخرية منه وسبه بكل ألوان السباب، ولكن الجميع حراسا ومساجين كانوا حريصين على تلقيه بالدكتور، وكانت دهشتي شديدة عندما اكتشفت أنه دكتور بالفعل وأنه مارس مهنة الطب سنوات طويلة، وبالذات في مستشفى سجن القناطر. صحيح أنه مارس الطب مدة طويلة من الزمان ولكنه لم يدرس الطب في أى مكان، ولم يحصل على أى شهادة طبية من أى مدرسة ولا حتى شهادة ممرض ! ●●





● الدكتور ●

ولكنه حصل على بكالوريوس الطب من جامعة عطوة وهو مزور شهير زور شهادة البكالوريوس وتقدم الدكتور بطلب وظيفة في مصلحة السجون، فرحبوا به على الفور، ولم يختبره أحد، ولكنهم اكتفوا بالنظر في الشهادة ثم أرسلوه إلى مستشفى سجن القناطر ليمارس العمل هناك. وارتاح إليه الدكتور لعمله الجديد.. فقد ضمن لنفسه بيتا مستقلا في حدائق القناطر. ولأنه صايع ووحيد وحريص على عدم الخروج من دائرة السجن. ولأن زميله الدكتور ميشيل كان رجلا مريضا ويقرب من سن المعاش، كان صاحبنا الدكتور يقوم بدور النوبتشي، سواء كان الدور عليه أم على الدكتور ميشيل. وفي السجن يستطيع أى إنسان أن يقوم بدور الطبيب فالمرضى من النزلاء أغلبهم ممرضون، أما في الحالات الحرجة فيمكن تحويل أصحابها إلى المستشفيات الحكومية، وأى طبيب في السجن يستطيع أن يكون صاحب شعبية واسعة داخل السجن لو وافق على طلبات الأجازة التي يسعى إليها المساجين المتعبين.

وكان صاحبنا الدكتور إنسانا بحق. كان يمنح الاجازات للفقراء بدون حساب. ولكنه مع تجار المخدرات والمختلسين كان الأمر يختلف. كان يلبي طلباتهم أيضا ولكن بثمن باهظ. بعض هؤلاء المساجين السوبر يطلبون إدراج أسمائهم في كشف المرضى بداء السكر، وبعضهم يطلب زنزانة انفرادية لكى ينأى بنفسه عن سماجة

□ الدكتور □

ورزالة المساجين. وكان الثمن في هذه الحالات يتراوح بين خمسين ومائة جنيه، أما عندما يطلب المسجون دخول المستشفى عندئذ يرتفع الثمن إلى ٥٠٠ جنيه مقدما و ١٠٠ جنيه عن كل شهر وكان الدكتور واضحا وحاسما أيضا، ولذلك كان الجميع يرتاحون في التعامل معه. خصوصا وزميله ميشيل كان معقدا ومزاجيا، وكان على استعداد لنقض اتفاقه مع المسجون في أى وقت. وجرت الفلوس في يد الدكتور فاشترى سيارة، وقضى إجازته مرة في قبرص. واستطاع أن يكون موضع ثقة مدير السجن والمأمور والضباط أيضا، وكان يتردد عليهم أحيانا في مقار إقاماتهم، ويقوم بتوقيع الكشف الطبى عليهم وعلى أولادهم وعلى حريمهم أيضا. ابتسمت الدنيا أخيرا للدكتور والتأمت جروحه وودع أيام الفقر إلى غير رجعة، ونسى أو كاد المأزق الذى وقع فيه عندما كان يعمل في إحدى الدوائر الحكومية بمركز من مراكز الريف الصغيرة. كانت شهادته المتوسطة لا تسمح له بأكثر من وظيفة صغيرة. وكان مرتبه لا يكفيه أسبوعا، وكان يمد يده بعد الأسبوع الأول للأصدقاء حتى ضاق به الجميع. ثم اكتشف أن معه عهدة للحكومة، وأن بها مبالغ لا بأس بها، وأنه يستطيع أن يقتبس منها أحيانا ما يفرج به ضائقته ومنذ أن اكتشف الدكتور هذه الحقيقة لم يعد يمد يده لأحد، وأصبح مستورا لا يريق ماء وجهه لى يسوى وإلى ما يسواش، ولكن لأن الحجر الداير لا بد من لطفه، فقد انكشف سر الدكتور وسين وجيم وشرطة ونيابة وسجون. أمر الحكومة عجيب ومثير أيضا، تنتفض جميع الأجهزة وتنشط عندما يكون الحرامى صغيرا، ويأخذ العدل مجراه سريعا، ويذهب الجانى إلى محبسه قبل أن يرتد إليه طرفه. وهكذا وجد الدكتور نفسه في زنزانة في سجن إقليمي ردىء، الطعام فيه ردىء، والنظام فيه ردىء، والنزلاء هم أردأ شىء في السجن على الإطلاق! وخرج الدكتور

□ الدكتور □

من سجنه بعد ٩ شهور، مضت بطيئة خاملة، واضطر إلى العمل في المركز موظف استقبال في عيادة طبيب. لكنه اكتشف بعد عدة أشهر أنه محاصر بالديون والهموم، وأرهقه العمل عند الطبيب الريفي الذي كانت علاقته بالطب لا تزيد كثيراً عن علاقته هو نفسه باللغة الصينية^١ ولكن الفرج جاء أخيراً، عندما استقبلت عيادة الطبيب زميلاً للدكتور في السجن كانت تهتمه التزوير. وكانت له أصابع من النوع الذي يستحق أن يلف بالحريز. وعندما زاره الدكتور في مقره وجد عنده جوازات سفر تحت التزوير، وشهادة جامعية خاصة بشاب في طريقه إلى الهجرة للخارج ولعت في ذهن الدكتور الفكرة. فكرة الحصول على شهادة تنقله من خانة الشقيانين إلى خانة السعداء. وأبدى المزور استعداداً لتأدية الخدمة.. ولكن المسألة تحتاج إلى ١٠٠ جنيه، مائة جنيه يا دكتور.. ونجوم السماء أقرب إليه من هذا المبلغ الجسيم. وفكر طويلاً ثم قرر. جمع بعض الأدوات الطبية من عيادة الطبيب الريفي وفص ملح وداب!

ولزم الطبيب الصمت، فلم يستطع إبلاغ الشرطة، فهو حريص على أن يكون بعيداً عن الشرطة، خصوصاً والولد الحرامي يعرف أكثر مما ينبغي. يعرف عمليات الاجهاض التي يقوم بها، ويعرف العمليات الجراحية التي انتهت كلها بقتل المريض، ثم الإتاوة التي يفرضها الطبيب على أهل القتل حتى لا يقوم بتشريح الفقيد!

المهم أن الدكتور حصل على المائة جنيه وسلمها للمزيّف، وسلمه المزيّف بعدها بكالوريوس الطب من جامعة المنصورة وهكذا أصبح الدكتور طبيباً بمستشفى سجن القناطر. شيء واحد كان ينغص عليه حياته وسط هذا النعيم إلى إنت فيه ياقلبي. خشيته من وقوع المحذور، فيأتى إلى سجن القناطر صديقه المزيّف الذي سلمه شهادة البكالوريوس، أو يحل ضيفاً على السجن أحد الضباط الذين كانوا

□ الدكتور □

يعملون في سجن المركز الذي سبق للدكتور قضاء عدة أشهر خلف أسواره. ولكن ربك ستار ورحمته واسعة. والأمور تسير من حسن إلى أحسن، لدرجة أنه بدأ يفكر في إجراء عملية تجميل لتغيير ملامحه التي جلبت له الفقر منذ ولادته أمه على أرض قرية شرنوب !

ولكن ما حدث بعد ذلك كان أغرب من الخيال .

دخلت العيادة ذات صباح امرأة في حوالى الأربعين من عمرها في حراسة شاويش عجوز. ومنذ اللحظة الأولى انتابت الدكتور رعشة لم يحس بها من قبل، لم تكن امرأة عادية، ولكنها امرأة من النوعية التي جاءت إلى الحياة لتؤدى فيها دورا يختلف عن جميع الأدوار! جبهة عريضة وعينان واسعتان وفم مكتنز ومضموم وحاجبان مرسومان كقوسين يرسمان قوسا من السواد، وصدر بارز وجسم ملفوف، وخصر ممشوق، وحركات امرأة لعوب تجيد العزف على قلوب الرجال! استقبلها الدكتور في اضطراب لم يستطع إخفائه ودعاها إلى الجلوس، وأمر الشاويش بالانصراف. لقد جاءت تشكو من حالة اضطراب لا تعرف سره، لا يستقر طعام في معدتها، ولا تنام أكثر من ثلاث ساعات في اليوم، كثيرة العراك كثيرة النرفزة. وهى حالة يعرفها الدكتور جيدا، وهى تصيب المساجين من وقت لآخر نتيجة الحبسة والقهر والغيظ وعندما تمددت السجينة على دكة الكشف. تصيب العرق بشدة من جبهة الدكتور وتلاحقت أنفاسه، ولم يتمالك نفسه فانحنى على المرأة يقبلها، ولكنها صدمته بعنف ونهضت على الفور، وألقت على الدكتور درسا في السلوك والأخلاق. وجفف الدكتور عرقه ووقف يلهث أمامها كالكلب الجربان. ولكن ثورة السجينة هدأت بعد لحظة وعادت فتمدت على دكة الكشف.

لم يحفظ الدرس الذى لقنته إياه المرأة التفاحة فانحنى عليها يقبلها، فلم تصده ولم ترحب به، ولكنها كانت لحظات هى في واقع

□ الدكتور □

الأمر من أسعد لحظات العمر لقد كانت حياته جافة دائماً، لم يعرف طبيعة العلاقة المستمرة مع امرأة. كانت علاقاته مجرد عمليات تجارية العلاقة الوحيدة التي استمرت عدة أسابيع كانت مع امرأة بدينة وأكبر منه سناً، كانت تنجز أعمالاً في المصلحة التي يعمل بها .

وكان في يديه الحل، فتعمد التعطيل والتسويق، ورأت في عينيه رغبة مشبوبة، وكانت عطشى، ووجدت في الدكتور فرصة لتضرب عصفورين بحجر، وشعر بالسرور لأن المسائل تطورت كما كان يخطط لها. ولكن الذي جعله يفقد عقله هو انسحاب المرأة من حياته بعد انتهاء العلاقة الإدارية بينها وبينه!

منذ دخول المرأة المسجونة في حياة الدكتور وأحواله كلها تغيرت. لم يعد حريصاً على التواجد الدائم في مستشفى السجن كما كان يفعل من قبل، وأصبح شارداً على الدوام، وارتكب خطأ فاحشاً مع المأمور حين لجأ إليه الأخير يطلب دواء لابنه الطفل، فأعطاه دواء خطأ من أجنحة المستشفى، ثم هرول على عجل إلى بيت المأمور ومعه الدواء الصحيح، ومن حسن الحظ أن المأمور لم يعط الدواء الخطأ لابنه الطفل لأنه كان نائماً !

راحت المرأة المسجونة تتردد على المستشفى مرة كل أسبوع بأمر الدكتور، وتطورت العلاقة بينهما إلى الذروة. واستسلمت المرأة للدكتور بعد أن أقنعها بأن كل شيء يسير في خطه المرسوم. ولاحظ المرضى والممرضون والعساكر أن الدكتور يقضى وقتاً طويلاً في حجرته مع المسجونة والللمبة الحمراء مضاءة. وهمس الجميع بحكاية الدكتور والمسجونة، ووصل الهمس إلى الدكتور ميشيل في وقت قاتل، فقد كانت هناك معركة ضارية تدور في الكتمان بين ميشيل والدكتور. كانت المعركة حول المعلم ققط تاجر المخدرات الكبير، وكان ققط من نصيب ميشيل. وكان ميشيل من النوع

□ الدكتور □

المنشار نازل واكل طالع واكل. ولكن المعلم فقط المدرس وجد في (الدكتور) ثغرة ينفذ منها ويهرب من حصار ميشيل. وبدأ التعامل بين فقط والدكتور ولكن بنصف التكاليف التي كان يتحملها في تعامله مع ميشيل. وراح ميشيل يفتش عن أخطاء (الدكتور) كانت كل أمنياته تنحصر في نقل (الدكتور) إلى سجن آخر. وعندما استمع إلى الهمس الذي يدور حول الدكتور والمسجونة، طلب ميشيل أجازة لكي يخلو الجو (للدكتور) لكي يمضي. أبعد في علاقته المشبوهة. وأكل (الدكتور) الطعام. فأمعن في علاقته بالمسجونة إلى أبعد حد، وحدث تغيير (للدكتور) خصوصا في علاقاته مع النزلاء. لم يعد يهتم بفقرء المساجين كما كان يفعل من قبل، واشتد في طلب الرشاوى من أثريائهم حتى تجاوز السقف الذي وصل إليه ميشيل. كانت طلبات المرأة المسجونة من النوع غير المعقول. كان لها نصف دستة من الأطفال يعيش ثلاثة منهم عند أخت لها والثلاثة الآخرون مع أمها، وكانوا في سن الخطر، خصوصا ابنتها الكبرى، وكانت على عتبات السابعة عشرة، وكان على استعداد لتلبية كل الطلبات، خصوصا عندما وقع بصره على البنت الكبيرة. كانت نسخة طبق الأصل من أمها.. ولكنها لا تزال شابة ومتفتحة. العيانان هما نفس العينين عند الأم، تطلق شرارا ورصاصا، والجسد يفور بالفتنة، والعود مثل شجرة الموز مكتنز وممشوق، والصوت يرن كالجرس ويفح كصوت الحية. وأصر (الدكتور) أن يقوم ليس بإطعام العيال فقط ولكن بتأمين طلباتهم في الفسحة والترفيه. وفي الصيف استأجر للعيال كلهم وستهم العجوز شاليها على شاطئ البحر وحصل (الدكتور) على أجازة شهر، وقضى الفترة كلها على رمال الشاطئ مع العيال. أو بمعنى أصح مع سعاد البنت الكبيرة التي بهرت رواد الشاطئ ولأن الدكتور كان قد مضى كل عمره الذي يقترب الآن من الخمسين في

□ الدكتور □

الجوع والحرمان، فقد حاول مع البنت، ورش في محاولته كل ما حصل عليه من رشاًوى، وكان لدى البنت استعداد فطري، فأبوها مات قتيلاً، وأمها ستقضى العمر كله في السجن، فهي يتيمة ومحرومة، ولا أمل لها في تغيير الحال، و(الدكتور) فرصة العمر للنجاة من هذا السجن الأبدي الذي فرضته الظروف على سعاد. ولذلك استسلمت له ببساطة عندما همس في أذنها بكلمة الزواج.



عندما عاد (الدكتور) من أجازته الطويلة إلى عمله في مستشفى سجن القناطر، اكتشف أن ميشيل عاد إلى عمله واحتل الغرفة الرئيسية تاركا للدكتور الغرفة الصغيرة تحت سلم المستشفى، والتي تشبه غرفة بواب. ووجد عند ميشيل إصراراً على مباشرة العمل في المستشفى والوقوف على كل التفاصيل. حتى عندما حضرت المسجونة للفحص، أصر على الاشتراك في عملية فحصها، ثم ضرب ضربته الكبيرة عندما كتب على التذكرة الطبية (المريضة لا تحتاج إلى علاج) لم تهتز المرأة المدربة، فقد كانت تعلم أن عشيقها (الدكتور) لن يستسلم لتأشيرة ميشيل، ولكنها انتظرت طويلاً قبل أن تكتشف أنه لم يفعل شيئاً لتعديل الأمر. لم تظن إلى أنه أعجز من أن يفعل شيئاً. ولكنها تصورت أنه شريك في المؤامرة، وأنه شرب من عشقها حتى ارتوى ولم يعد في حاجة إلى مزيد، وتأكدت هذه الفكرة لديها عندما جاءت الأم في زيارة وأخبرتها بما جرى بين (الدكتور) والبنت سعاد، وأن ثمرة العلاقة بدأت تظهر على بطن البنت التي انتفخت واستدارت وصارت ملفتة للنظر. أكلها الغيظ واستبد بها الإصرار على الانتقام، ومن يكون هذا (الدكتور) الذي لا يساوى قرشاً في سوق الرجال؟ ولولا السجن الطويل والحرمان الشديد ما قبلت أن تمد له يدها لتصافح يده. وهي تستطيع أن تنتقم إلى حد قتله والشرب من دمه.

□ الدكتور □

ومن يكون هذا (الدكتور) إلى جانب زوجها الذى كان وحشا في غابة الرجال؟ لقد ذبحته بدم بارد وبأعصاب أكثر برودا. ووضعت قدمها على رقبته وهو يشخر ويحفر الأرض بقدميه كالثور السودانى عندما تفصل السكين رأسه عن جسده!

ستقتل (الدكتور) ولن يغير قتله من وضعها في السجن. ستكون قضية جديدة وحكما آخر لن يزيد عن عشرة أعوام تضاف إلى أعوام التأبيدة، ولو طال عمرها فستخرج من السجن بعد ربع قرن من اليوم الأول من سجنها! لأنه في قوانين السجن، لا يجوز سجن انسان أكثر من هذه المدة مهما كانت الجرائم التى ارتكبها!! وتقدمت السجينة بالتماس تطلب توقيع الكشف الطبى عليها لأنها تشعر بأن رأسها تكاد تنفجر. ورفض الالتماس. والذى جعلها تتمزق غيظا أن الرفض هذه المرة من جانب (الدكتور) في هذه اللحظة تأكد لها أن (الدكتور) كان يلعب بها وبالبننت سعاد. لم تعرف المسجونة أن (الدكتور) رفض الكشف عليها بسبب محاصرة ميشيل له وإحراجه بكلام كالسم. كما أن رفضه الذى لم يكن مخطئا له تسبب لها في توقيع عقوبة الحبس الانفرادى عليها، لأنها اعتبرت في عرف الإدارة متمرضة، وهى تهمة رهيبة في السجن، مع أنها لا تقوم بأى أعمال خلف الأسوار. واتحد الغيظ مع الخوف في قلب المسجونة، فأسرعت بشكوى للإدارة تتهم فيها (الدكتور) بتهم مختلفة، مراودتها عن نفسها، أثناء تردها على العيادة وتخريجه ببنتها القاصر حتى حملت سفاحا منه. لم تهتز الإدارة أمام شكوى السجينة، فهى مدربة على مثل هذه الأمور، وما أكثر شكوى النزلاء التى ثبت بالتجربة أنها غالبا كاذبة. ولكن السجينة لم تسكت، أرسلت شكوى إلى مصلحة السجن عن غير طريق السجن. وجاء مفتش لبحث الأمر، وفي مثل هذه الحالات ينتهى الأمر بنقل السجينة إلى سجن آخر، أو نقل الطبيب

□ الدكتور □

ولكن الذى حدث كان أغرب من الخيال. عندما جلس (الدكتور) أمام هيئة التحقيق، انهار بشكل كامل. نفى علاقته بالمسجونة وابنتها صحيح أنه زار بيت أمها فى بنى سويف، ولكن تحت إلحاح السجينة، ولكى يقوم بتوصيل رسالة إلى أولادها، ولكنه لم يمس شعرة فى رأس البنت، ولم يراود السجينة عن نفسها، ولكنه فى نفس الوقت اعترف بأنه ليس دكتوراً ولا يحمل سوى شهادة متوسطة، وأنه التحق بالعمل نتيجة أوراق مزورة. تم القبض على (الدكتور) وحل ضيفاً على سجن الاستئناف، وفى المحكمة استمع إلى الحكم ضده بالسجن لمدة عشر سنوات، وبعد الحكم تم ترحيله إلى سجن القناطر. يالها من حفلة صاخبة استقبل بها المساجين (الدكتور) وياله من منظر عندما جاء دور الدكتور ميشيل للكشف على النزىل الجديد، قفا (الدكتور) صافح جميع أصابع العساكر والضباط والنزلاء، وصار ملطشة للكل. وصار اسمه (الدكتور) عند الإدارة وبين النزلاء! وعندما التقيت به أول مرة كان قد مضى على سجنه عدة سنوات. كان قد تعود على الذل والإهانة وتلقى الضرب من الجميع. وعندما سألته عن شعوره وهو مسجون فى ذات السجن الذى شهد أيام مجده السابقة. ازدادت دهشتي عندما اكتشفت أنه ليس نادماً وليس حزيناً فى نفس الوقت، فكل شيء قسمة ونصيب، وما هو مكتوب على الجبين لازم تشوفه العين! ولكن الذى يغيظه فعلاً أنه يفهم فى الطب أضعاف أضعاف ما يعرفه الدكتور ميشيل عن هذه المهنة.

طيب اسأل المساجين يا بيه أنا أحسن واللا ميشيل غيرش ان دى بلد طبيخ.. صحيح بلد شهادات على رأى عادل إمام. وسكت عدة لحظات ثم قال :

وانت فاكر إيه ؟ أى حد من المساجين دول حتى النشالين ينفع دكتور فى السجن، هو الدكتور بيعمل إيه ؟ دا بيقد على مكتبه الصبح

□ الدكتور □

ويفتح الدرج وهو ييكشف ع المساجين، والمعلوم يتحط في الدرج.
الاجازة بئمن، والزنازة الانفرادى بئمن، والتحويل على المستشفيات
الحكومية بئمن، والى مامعوش نهار أبوه أزرق، هياكل ضرب
ماكلوش حرامى في مولد. على الأقل أنا كنت باكشف وأصرف دوا
وأرحم الغلبان واهبر من بتوع الحشيش. ثم ميشيل بقى ما يرحمش
أمه، دا بقى عنده عزبة في أسبوط من دم المساجين. طيب إيه رأيك بقى
أنا طلبت اشتغل نوبتشى في المستشفى، يعنى خدام للدكتور ميشيل،
ورفضوا ووضعوني في المجارى ليه؟ علشان المعلم ققط طلب كده
من ميشيل. بينتقم منى، علشان أنا هريت بدنه في الفترة الأخيرة،
ماهو شارى السجن كله يابيه.. إدارة وحراسة ومساجين. تصدق
بالله ياسعادة البيه، دى بلد المعلم ققط لكن تقول إيه.. ربك مع
المنكرين!

ولكن.. بالرغم من كل شىء بالرغم من شماتة النزلاء وانتقام
الحراس، وضیعة الدكتور وراء الأسوار، إلا أن الجميع كانوا في
لحظات صفوهم يتحسرون على أيام الدكتور، الذى كان مع الغلبة
والمنكرين، وخنجر مسموم مع تجار الحشيش!



نفسه يا حبيب

المعلم جميل

٦

●● لغت نظرى فى البداية الضجة نهائى: نتي سبت
وصونه إلى سجن القنطر.. وهى الضجة التى تسبق وصول
أو خروج أحد نجوم مجتمع السجن ولكن الضجة هذه
أثرة كن مبالغ فيها إلى حد كبير سممت الاحتفالات بقرب
وصول الضيف الجديد أسبوعاً كاملاً فى المساء وبعد التهاد
وانصراف الإدارة، يأخذ المساجين فى تحية الضيف القادة،
وتخلع صفات الشهامة والكره وتجذعت عليه أسبوع كامل
من الاحتفالات اشتركت فيها جميع الزنازين بدون استثناء،
ماعد الزنازين السياسيين والوظيفين الكبار المهتمين بالرشوة
والاخلاص وفى الأحوال العادية يكون الاحتفال فى اللينة
السابقه لوصول الضيف، وغالباً يشترك فيه عدد من
الزنازين لأبزره عن صابع اليد الواحدة وله تكن الأوصاف
نتي خلعوه عليه هى نفسها للأوصاف نسجمة فى
مثل هذه المناسبات، وتكن النزلاء اخصوا
الضيف الجديد بأوصاف جديدة، تيرنس ولتكن
ونو كفى نين وحيد: أبو وش لبض رى النين
نخب ولتكن تهمة إلى نخب بنى وهونه
بنى، المعلة حمى نهورى نتي هيشرف
تسجن وننوره وشوش لحبيب ●●





● العلم جمل ●

لم تكن هي المرة الأولى التي يتردد فيها على مسامعى اسم المعلم الجمل .. فقد سمعت عنه كثيرا أثناء المعركة الانتخابية التي دارت عام ١٩٦٨ بعد هزيمة يونيو الشهيرة وكان أحد الأصدقاء قد رشع نفسه في الدائرة ، وكان دائم الحديث عن المعلم جمل الهوارى الذى يمتلك ويتحكم فى نصف أصوات الدائرة على الأقل. وزادت دهشتى عندما سمعت من صديقى المرشح ان المعلم جمل هو أكبر تاجر حشيش فى مصر ، ولكن ما علاقة الحشيش بالانتخابات خصوصا والسياسة عموما ؟ .. واكتشفت فى ذلك الحين أنها علاقة وثيقة وحميمة أيضا . فهؤلاء الذين يعملون فى أنشطة غير مشروعة ، ويربحون الملايين فى صفقة واحدة ، يستخدمون جزءا لا بأس به من أرباحهم فى شراء حب الناس واحترامهم . وغالبا ما يكون هذا الحب من النوع الافلاطونى ، ولكنه حب عملى للغاية ، وصفقة تجارية أيضا من نوع الذى يراعىنى قيراط أراعىه قيراطين ! كان المعلم الجمل من النوع الذى لاتعرف يساره ماذا أعطت يمينه . كان سخيا وبارا وكريما مع رعاياه ، بنفس القدر الذى يكون فيه قاسيا ومدمرا ورهيبا مع الذين يقفون فى طريقه . ولذلك كان من الصعب إلقاء القبض عليه فى منزله أو فى القهوة التى اتخذها محلا مختارا له فى الحى الذى يسكن فيه أو فى مخزن التجارة التى اتخذها ستارا لأعماله الواسعة فى عالم المخدرات . كان يدير مخزنا للفراشة ، سرادقات للمآتم وللأفراح ، وكان يبذلها بالمجان للأصدقاء

□ العلم جمل □

والأتباع ولأصحاب النفوذ أيضا .

ومع أنه كان يدفع ضرائب سنوية عن هذه التجارة بالذات لا تقل عن مائة ألف جنيه ، ولكي تكون هي سنده إذا سأله يوما ما.. من أين لك هذا ؟ أما نسبة الخمسين في المائة التي يسيطر عليها في الدائرة الانتخابية فكان يستخدمها بذكاء وحذر . ولكن قبل أن يصبح المرشح نائبا عليه أن يفهم تماما أن المعلم جمل هو الذي شده إلى المجلس وعلى النائب الموقر أن يطبق الحكمة الشعبية الخالدة : من شدك تشده ولو بعد حين !! وبالطبع النائب الذي جاء إلى المجلس على أكتاف المعلم جمل ، لابد أن يرد الجميل ويقف مع المعلم جمل حتى النهاية . وبالرغم من كل ما سمعته عن المعلم جمل إلا أنني لم أتشرف برؤيته أو مصافحته أو الجلوس معه فقد كنت أتردد على المرشح صديقي في مكان عمله بعيدا عن الدائرة ومشاكل المعركة الانتخابية ! ولذلك كنت شديد الشوق لرؤيته وهو قادم إلى سجن القناطر ، خصوصا وهو سينزل في نفس الدور الذي أنزل فيه وفي الزنزانة المواجهة لزنزانتي .

ومع أن دور «٢» هو دور السياسيين كما يطلقون عليه ، إلا أنني اكتشفت أنها مجرد تسمية ولا تعنى شيئا . فقد كنا ١٧ سجيناً سياسياً في دور يضم ٦٠ زنزانة . وبالطبع نزل غير السياسيين في الزنازين الأخرى ، غير أن النزول فيها كان يخضع لشروط فلا بد أن يكون النزول فيها من أصحاب الحظوة أو أصحاب النفوذ أو أصحاب الفلوس . كان هناك مدير بنك مختلس، ورئيس شركة نسيج كبرى هرب عدة مئات من الألوف وتاجر مخدرات معروف ، وتلميذ ابن ناس هارب من الجيش ومحكوم عليه بالسجن ثلاث سنوات ، وصاحب مصنع ملابس متهم بإحداث عاهة مستديمة لإحدى العاملات في مصنعته وصديق في الوقت نفسه للبيه مدير السجون . وخلال أسبوع

□ المعلم جمل □

كامل كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق لاستقبال المعلم جمل . الزنزانة أصبحت تحفة ، الطلاء على الجدران بالزيت ، والأرضية فرشت بالقنالتكس والستائر وضعت على النافذة الوحيدة ، والسرير جاء من المستشفى والفرش جاء من بيت المعلم ، وعندما سألت الضابط الدسوقي عن سر هذا الاهتمام الكبير قال على الفور :

- من حق المعلم جمل ، أصل دا مش مسجون دا معتقل ، يعنى أكل ملكى ولبس ملكى وكل شىء ملكى فى ملكى !

المعلم جمل لم يكن مسجوناً ولكنه كان مجرد معتقل ، احتارت الحكومة فى أمره فاعتقلته لكى تتقى شره ، خصوصاً والبلد كلها كانت تحشد قواها لمعركة العبور .

المهم .. جاءت اللحظة الحاسمة واستعد الجميع لاستقبال المعلم جمل ، حشد المأمور عدداً من العساكر بكامل ملابسهم الرسمية عند باب مكتبه ليظهر العين الحمراء للمعلم جمل ، ومنعت الإدارة التجمهر فى الحوش ، حتى تترك الانطباع عند المعلم جمل بأن الأمور فى السجن منضبطة وليست سيهولة . وأخيراً جاء المعلم جمل يرتدى بدلة موهير وقميص حرير سلكاً ٥٥٠٠ وبالطو مطر بيربرى وحذاء ساكسون ومعه ٤ حقائب تحتوى على أدوية وأطعمة وسجائر مستوردة . وبعد أن تم تفتيشه فى حجرة المأمور ، وتجريده من ساعته وخاتمه الماس ، اصطحبه وكيل السجن بنفسه إلى الزنزانة رقم ٢٠ فى الدور الثانى . وعندما دخل الوكيل ومعه المعلم جمل صاح الشاويش الطوانى فى صوت كالرعد - انتباه .. وساد الصمت العنبر كله ، وعندما صعدت المجموعة سلالم السجن الحديدية ، حدثت جلبة شديدة وضوضاء ليس لها مثيل ، ثم ترامى إلى أسماعنا صدى صفعات وركلات ، ثم هدأت الضجة واكتشفنا أن الموكب غاد مرة أخرى إلى مكتب المأمور . ياللهول على رأى يوسف وهبى ، ما الذى حدث للمعلم جمل ؟ .. وما

□ المعلم جمل □

الذى أعاده من جديد إلى مكتب الأمور ؟

ويافرحه ماتمت ، لم يقع بصرى على المعلم جمل يوم وصوله ، ولا بعد ذلك ولمدة ١٥ يوما بالتحديد . وأصل الحكاية أن نزيلا من دور٤ ، دور الصياغ والمتسولين ، هجم على المعلم جمل أثناء صعوده السلم ومعه نصلة حادة وحاول أن يغرزها في بطنه ، إلا أن الحراس أمسكوا به وطرحوه أرضا وجردوه من النصلة واقتادوه إلى مكتب الأمور . وقال الولد أمام الأمور ان المعلم جمل كان السبب في حبسه في زنزين التأديب عندما كان يزامله في سجن الاستئناف بعد أن اتهمه بسرقة بعض حاجياته من الزنزانة ، وأنه لذلك كان يريد الانتقام من المعلم جمل . وبناء عليه طلب المعلم جمل من الأمور نقله من سجن القناطر إلى سجن الاستئناف لأن وجوده في القناطر يعرضه للموت على يد بعض الحاقدين ولكن الأمور طمأنه وتعهده بأنه سيكون في الحفظ والصون . وأمر بإبعاده عن العنبر ووضع في زنزانة من زنزانات التأديب مع تزويدها بكل ما يحتاجه ، على أن يطبق عليها النظام العادى ، فتفتح أبوابها طول النهار ، ويسمح له بطابور شمس في الصباح وطابور آخر بعد الظهر ، وبالتعامل مع الكانتين وكتابة الرسائل . ويسمح له بالزيارات ومقابلة محاميه في أى وقت يشاء . وبعد عشرة أيام من نزول المعلم جمل في زنزانة التأديب ، جاء إلى السجن مفتش من المصلحة ، ومعه اتهام صريح من محامى المعلم جمل ، بأن الأمور يضطهده والدليل هو وضعه في زنزانة تأديب دون أن يكون قد ارتكب عملا يستحق عليه هذا العقاب الشديد !! المسألة كلها كانت تمثيلية ومقلب دبره المعلم جمل للمأمور . ولم يكن الهدف إلحاق أى أذى بالمأمور ، ولكن الهدف الحقيقي كان العودة إلى سجن الاستئناف . حيث به سبع فوائد . أولا وجوده في قلب العاصمة وثانيا لأنه سجن مفتوح يتيح لمن كان في وضع المعلم جمل الاتصال

□ المعلم جمل □

بمن يشاء وقت أن يشاء ، والأهم من ذلك أن المعلم جمل استطاع خلال فترة وجوده في سجن الاستئناف عدة شهور متواصلة تأسيس تنظيم من المسجونين يتبعه وينفذ أوامره ويدبر له الاتصال اليومي بأعوانه خارج السجن ، كما استطاع أن يرتب زيارات لنفسه بأسماء مساجين آخرين ، وأن يضع في الأمانات مبالغ بأسماء مساجين ليس لهم أهل خارج الأسوار ، واستطاع بهذه المبالغ شراء السجن كله وإدارته كما يشتهى وليس كما يشتهى المأمور ولكن هدف المعلم جمل من الشكوى لم يتحقق . ولكنهم فقط نقلوه من زنزانة التأديب إلى الزنزانة رقم ٢٠ في الدور المخصص للسياسيين .

وأخيرا أتيح للعبد لله رؤية المعلم جمل .. عندما فتح الشاويش عبدالقادر زنزانتى وقع بصرى على رجل في الخمسين من عمره يجلس على كرسي أمام الزنزانة رقم ٢٠ . كان يبدو أصغر من سنه الحقيقي متوسط الطول متين البنيان يرتدى جلابية سكروته حرير وينتعل «ششب» سويسرى غالى الثمن ، وبين أصابعه جريدة «الأهرام» وعلى طاولة صغيرة أمامه فنجان قهوة تفوح رائحتها من بعيد . وكان يضع ساقا على ساق ويهز ساقه المرفوعة في حركة رتيبة ، بينما تطل علبة سجاجر مستوردة من جيبه العلوى ونظارة شمس إيطالى الصنع من أحدث إنتاج .

عندما ألقى عليه تحية الصباح ، رد التحية بأحسن منها ، ثم نهض واقفا ومد يده لمصافحتى ، فخطوت عدة خطوات حتى اقتربت من حيث يجلس ، وصافحنى بحرارة ، وعزم على العبد لله بفنجان قهوة محوَج :

— أنا أصلى أحب القهوة بس بشرط تكون من بيتنا ، قهوة السوق ماتعجبنيش .

واعذرت له لأننى لم أتناول إفطارى بعد . فقال على الفور .

□ المعلم جمل □

– خلاص .. افطر وتعال اشرب القهوة .

تناولت إفطاري وتلكأت بعض الوقت ، وفوجئت بالمعلم جمل على باب زنزانتي ، ونظراته تمسح الزنزانة وتتفحصها ، وقال في لهجة ساخرة :

– هيه دي زنزانتك ؟ .. مش عيب تبقى كده ؟!

– داكده رضا يا معلم .

صمت قليلا ثم قال :

– ناس ماعندهاش دم ، هو انتو حرامية أو نصابين ، دانتو من غير مؤاخذه سياسيين ، يعنى كنتم حكام في يوم من الأيام ، ومين عارف .. على العموم الدنيا ما بتدومش لحد !

خرجت معه من زنزانتي فاكتشفت أنه أعد مقعدا آخر إلى جواره وعندما ألقيت نظرة على زنزانته من الداخل ، أدركت سر احتقاره لزنزانتي ، كانت أشبه بحجرة في فندق ثلاث نجوم ، لا ينقصها إلا جهاز تكييف وجهاز تليفزيون لتصبح في مقام الخمسة نجوم . ووجدت في الداخل سجينين عرفت من المعلم جمل أن أحدهما طبّاخ يعمل في مطعم شهير قبل سجنه ، وأن تهمة هي الاتجار بالعملة الصعبة في السوق السوداء . أما الآخر فهو بلطجي ومحكوم عليه بالمؤبد ، وتهمة القتل المقترن بالسرقة ، ونادى المعلم جمل على الأخير وأمره بإعداد فنجان قهوة للأستاذ من البن «بتاعى» ثم التفت نحوي وقال :

– على فكرة أنا عارفك كويس ، وكنت باقرأ لك مقالاتك «ونطق القاف كافا» وعلى فكرة أنت ساعات بتتكلم في الصميم وساعات لا ..

قلت للمعلم جمل :

– حسب الظروف يا معلم !

– مفيش حاجة اسمها ظروف ، لو عاوز تكتب في الصميم على

□ المعلم جمل □

طول يبقى لازم تسمع منى .. أنا مستعد أديك الخلاصة كلها وأنت تكتب ، صدقتى أنا كان بيجيل ناس من الفطاحل تقعد عندي نسمعها كلمتين وتقوم من عندي وتدى .. وبقوا كبار قوى ومهمين قوى والفضل لمحسوبك .

ولما بدا على العبد لله عدم الاهتمام وربما عدم التصديق ، قال معلقا:

– مش مصدقتى .. طب تعرف الأستاذ محمد السنارى ؟

ولما أبديت له أسفى بعدم تشرفى بمعرفته ، قال :

– ازاي ؟ .. دا كان محرر كبير قوى فى مجلة الاسبوع ، وكان بيحط صورته مع «المكالم» .. وعلى فكرة .. كان معاه شنطة جلد كلها مقالات وكان بيكلم عبد الحليم حافظ وشادية والحكمدار من تليفون المكتب بتاعى .

– كان أكبر منى فى السن واللا أصغر ؟

– أبدا .. كان من دورك كده ، بس واد ابن حنت ، كان مايباش حد كان يخش القسم من دول يهز المأمور والى خلك. وتعرف مين اللى كان بيجى كمان يأخذ الخلاصة منى ؟ الأستاذ المناويشى .. كان ماسك الاعلانات كلها فى مجلة النهار ، ولا فيش إعلان ينزل بدون أمره ، كان صحفى جامد قوى ، ويا ما نشر لى إعلانات فى المجلة . فى أعياد الثورة بالذات ، ياما دفعت فلوس فى الإعلانات .. وأدى آخرتها زى مانت شايق ..

كانت فناجين القهوة «من البن بتاعه» قد أعدت وجاء بها النوبتشى فى فناجين أنيقة للغاية ، وشفت المعلم جمل شفقة طويلة بصوت مسموع ، ثم لكزنى وقال :

– اشرب ، أنا أصلى أحب اللى يحب القهوة ، أنا اشرب عشرين فنجان من القهوة دى ، وفى السجن أشرب أكثر !

□ العلم جمل □

وعندما أبديت استحسانى بالبن قال وهو يغمز بعينه :
 - أما يكون مزاجك رايق ابقى تعالى اشرب معايا قهوة وتشرب لك
 كمان نفسين حلوين ، معايا تعميرة مش موجودة في مصر كلها ..
 نفسين اتنين منها أبرك من ميت نفس من غيرها .
 وعندما أبديت له عدم تدخينى للحشيش ، قال باستهزاء :
 - أنا مابحبش اللغة دى بقى من غير مؤاخذه .. كلهم بيقولوا كده
 وبعدين بيشرّبوا زى الحريقة .. وهوه الحشيش عيب ياأستاذ .. كل
 الوزراء بيحششوا من غير مؤاخذه ، والنائب بتاع الدائرة كان يشد
 النفس يحرق الحجر من غير مؤاخذه .. وسعيد بك جنيدى اللى هو في
 الإدارة العامة بتاع الاتحاد الاشتراكى حشاش أراى من غير
 مؤاخذه .. عارفه واللا لا ؟

وعندما أبديت له أسفى لعدم معرفته ، قال :
 - انت خايف من غير مؤاخذه ؟ .. خد بقى الخلاصة منى أنا ، عاوز
 تمنع الحشيش من مصر ، خللى الجماعة الكبار دول بيطلوه .. ايه رأيك
 في الخلاصة دى ؟

مرت أيام طويلة بعد ذلك والعلاقة بيننا تدور في حدود معينة،
 حتى كان يوم أصابنى التهاب في الشعب ، وكان لا بد من مضاد
 حيوى قوى لوقف الالتهاب قبل أن يتحول إلى التهاب في الرئة . ولما
 كانت صيدلية السجن .. يامولايأ كما خلقتنى ، سلفا وراوند وصبغة
 يود وحقن بنسلين تكفى حقنة واحدة منها للقضاء على المريض .. كان
 لا بد من شراء الدواء من خارج السجن ، والدواء يحتاج إلى فلوس ،
 والفلوس محرمة على نزيل السجو . لا بد من الاتصال بالبيت لشراء
 الدواء ، والاتصال ممنوع . ولكن المعلم جمل اقتحم زنزانتى وطلب
 الروشته ، وبعد ساعات كان الدواء المطلوب في يدي .. كيف جاء
 الدواء ؟ من الذى جاء به ؟ .. لم أعرف حتى خرجت من السجن .. المهم

□ المعلم جمل □

دعاني المعلم جمل إلى زنزانته لكي أنسى همومي وأتذوق صنفاً جديداً من التعميرة ليس له مثيل في بر مصر ، وألح المعلم جمل فقبلت دعوته تحت ضغط إلحاحه ، واكتشفت وجود اثنين من النزلاء في الزنزانة . عزمي بيه موظف كبير بالحكومة ، تهمته تقاضى الرشوة من خريجي الجامعة الراغبين في التوظيف في دواوين الحكومة ، والمعلم طالبة تاجر حشيش من نجوم حى الباطنية يقضى في السجن خمس سنوات . كانت النار مشتعلة في الفحم على موقد أمامهم ، والجوزة يخرج منها عامود دخان ، وعلى مقربة منهم صحن كبير يضم كل الأنواع من فاكهة الموسم . وكان يقوم على خدمة الجميع اللص القاتل الذى كان يتولى حماية المعلم جمل ويحتفظ له بكل المنوعات . وكان المعلم جمل كلما سحب نفساً من التعميرة الجديدة راح يثنى عليها ويعدد مزاياها وقال تأكيداً على جودة صنفيها :

- تصدق يا أستاذ .. الكمية المضبوطة كلها من الصنف ده .. الحكومة باعتها لفرنسا .. آمال .. دا بنج مش حشيش .. فجأة والجوزة تدور والدخان ينعد في حلقات فوق رؤوسنا ، والبعض منا يضحك ، والبعض يثرثر ، اقتحم الزنزانة المواربة الصول طه . وتصورت أن هناك كبسة ، وأسفت على قبولى الدعوة ، وجمد الدم في عروقى على المصير السيئ الذى سأنتهى إليه ، دخلت السجن في قضية سياسية ، وها أنا ذا في طريقى إلى دخول السجن من جديد في قضية مخدرات . ولكن ما أشد دهشة العبد لله عندما نظر المعلم جمل إلى الصول طه نظرة زاجرة ونهر الصول طه بشدة وقال له في صوت غاضب :

- ازأى تسمح لنفسك تخش علينا بالشكل ده ؟

فرد الصول في تخاذل .

- مساء التماسى يا معلم ..

- مساء الزفت ..

- أنا كنت عاوز أدوق الصنف بس ..

□ المعلم جمل □

- عيب الطفاصة دى .. والدناوة بتاعتك لازم تبطلها .. انت خدت حقك خلاص .. وبقولك ايه .. بلاش الرزالة بتاعتك دى .. أنا بقولك أهه .. وانت عارفنى كويس أنا لحمى مر وما أحبش العيب..

ياسلام .. المعلم جمل هو الآخر لا يحب العيب ، انه على درب السادات لا يحب العيب ، وبالتأكيد هو الآخر متمسك بأخلاق القرية . والعيب فقط فى دخول الصول طه الزنزانة ونحن نشفط أنفاسا معطرة ، أما وجود الحشيش والأصدقاء فى الزنزانة فهو أمر لا يمت للعيب بسبب . بعد انصراف الصول طه لم أجد فى نفسى القدرة على الاستمرار فى القعدة ، فاستأذنت وتركتهم . وحاولت بشتى الطرق فك الاشتباك بينى وبين المعلم جمل ، فقد أدركت أن الاقتراب منه خطر ، والابتعاد عنه خطر أيضا . ولذلك حرصت على الاحتفاظ بينى وبينه بشعرة معاوية . كنت أجلس على مقعد أمام زنزانتى وكان يجلس أمامى على مقعده أمام زنزانتة ، وكنت أستخدم حيلة كثيرة لكى أبقى فى مكانى . وكان إذا لمح مظاهر قلق على العبد الله قال لى محاولا تهدئتى :

- أنت مش عاجبنى اليومين دول .. وبعدين عاوز أقولك حاجة .. انت مايهمكش وارمى حمولك على جناب الله .. وانت هاتخرج من السجن قريب .. الحكومة الموجودة دى هايفة قوى ومش هاتعمر .. وأنا وانت أهه .. وبكره تقول الجمل قال ..

- مش قلتلك .. علشان تعرف ان أنا عندى معلومات .. أنا مش تاجر مخدرات زى مايقولوا .. دى «فريم» من غير مؤاخذه.. أنا راجل صاحب أملاك .. من الأعيان .. وبينى وبين الحكومة دى ضغائن .. وبكرة تشوف مين اللى هايكسب فى الآخر ..

كان المعلم جمل يقصد فريّة ، ولكنه نطقها «فريم» ولم يلاحظ المعلم جمل خلال محاولاته التى استمرت طويلا لاستخدام الفصحى فى حديثه ان المستمعين من المتعلمين يتغامزون ويضحكون ، فقد كان حرصه على نطق الفصحى أقوى من كل شىء .. ذات صباح قال للعبد

□ المعلم جمل □

لله ونحن جلوس في مواجهة بعضنا:

- الحاكم العسكري يا سيدى رفض طلبى للإفراج عنى .. ولما قلت له معلش بكرة ربنا يفك سجنك ، رد على العبد لله :
- ومين قالك إن أنا زعلان .. دى معركة كبيرة يا أستاذ بينى وبين الحاكم العسكري .. وبكره تشوف أنا واللا هو .. أنا يا أستاذ قاسيت مقاسى ..

ولما لاح شبح ابتسامة على شفتى العبد لله ، قال المعلم جمل :
- انت بتضحك من غير مؤاخذه مش مصدقنى .. انت حاربت الحكومة من غير مؤاخذه مرة واللا اثنين واللا ثلاثة .. بتحارب شوية وترتاح شوية .. لكن أنا من غير مؤاخذه بحارب على طول .. ولو ماكنتش متأكد ان أنا اللي هاغلب فى الآخر .. كنت بطلت حرب واراحت .. وإن شاء واحد أحد أنا خارج الأسبوع ده من هنا على البيت .. مش الحاكم العسكري رفض .. أنا هاوريك بقى هاعمل ايه .. وبكره تشوف ..

كان المعلم جمل يحارب على جبهتين .. لم يكن السجن مشكلة بالنسبة له ، كان الجميع يخدمونه بلا استثناء ، الإدارة والمساجين والحراس ، ولكن كان هدفه الأساسى الخروج من السجن إلى عالم الحرية ، أو على الأقل نقله من سجن القناطر إلى سجن الاستئناف ، وذات صباح وجدت الدكتور إميل يقتحم عتق زنزانتى ويقول للعبد لله أن يحل المشكلة التى نشأت بينه وبين المعلم جمل .

كانت المشكلة ببساطة أن المعلم جمل طلب من الدكتور إميل كتابة روصة ليصرفها من الاجزاخانة بأدوية لعلاج الذبحة الصدرية والتهاب أغشية المخ ولم يفكر الدكتور إميل طويلا ، كتب الروصنة وتقاضى عشرة جنيهات رصوة من المعلم جمل ، وبعد يومين من كتابة الروصنة ، وصل خطاب من مصلحة السجون يطلب توقيع الكشف الطبى على المعتقل المعلم جمل لتقرير حالته الصحية وعما إذا كان مصابا بذبحة صدرية والتهاب فى غشاء المخ من عدمه ، وأسقط فى يد

□ المعلم جمل □

الدكتور إميل ، وأدرك أنه كان ضحية مقلب من مقابل المعلم جمل ، فهو إذا رفض كتابة هذا التقرير وإثبات مرضه بهذه الأمراض ، قدم المعلم جمل رويشة الدكتور إلى مصلحة السجون ، وسيتهم الدكتور بأنه تقاضى رشوة لكتابة الرويشة ، وإذا أثبت هذه الأمراض في تقرير طبي رسمي للمصلحة ، يكون قد خسر صفقة ثمنها ألف جنيه على الأقل وليست عشرة جنيهات ، وهو المبلغ الذى دفعه جمل مقابل الرويشة إياها ، ورجانى بذلة أن أتوسط له عند المعلم جمل لكي يرد له الرويشة ، أو يدفع له خمسمائة جنيه على الأقل لكتابة التقرير المطلوب وعندما فاتحت المعلم جمل في الأمر ، قال بهدوء شديد :

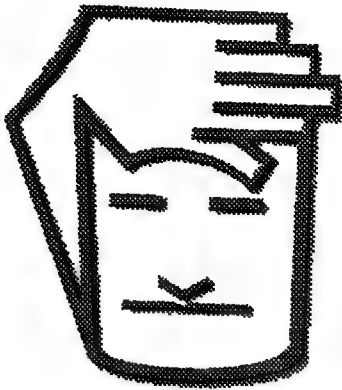
— ها يكتب التقرير وهاضربه بالجزمة .

وبالرغم من أن الدكتور هبط بالمبلغ المطلوب إلى مائتى جنيه ثم إلى مائة جنيه ، إلا أن المعلم جمل أصر على موقفه ، ثم وافق في النهاية على أن يمنحه عشرة جنيهات أخرى ، وأعجب شىء أن الدكتور وافق على عرض المعلم جمل في النهاية وكتب التقرير وقبض العشرة جنيهات ، وبعد أسبوع صعد ضابط العنبر إلى دور «٢» وطلب من المعلم جمل أن يجمع حاجياته ، فقد صدر قرار بالإفراج الصحى عنه لخطورة حالته الصحية ، ورمقنى المعلم جمل بنظرة ذات مغزى ، وأخذ معه بعض حاجياته ووزع ماتبقى منها على المساجين ، وعندما جاء لتوديعى ، همس في أذنى :

— ماتفتكرش التقرير بتاع الدكتور هو الى طلعتى .. أنا دفعت فلوس تملأ الزنزانة دى .. بس التقرير ده كان ضرورى علشان ربك بيسبب الأسباب .. وقال وهو يهم بنزول السلم :

— الى قلتك عليه هو الى ها يحصل ... أنت ها تخرج قبل معادك ..

الحكومة دى هايفة ومش هاتعمر وبكرة تشوف !!



تتلمذنا لنخدم

سر وفاة الخلواني

٤

●● هو في الأصل فلاح اشتغل فترة في الأرض بقريته على شاطئ الرياح المنوف قبل أن يستدعوه إلى الخدمة العسكرية، وبالرغم من إصابته بعرج خفيف في قدمه اليسرى، إلا أنهم جندوه، فقد كانت الحرب العالمية على أشدها، والمعارك مشتعلة في صحراء مصر الغربية وأخذوه في الجيش المرابط وأصبح حارساً لمخبأ بالقرب من محطة السكة الحديد بالجيزة. وارتدى حسن الخلواني زي الجيش المرابط فصار أشبه بمهرج في سيرك الحلو، طاقية واسعة وينطلون قصير وقميص نص كم وصندل مفدوغ ومفشوخ ورباطه مفكوك وجيوب يظهر من ساقه أكثر مما يخفى. ولكن الحياة في الجيزة تختلف تمام الاختلاف عن الحياة في قريته (الحضرة) على مرمى حجر من القناطر الخيرية. كان الخلواني - بالرغم من فقره وهزاله - ذكياً ولماحاً، وسرعان ما عقد أواصر الصداقة بينه وبين عبده المكوجي والمعلم صابر صاحب مطعم الفول والحاج حسين المخدماتي، كان إشرافه على المخبأ روتينياً.. فلم تكن هناك غارات مدمرة، حتى القلة القليلة التي كانت تلجأ إلى المخبأ لحظة انطلاق صفارة الإنذار، كفت عن الحضور إلى المخبأ بعد أن تبين لهم أن الصفارة تنطلق ويسود الظلام بعض الوقت ثم تنطلق صفارة الأمان دون أن تسقط قنبلة أو تنطلق المدافع ●●





● سر وثاة الحلوانى ●

واستغل الحلوانى وقت فراغه الطويل فتعلم فى دكان عبده المكوجى صنعة كى الملابس. وكان يساعد عبده بدون أجر، ولكنه كان ينعم معه بوجبة إفطار شهية.. فول وطعمية وسلطة طحينة، ثم كوب شاي ثقيل وسيجارة.. وفى فترة بعد الظهر كان يتولى إدارة مكتب عم حسين المخدماتى. فيقابل الزبون ويسجل فى الدفتر طلباته. وكان يقرأ ويكتب طشاش، حيث إنه التحق فترة فى صباه بكتاب الشيخ (ازدحم) واستطاع أن يفك الخط وكان يكتب الكلمات بحروف أشبه بحروف فرعونية. وبعد فترة استطاع الحلوانى أن يوفر لنفسه دخلا لا بأس به، بعد أن جعل من المخبأ فندقا للشيالين الذين كانوا يلقطون رزقهم فى محطة السكة الحديد. ولكن بعد فترة من الوقت لم يعد المخبأ وقفا على إيواء الشيالين، ولكنه تحول إلى مخزن لإخفاء المسروقات من معسكرات الجيش البريطانى. فرد كاوتش وصفائح بنزين وصناديق شاي وزجاجات ويسكى وبطاريات جافة، حتى تحول مخبأ الحلوانى إلى مستودع رئيسى لتجارة السوق السوداء، وكان الحلوانى سعيدا بالقروش القليلة التى يحصل عليها من رجال العصابات، ثم راح يطالب بنصيبه بعد أن أفهمه عبده المكوجى بأن البضاعة التى يضمها المخبأ تقدر بعشرات الألوف من الجنيهات وبالرغم من أنهم رفعوا نصيبه إلا أن الحلوانى لم يقنع بما يحصل عليه، فقرر أن يحصل على حقه (ناشف) باستيلائه على جزء من محتويات المخبأ وبيعه لحسابه

□ سروفاة الحلواني □

في السوق. وزاد وزن الحلواني وزال عنه القشف وارتدى الجلابيب السكروتة والأحذية الكاوتش والطواقي الحلوة، وعرف طريق السهر في القاهرة، واشترك في لعب الكوتشينة على المشاريب. وشعر حسن الحلواني بالاستقرار، وأن الحياة قد ابتمت له أخيراً وأنه سيقضى حياته يتقلب في بلهنية العيش. ولكن آه من الحياة.. طبعها الغدر وأبرز صفاتها التقلب. اكتشف رجال العصابات أن الحلواني حرامى وغشاش، وأنه يقتبس من المخزون نسبة لحسابه، فضربوه علة ومزقوا له جلابيه ومنعوه من دخول المخبأ وজন جنون الحلواني.. فالمخبأ مخبأ الحكومة، وهو مندوب الحكومة لحراسة المخبأ. ومع ذلك فهو ممنوع من دخوله، بينما مندوب العصابة هو الذى يتحكم فى المخبأ وفى محتوياته. خسر الحلواني كل شىء حتى القروش القليلة التى كانوا يعطونها له فى البداية. وفكر الحلواني فى طريقة للانتقام. ولكن كيف؟ هو يعمل فى الحكومة.. فلماذا لا يذهب إلى الحكومة؟ وهى بالتأكد ستتنصفه !

وخطف الحلواني رجله إلى مركز الجيزة وأبلغ مخبراً فى المباحث ووعده المخبر خيراً. ولكن العصابة علمت بالخبر بعد يوم واحد، وبالتأكيد من المخبر نفسه. وأكل الحلواني علة أخرى أشد قسوة من العلة الأولى. وقبل أن يفكر فى طريقة أخرى للانتقام. جاءت العصابة ذات مساء وأثناء وجود الحلواني فى مكان بعيد عن المخبأ ونقلت كل البضائع إلى مكان آخر، عاد المخبأ مجرد لوكاندة لبعض الشياطين، وعاد الفقر للحلواني مرة أخرى، وعاد هو نفسه إلى محل عبده المكوى يطفح الدم أغلب النهار فى كى الملابس لكى يحصل على وجبة مناسبة. ولكن الشىء الذى تغير بشدة هو موقف عم حسين المخدماتى من الحلواني. أصبح إذا قابله لا يلقى عليه السلام، وإذا شاهده متجهاً إلى دكانه أدار له ظهره. لابد أن عم حسين العجوز

□ سر وفاة الحلواني □

يخشى بطش العصابة ولذلك قرر قطع علاقته بالحلواني، هكذا فسر الحلواني الانقلاب في موقف عم حسين. وتأكدت شكوكه عندما أغلق عم حسين دكانه وأصبح يختفى عن الأنظار بالأيام والأسابيع ولكن الولد عبده المكوجى الناصح الحويط فسر له الأمر بما جعل الدم يغلى في عروقه. لقد أجر عم حسين الدكان للعصابة فصار مخزناً لهم بعد اكتشاف خيانة الحلواني. هل هذا معقول؟! عم حسين العجوز الطيب يحول دكانه إلى مخزن للعصابة لم يصدق الحلواني في بادئ الأمر. ولكنه تأكد من الحقيقة عندما رأى كل شيء بعينه. ذات ليلة والظلام حالك والبرد قارص، شاهد الحلواني عم حسين يفتح أبواب الدكان، ثم جاءت سيارة نقل وبها بضائع سرعان ما اختفت داخل الدكان. هي نفسها البضاعة التي كان يضيق بها المخبأ، صفائح بنزين وصناديق شاي وخراطيش سجائر وفرد كاوتش. ولم ينم الحلواني حتى طلع الصباح، فخطف رجله إلى المركز وأصر على مقابلة المأمور وأفضى له بسر العصابة ودكان عم حسين الذي تحول إلى مخزن للمسروقات. وفي مساء نفس اليوم الذي أبلغ فيه الحلواني البية المأمور، هجمت قوة من البوليس علي دكان عم حسين وكسروه ونقلوا كل محتويات الدكان، حتى الكراسي والمكتب القديم الذي كان يحتفظ به عم حسين من أيام العز القديمة. أما عم حسين فلم يظهر له أثر بعد ذلك، وقيل إنه لجأ إلى قريته دير الجنادلة في حضن الجبل الغربي بأسويوط. أما أفراد العصابة فقد اختفوا وكأنهم فص ملح وداب. انتقم الحلواني لنفسه من الجميع، وعاش حياته في هدوء، يكوي الملابس في دكان عبده طول النهار ويجلس على قهوة المعلم أمين طول الليل. ويدخل المخبأ فجرًا لينام ساعات قليلة بالقرب من باب المخبأ، لكي يبقى بعيداً عن رائحة الشيالين التي تشبه رائحة الخنازير. ولكن الحلواني لم ينعم بهذه الحياة إلا أسبوعين. وذات صباح استيقظ

□ سروفاة الحلوانى □

الشيالون وهموا بمغادرة المخبأ، ولكنهم فوجئوا بالحلوانى ممددا على الأرض والدماء تنزف منه بغزارة، وقد ذبحه مجهول من رقبته كالخروف. وجاءت الإسعاف وحملت الحلوانى إلى المستشفى، وتأكد للسلطات أن الجناة هم أنفسهم أفراد المصابة التى قام الحلوانى بالإبلاغ عنها وعن مخزنها فى دكان عم حسين. ولكن أين هم أفراد العصابة؟ لا أحد يعلم.. ولذلك أغلق البوليس المحضر والفاعل مجهول !

وخرج الحلوانى من المستشفى بعد شهور طويلة، بعد أن فقد نصف وزنه، وأخطر من ذلك أنه فقد صوته، فأصبح مبجوحا ومتقطعا ومن الصعب على أى إنسان أن يفهم شيئا مما يقوله الحلوانى. وعاش الحلوانى مرعوبا من شبح العصابة، يتوقع القتل فى أى وقت، حتى انتهت الحرب فسرحوه من الجيش المربط وعاد إلى (الخرصة) مرة أخرى.

ولكن القرية صارت غير القرية التى كان يعرفها، والشغل فى الحقول بعد الذى رآه فى المدينة أهون منه الموت على يد العصابة. وفكر الحلوانى فى طريقة للخروج من هذا المأزق، وسرعان ما عثر على الحل ونفذه على الفور. خطف الحلوانى رجله إلى مصر وذهب لمقابلة البية المأمور الذى صار مديرا للأمن العام. وكان الرجل قد أبدى عطفه الشديد على الحلوانى بسبب محاولة القتل التى تعرض لها بعد إبلاغه البوليس. وتوسط له الباشا المدير عند الباشا مدير السجون، فعيّنه حارسا بسجن القناطر. ولم يكن سجن القناطر سجنا كما هو الآن. ولكن كان إصلاحية للرجال. والإصلاحيات فى ذلك الزمان كانت هى الجحيم بعينه. يحشرون فى الإصلاحية أعتى المجرمين وأخطرهم، الذين فشلت الليمانات فى تقويم سلوكهم.. وخصوصا هؤلاء الذين ارتكبوا جرائم جسيمة داخل السجون. ولم يكن لنزول الإصلاحية

□ سر وفاة الحلواني □

وقت محدد للإفراج عنه، ولكنهم كانوا يمنحون النزول الذى يسلك سلوكا حسنا شريطا يعلق على ذراعه كعساكر البوليس. فإذا بلغ عدد الأشرطة خمسة، عرضوا أمره على لجنة كانت تنعقد مرة كل عام للنظر فى أمر هؤلاء المساجين. وكان يرأس اللجنة حيدر باشا نفسه. وكان من حق الباشا أن يأمر الحراس بفتح الباب والإفراج عن المسجون الذى يرى سعادته أنه يستحق الإفراج، أو ينزع الشرائط المعلقة على ذراعه ليعود المسجون إلى الدوامة المهلكة من جديد. وعندما وقع بصر العبد لله على الشاوش الحلواني كان قد مضى عليه فى سجن القناطر حوالى ثلاثين عاما، وقد أمضى الفترة كلها داخل منطقة القناطر، بالنهار داخل أسوار السجن وبالليل فى مسكنه بعزبة السجانة. وهى ليست عزبة ولكنها مجموعة من العشش على مرمى حجر من السجن وداخل حدوده. وهى فكرة من ابتكار سلطات الاحتلال الانجليزى، وهدفها فصل حارس السجن عن المجتمع المدنى فصلا تاما. فلا يكون له صداقات أو علاقات من أى نوع من المدنيين، وهو وضع كفيل بتحويل الحارس إلى وحش بلا قلب أو أحاسيس من أى نوع. وكان إمام الشاوش الحلواني بالقراءة والكتابة هو الطريق إلى ترقيته حتى صار شاویشا. وكان بالإضافة إلى العشة التى يسكنها مع أسرته يتقاضى ١٧ جنيها فى الشهر، وكان يسلمها كل شهر لزوجته لإنفاقها على الأسرة المكونة من ٧ أبناء غير الأم والشاویش الحلواني نفسه، والغريب أن الشاویش الحلواني كان على عكس أبناء مهنته لا يقبل الرشوة ولكنه كان يقبل بعض أصناف الطعام (الملكى) من النزلاء فى إفطاره أو غدائه. وكان من عادته بعد فتح الزنازين والتمام على النزلاء. أن يرسل المسجون النوبتشى إلى المخبز لى يحضر له رصة عيش من النوع الفاخر الذى يبيعه شاویش الفرن للنزلاء الأثرياء !

□ سرفاة الحلواني □

وكان يقبل كل ما يقدم إليه من الأطعمة، ويرصها بعناية على (الباشتختة) ملوذية بايئة على بيض مسلوق على طعمية على طرشى على سلطة قوطة على مربى على عسل اسود على ورك فرخة. وكان إذا بدأ إفطاره في الساعة الثامنة صباحا، فهو لا ينتهى منه إلا في الساعة التاسعة، وخلال الساعة كان الشاويش الحلواني يأكل الرغيف على دفعتين، يطوى نصف الرغيف بأصابعه، ثم يحشوه بكل الأصناف التى أمامه، ثم يلقى به في فمه، فينتفخ شدقه كأنه عازف ناي في فرقة أبو دراع. وكان من عادته لحظة دخوله العنبر في الصباح الباكر تعليق زمزمية المية على حديد شباك الوسط، وهو شباك عريض ومرتفع ومطل على الجهة البحرية وفي مواجهة ملقف هواء بارد حتى في فصل الصيف. وكان إذا بدأ الشاويش الحلواني إفطاره نزع الزمزية من مكانها على الشباك ووضعها أمامه على الباشتختة. وكان إذا زلط اللقمة أسرع إلى الزمزية وعب منها عبا ثم يتجشأ بصوت مسموع ويحمد الله قبل أن يستأنف التهام الطعام. فإذا انتهى من إفطاره طلب كوب شاي مضبوط من أحد النزلاء الميسوتين، فإذا جاء الشاي قبل شاكرا سيجارة ليحبس بها من أول نزيل يقدمها له. فإذا انتهى من الشاي والسيجارة جلس هادئا يلقى نظرات متفرسة يمسح بها الدور المكلف به. ولكنه كان بين الحين والحين يطلق من أسفله قنابل من ذوات المسموع وأحيانا من ذوات المشموم. وذات مرة اقترب منه مدير بنك كان متهما بالاختلاس فسقط مغشيا عليه، فقد كان الجو المحيط بالشاويش الحلواني أشبه برائحة دورة مياه لم يجر تنظيفها منذ سنوات. ولكن العجيب أن الحلواني كان لا يقبل أى شىء من النزلاء غير الشاي والسيجارة التى يحبس بها بعد الوجبة. وكان حريصا على التفتيش على عهدة السجن من البطاطين والأوانى.. كأنها عهدة أبيه. وكان يحب النظام وحريص على تطبيق اللائحة. وكان شديد الغم لأن السجنون تخلت عن مبادئها الأصلية وانهار النظام

□ سروفة الحلواني □

فيها إلى حد القوضى :

- تصدق بالي خلقك.. مصر كلها خابت بعد الخيبة الى حطت على
السجون !

- ليه يا عم حلواني ؟

- وهيه دى بقت سجون .. السجون كانت زمان يا بنى . كنا نقتل
المسجون وندفنه فى الحوش الى قدامك ده.. ولا سين ولا جيم
النهاردة متعرفش تشخط فى مسجون ؟!

وأشار عم الشاويش الحلواني على مسجون يتأهب للخروج من
العنبر، كان يرتدى بدلة سجن بيضاء مكوية بعناية، وتطل من جيب
الجاكته علبة سجائر مستوردة، ويدس قدميه فى حذاء رياضى ماركة
شهيرة.. وقال :

- بذمتك ده مسجون ؟ دا بيه، دا عايش أحسن م المأمور. تصدق
بالى خلقك، زمان كان المسجون إذا ضبطوه وأكل بصل نهار أبوه
أزرق، إذا شموا ريحته سجائر هيندم على اليوم الى امه ولدت فيه.
كانت الجزم ممنوعة والملابس الداخلية ممنوعة، وإذا المسجون احتاج
حاجة من الشاويش لازم يقوله.. يافندى. وإذا المسجون راح مكتب
المأمور، وأول ما يدخل من الباب لازم يركع على ركبة لحد المقابلة ما
تنتهى. أمال. كان فيه نظام !

كان مهموما ويأثسا من إصلاح الحال المائل. ولم تكن ثورته ضد
النزلاء فقط ولكنها امتدت إلى الضباط أيضا، وكان يتناول فى حديثه
ضابطا شابا يتمتع بشعبية واسعة بين النزلاء، وكان إذا تعرض له
قال بسخرية شديدة :

- أصله مش ابن المصلحة، وأصله ضابط مرور، وهمه دول الى
خبيوا السجون، بجييوهم من المطافى ومن الأقسام ومن المباحث
ودول ما ينفعوش. الضابط الكويس لازم يتأسس فى المصلحة من
الأول. ولازم يعرف اللايحة ويفهم النظام. ودول مابقاش موجود

□ سرفاة الحلوانى □

منهم حد دلوقت !

عندما كان الحلوانى غفير مخبأ فى الجيزة. كان إنسانا محبا للحياة. وبحبوحا للغاية. وبعد أن ضربته العصابة علة الموت امتلا مرارة وحقدًا على الناس جميعا. ولكنه نسى الأمر بعد فترة وحمد الله بعد تعيينه فى السجن، وسلوكه الطيب كان نشازا وسط حراس الاصلاحية. ولكن حقه القديم كله تفجر فجأة عندما جاء إلى السجن ذات صباح نزيل جديد، كان هو نفسه عضو العصابة الذى استأجر المخبأ، وكان هو نفسه الذى أشرف على علة الموت التى كادت تودى بحياة الحلوانى. ولم يستطع الحلوانى السيطرة على نفسه عندما ضبط النزيل إياه يدخن سيجارة فى دورة المياه، فضربه ضربة غيظ بالشومة على رأسه فسقط النزيل على الأرض، وباعت بالفشل كل محاولات عودته إلى وعيه، وبعد نقله إلى المستشفى اتضح أنه أصيب بكسر فى جمجمته وأنه فارق الحياة. وصرح الطبيب بدفن النزيل فى مقابر الصدقة، وحكموا على الحلوانى بالحبس خلف أبواب السجن تمهيدا لمحاكمته، وتأكد الحلوانى أنه ضاع، وتمنى لو كان عاد إلى زراعة الأرض فى قريته الخصرة. ولكن حظه المهبب قاده إلى السجن، وقاده السجن إلى ضياعه فى آخر العمر. ولكن أشد ما كانت دهشة الحلوانى عندما حكموا عليه بالبراءة، لأنه كان فى حالة دفاع عن النفس. فالنزيل مجرم معتاد إجرام، وفشلت جميع السجون فى إصلاحه، وشهد زملاؤه بأن المسجون اعتدى عليه بألة حادة. ولولا أن الحلوانى تفادى الضربة لانتهى به الحال إلى قرافة الإمام !

- كان فيه رجالة حلوة زمان : كل السجانة وقفوا معايا، والباشا المأمور نفسه شهد فى صالحى. تصدق باللى خلقك، لو حصلت الحادثة دى دلوقت.. كل السجانة الى انت شايفهم دول هيشهدوا ضدى، ولو اتحكم على بالسجن وجيت هنا أقصى المدة، هيضطهدنى

□ سر وفاة الحلواني □

السجانة قبل المساجين. مش بقولك الدنيا خابت يا سيد !
 كان مثله الأعلى في الحياة هو حيدر باشا. كان مدير سجون بحق
 وحقيق. كانت له هبة وكانت أوامره ملزمة للجميع .
 - تصدق بالي خلقك. الباشا حضر مرة مجلس الإفراج، وكان فيه
 مجرم رهيب كسروه لحد ما بقى مش قادر يقف على رجلية. نادى
 عليه الباشا.. وقاله انت معلق خمس شرايط يعنى ماشى كويس، رد
 المجرم وقال.. أنا خدام جزمتهك يا باشا. سأله الباشا عاوز تخرج
 يا واد. رد المجرم وقال.. الى تؤمر بيه يا باشا. قال له طيب ازحف على
 رجليك وايديك وتعالى لحد عندي هنا وبوس جزمته. تصدق بالي
 خلقك، زحف الواد المجرم زى الكلب على إيديه ورجليه لحد ما جه عند
 الباشا وطبع ميت بوسة على جزمته. شاور الباشا للسجانة الواقفين
 وقال لهم.. افتحوا الباب وخرجوه!! مش بقولك الخير كان كثير زمان،
 وكان كل شىء مطرحة، الباشا باشا والمسجون مسجون والشاويش
 شاويش. فين دا كله النهاردة؟ تصدق بالي خلقك.. أنا بادعى ربنا
 ياخذنى النهاردة قبل بكرة عشان ما شوفش المناظر الى بشوفها
 قدامى. امبارح مسجون جايله طشت لحمه راس وكوارع وفرة
 وطرشى بلدى.. ليه؟ هوه قاعد فين؟ فى الهنتور (الهيلتون) مش
 بقولك ربنا هيسخطنا إن شاء الله ويعملنا قروء !

كان من رأى الشاويش الطلوانى أن سر خراب الأرض أن
 السجون لم تعد تردع أحدا من المجرمين. تحولت السجون إلى فنادق
 ومستشفيات. تكلم المسجون ييوا فيك. والضرب ممنوع والنيابة
 حاضرة وكل يوم تحضر للتفتيش على السجون. إيه رأيك إن أنا
 امتحنت باكشويش ونجحت وما علقتش الرتبة لحد دلوقت. عارف
 ليه؟ لأن واد مسجون كان عامل صدامع للسجن كله مسكوه في يوم
 وحطوه في التأديب. كنت نوبتشى يوميهها وعمل لى مشكلة. حبيت

□ سرفاة الحلوانى □

أدبه حظيت له ميه فى الزنزانة. قال إيه جاله التهاب رئوى ومات. طب وانا مالى، عمره كده، والى جه أجله بيروح. إزاي بقى أقول كده للنيابة، ادونى جزا وجبسونى ١٠ أيام ورا البوابة ووقفوا ترقيتى لحد الوقت.. بذمتك ده عدل. بقولك البلد دى تستاهل الحرق، غيرش المشايخ حارسينها .

كان حلم الحلوانى الدائم ترك الخدمة والعودة إلى قريته. يشتري قطعة أرض ويزرعها بنفسه، ولكن من أين له المال الذى يشتري به فدان أرض فى الخضرة .

- تصدق بالى خلقك.. دا الحيطان الى ساترانا، انت عارف أنا عايش ازاي. البية المأمور ربنا يخليه سمح لى أخذ أكل من مطبخ السجن للعيال. والأكاداة أن المساجين بيقرقوا من أكل السجن . والمساجين المجرمين بيقرقوا منه وأنا وعيالى بناكل منه.. حد يصدق دى؟ كان واضحا أن الشاويش سيقته غيظه من الحال السيء الذى تدرجت إليه السجون فى السنوات الأخيرة. وكان يقضى أغلب وقته يقرأ فى لائحة السجن التى أهملوا شأنها فلم يعد يطبق منها شىء. المساجين سارحون طول النهار خارج الزنازين، ويحتاج الشاويش إلى ساعة كاملة لى يجمعهم ساعة التمام. مع أن اللائحة تنص على فتح الزنازين الخالية للتهوية وإغلاق الزنازين التى تضم مساجين . -أمال الإجرام زاد ليه فى البلد؟ لأن المجرم بيجى يقعد كام شهر فى اللوكاندة ويطلع يشرح فى الناس تانى. طيب اكسر ظهر المسجون كده وسيبه يطلع بره وشوف هيمشى كويس واللا لا؟

ذات صباح تحول الشاويش الحلوانى إلى نمر هائج. السبب أن وكيله فى حراسة العنبر ضبط أحد نزلاء دور ٤ يقبض بين أصابعه على نصلة حادة. ولما حاول انتزاعها من بين أصابعه طعنه بها فأحدث جرحا عميقا فى ذراعه. وجمع الشاويش الحلوانى كل حراس العنبر

□ سرفاة الحلوانى □

وهجموا هجمة عنترية على دور ة وضربوا كل نزلائه علقه ساخنة
سالت فيها الدماء وتقطعت فيها الأنفاس. وعندما جاء الشاويش
الحلوانى بعد انتهاء المعركة كان التعب قد نال منه .

وراح يلتقط أنفاسه بصعوبة . وقلت للشاويش الحلوانى .
— كان لازمته إيه ضرب كل الناس الى فى دور ة ، كويس الى
حصلك ده ؟

— آمال كنت عاوزنى أعمل إيه ؟
— كان كفاية تضرب الواد الى معاه النصل وخلص .
— بقى دا كلام ده .. أنا لما يقرصنى دبور ، أروح أموت الدبور
الى قرصنى ، وألا أهد العش كله ؟
— لكن دول ناس يا شاويش حلوانى مش دباير .

— تصدق بالى خلك ، دول أوسخ من العقارب والتعابين ..
تعرف أنا نفسى فى إيه ؟ يعملوا سجن فى الجبل ويعملونى شاويش ع
السجن كله . ويرحلوا جميع المساجين على هناك ، إذا خلّيت حد منهم
يشوف الأسفلت تانى أبقى تف على ، خلّى البلد تفوق وتشم نفسها
تانى ، لكن مين يسمع ومين يقرأ ؟

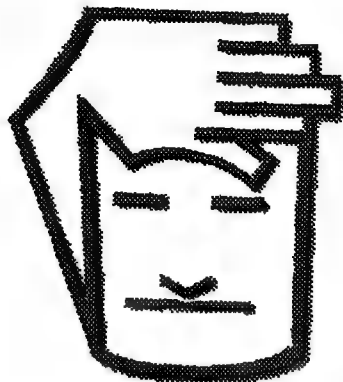
بعد أسابيع جاء العيد ، وفى صبيحة أول أيامه جاء البية المأمور
ومعه الوكيل وبعض الضباط ، ودخل العنبر ، واهتزت جدران
السجن من صرخة الشاويش .. انتباه ! وكان المأمور والهيئة كلها تمر
على الزنازين ، وتصور الشاويش الحلوانى أن حدثا خطيرا قد وقع فى
العنبر ولكنه فوجئ بالمأمور يصافح المساجين ويهنئهم بالعيد
ويتمنى لهم عيداً سعيداً خارج الأسوار فى العام القادم .. ثم فوجئ
بالمأمور يوزع علب الكحك على المساجين من باب الترفيه ، ولم يتحمل
الشاويش الحلوانى الصدمة فانسحب من الموكب ووقف عند الباب
ينفخ من شدة الضيق ، ويردد فى صوت مسموع .. عشنا وشفنا .. لا

□ سر وفاة الحلواني □

حول ولا قوة إلا بالله "

بعد أن انتهت جولة المأمور ، صعد الشاويش الحلواني إلى دور ٢ وجلس في مكانه المختار على الباشتختة ، ولأول مرة يطلب من العبد لله كوب شاى مطبوط وسيجارة . وخلع الشاويش الحلواني الجاكتة وجلس يشفط الشاى ويسحب أنفاسا عميقة من السيجارة . ثم فجأة مال رأسه على الباشتختة ، وسقطت السيجارة من بين أصابعه ، وهرع إليه بعض النزلاء ، ولكن الشاويش كان باردا كروح الثلج يبدو أن منظر المأمور وهو يصافح النزلاء ويوزع عليهم علب الكحك ، قد أصاب الشاويش الحلواني بغصة شديدة . يبدو أنه تمنى الموت بعد أن رأى بعينه هذا الانهيار الشديد الذى بلغ حد توزيع الكحك على النزلاء . مع أن أحدا في المصلحة لم يفكر في توزيع الكحك على الحراس! وأخيرا قدر للشاويش الحلواني أن يتخلص من كل أحزانه ، مات الشاويش الحلواني في لحظة اكتشف فيها أن الفساد الذى دب في السجون تجاوز كل الحدود !"

ولكن طبيب السجن الذى لم يعرف من الحلوانى إلا اسمه ، كتب على شهادة وفاة الحلوانى .. هبوط شديد في الدورة الدموية .. ولم يكن هذا السبب هو الذى أدى إلى وفاة الحلوانى بالتأكيد "



تتابع يا شدي

الأسير

●● كبر شيء وأكبر شيء معرض نجنون حتى الدنيا نفسها ومنذ
نهاية الحرب العالمية الثانية ظهرت بوادر الجنون على الدنيا كلها.
السبب المباشر أن الحرب كانت ذاتية للغاية. أكثر من ٦٠ مليوناً
من زهرة شباب الكرة الأرضية فقدوا أرواحهم وهم في عمر
الزهور. ومن كرامة ته مسحتها من على ظهر الأرض ومنات
الأشرف من الأطفال ته شجنته بعيداً عن مبادي القتال، ونهت
الأمم بهم إلى نية ونشره والضياع وجيوش بالملايين غادرت
أوطانها ذات صباح في طوابير ضخمة وعلى نعمات موسيقى
حماسية ولم يقدر إلا لبضعه مئات منهم بالعودة إلى الوطن ودفن
تساقون تحت حقول القطن وكثبان الرمال. ته اتسعت رقعة
الجنون عندما بدأت أكبر حركة تغيير في تاريخ الكون
الامراتورية تحت مظلة بدأت في الانفصاح، والذين استضعفوا في
الأرض أخذوا في تنهوض. أفريقيا مثلاً التي كانت غابة وحوش
ومستودع خدم، باتت سيد الأبيض من أوروبا مريضاً وممعوراً
تتحول إلى طرزين. ضاع بمك وفي أنوف الخدم
يتحكم. بقيه في قصر ولا قصر لا يزيه يزرع الأفقون
لأهل البلاد، ويزرع تدخان وثشاق للجدرة، وبغطر
كبر صباح بعض شعاع وينبع كبر مساء غزله.
وبين صباح والمساء ينسج يكر نظاويش وأسرار
بصم. أفريقيا تهتد به بندق طبول تنورة وجيش
خلاص هب نالسماء من سنوات نسج وجوع ●●





● الأسير ●

والعملاق الميت آسيا دبّت فيه الروح من جديد، وقام الذين كانوا من سقط المتاع يطالبون بنصيبهم من الحق والحرية ونهض ولد سفروت مصاب بالانيميا يدعى جياب واستطاع بحفنة من المرضى المقشقين أن يحطم كبرياء فرنسا وأن يجبر الجنرال الفرنسي في فيتنام على الركوع أمامه والتوقيع على وثيقة الاستسلام بعد استسلام القائد الفرنسي بسنوات. فعل نفس الشيء القائد الأمريكي ووقع وثيقة استسلامه لنفس القائد

وفي نفس المكان. وبين الواقعتين هبت رياح التغيير على الشرق الأوسط، وحدث في هذه الأثناء أن تلقى سرحان ابن هدية استدعاء للكشف الطبى وليصبح بعدها جندياً في جيش مصر، وغادر سرحان قريته (المعدية) في ريف كفر الشيخ وفي يقينه أنه لن يلتحق بالجيش فهو مريض بالبلهارسيا ولونه أصفر دائماً وصحته على قدمه، وأنه سيحصل على شهادة (المعافاة) وبعدها يستطيع الالتحاق بخدمة الحكومة فراش في مدرسة أو غفير مزلقان ويصبح مستوظفاً يقبض «فلوس» أول الشهر وآخره !

ولكن فرحة ماتمت خدّها الغراب وطار في (النضارة) طلع ابن هدية صاغ سليم وأصبح عسكرياً في الجيش وشمال يمين وطواوير على ودنه وأثمر طعام الجيش فيه فردت الدموية في وجهه وانتفخت عضلاته، ثم فجأة وجد نفسه على مركب في البحر في طريقه إلى بلاد بره .. باضت لك في القفص يا ابن هدية .. كان يحلم بالسفر إلى طنطا

□ الأسير □

لزيارة مقام السيد البدوي فإذا به يركب البحر في طريقه إلى بلاد بعيدة أبعد من البلاد التي تشرفت بالرسول الكريم وبعد عدة أيام وصلت المركب إلى الميناء وعرف ابن هدية أنه في اليمن وبها من بلاد غريبة يرتدى أهلها الفوط ويدخنون الشيشة ويطبخون الحلبة ويزرعون العنب ولكن من غضب الله عليهم أنه يعثر في كل شبر من أرضهم سلسلة جبال لا تنتهي جبال تناطح السحاب وجبال نص نص، وفي الجبال وحوش وثعابين ونحل قرصته ولا قرصة العقربة، وشهده من نفس نوع شهد الجنة وسوء بختك يا ابن هدية أنه استلم موقعا على رأس جبل يا سبحان الله حكمته واسعة وهو على كل شيء قدير .

أحيانا يمر السحاب فيغطيه وأحيانا تنكشف الدنيا عن وديان جميلة وزراعات تشبه حقول المعديّة وربما يكون فيها فلاحين كفلاحين كفر الشيخ غلاية أيضا وآخر قشف أيضا يا لها من أيام طويلة مملة مرت على ابن هدية وهو في موقعه أحيانا يقطع الملل صوت الرصاص وأحيانا يسمع أخبارا عن سقوط قتلى هنا وهناك آه لو استطاع ابن هدية أن ينزل يوما من فوق القمة ليتجول في الحقول ويشم رائحة البرسيم والحبّة. ولكن هل يزرعون البرسيم هنا أيضا؟ وهل كل الحيوانات تأكل البرسيم أم أنها حيوانات مصر فقط التي تأكله؟ ليتّه يلقي نظرة على بيت فلاح هنا وهل يا ترى لديهم مقاعد وقاعات وأفران لزوم النوم في ليالي الشتاء؟ ليتّه يلقي نظرة على أحوال الناس في بلاد بره ليرى الفرق. مصر طبعا هي أم الدنيا وأكلها أحسن أكل وأرضها أفضل أرض. هل يا ترى يشربون اللبن من «البوشة»؟ وهل يخضون اللبن ليتحول إلى سمن؟ هل يأكلون الخبيزة والملوخية والفول الحراتي؟ ياسلام لو عرف أحوال الناس هنا لكى يحكى للفلاحين في (المعدية) عندما يأذن الله بالعودة، ولكن كيف له أن

□ الأسير □

يحقق هذا الحلم والأحوال هنا صعبة والحرب لا تنتهى، ويقول إن الإمام مصر على العودة، إمام خائب بالتأكيد لأنه يصر على العودة إلى هذه الجبال الموحشة مع أنهم يقولون إنه يعيش آخر مملكة في بلاد الافرنك! شهور طويلة مضت قبل أن تسنح الظروف لابن هدية بالنزول من القمة. جاءه الفرج بالنقل إلى صنعاء، ونزل من الجبل إلى المعسكر في السفح قبل الرحيل إلى صنعاء، وذات صباح كان الشاويش المسئول عن المعسكر بلدياته من (مطويس) فاستأذن في الخروج قليلا فأذن له بشرط أن يعود إلى المعسكر قبل موعد التمام، وخرج ابن هدية يتجول في الفضاء المحيط بالمعسكر، ورأى مزارع على مدد الشوف وبيوتا وقطعان ماشية تسرح فأسرع الخطى إلى هناك. وأخيرا وصل إلى هدفه ووجد جماعة يجلسون حول منقذ نار تفوح منه رائحة شاي ومعهم برسيم يمضغونه وهم يتسامرون ويضحكون. البرسيم هنا إذن للبنى أدمين وليس للبهائم. والغريب أنهم يسمون البرسيم.. القات، بلاد عجيبة وأحوالها أعجب ولا يعرف السر في اللخمة التي أصابتهم عندما وقع بصرهم عليه، يبدو أنهم ظنوه حرامى فأمسكوه وكتفوه، وساقوه أمامهم كما كان يفعل أهل المعدية عندما يقبضون على فلاح غلبان يسرق كوز ذرة من الحقل. ومضوا بابن هدية إلى مكان بعيد، هناك وجد ناس كثيرين حفاة، وجوههم شاحبة وأعوادهم ممصوفة. كأنهم خرجوا من القبور فجأة. وفي قاعة مظلمة حبسوا ابن هدية ولكنهم بعد فترة جاءوا له بالشاي، وفي المساء جاءوا له بالعشاء لحم وخبز وحلبة مطبوخة. وجاء أحدهم ومعه الشاي ولقمة عيش وقال له.. أنت الآن في منطقة الشيخ الغادر، وتستطيع أن تغفلت من الموت.. إذا قلت.. أنا في وجه الغادر. يالها من بلاد طيبة يهتف الانسان.. أنا في وجه الغادر فيتركونه ويعفونه من الموت، وفي بلاد أخرى لو قال البنى آدم.. أنا في

□ الأسير □

وجه ربنا، لا يفلت من العقوبة ولو كانت هينة! هتف ابن هدية أنا في وجه الغادر. من هو الغادر؟ لا يدري.. من يكون هذا الغادر؟ لا أحد يدري ربما هو قاطع طريق أو شيخ منصر لا بد أن أسنانه مدببة وعيونه تطلق شرارا. ولكنه رأى عكس هذه الصورة عندما أصبح بين يدي الغادر. رجل يرتدى ملابس نظيفة، وعلى رأسه عمامة ملفوفة بعناية، ولون بشرته أقرب إلى لون بشرة الخواجات، وعيونه في لون البحر المالح. ويبدو من جلسته أنه صاحب مركز كبير. وعندما تكلم الغادر كان كلامه بالعربي الفصيح. قال له.. المفروض أننا نضربك بالنار. لأنك عسكري جئت لغزو بلادنا، ولكن لأنك قلت أنك في وجه الغادر، فسنعتريك أسيرا وسنعاملك معاملة الأسير وأمر له الغادر بملابس يمنية، فوطه وقميص وخصص له رايالا كل يوم بخلاف أكله وشربه. مصير أسود يا ابن هدية، وستعيش حياتك في الغربة ولن يكتب لك رؤية المعديّة وعاش ابن هدية عشرين يوما بالتمام والكمال، قبل أن يستدعيه يمني آخر طويل وعريض، ثم سلمه لجماعة من الخواجات معهم مترجم مسلح بمدفع رشاش. وانطلقت بهم سيارة مسرعة تطوى الوديان والجبال، وبعد عدة ساعات وصلت بهم إلى مدينة تشبه طنطا. يا سلام على أيام العز التي قضّاها في طنطا عندما كان يتردد عليها في أيام مولد السيد أحمد البدوي. الفرق الوحيد بين هذه المدينة وطنطا هو أن الأولى هادئة ونظيفة وليس بها دكان واحد يبيع الحلاوة الحمصية. في مكان مثل هذا يمكن للإنسان أن يعيش. وتصبح الأشياء معدن لو اشتغل شغلانة يأكل منها عيش ويدخر بعض المال ليسافر به إلى المعديّة، ولكن حظك المهيب يا ابن هدية أن السيارة توقفت عند مبنى أشبه بالقلعة التي في (المعديّة) والتي قبل إن الحكومة أقامتها منذ ألف سنة لصدهجمات الخواجات الذين كانوا يطمعون في بر مصر بين الحين والحين!

□ الأسير □

وعندما أدخلوه القلعة اكتشف ابن هدية أنه في السجن. الله يخرب بيت الغادر وبيت أبوه. قال له سنعاملك كأسير، وهل يدخل الأسير السجن؟! ولكن الحق أحق أن يتبع. السجن الذى أدخلوه فيه أنظف وأفضل مائة مرة من السجن الذى دخله ذات مرة في قسم بوليس طنطا. كانت ليلة مولد والجميع مسرورين، وكان ابن هدية يسهر في قهوة عشوائية أقيمت على الرصيف بمناسبة المولد. وكانت ترقص في القهوة غازية لهلوبة أشاعت النشوة في القلوب. وفجأة جاء بوكس الحكومة وطربق القهوة على رؤوس الجالسين، وحطم نصبة الشاي واستولى على الجوز والشيش، وساق الجميع إلى القسم، يالها من ليلة ليلاء باتها ابن هدية على الأسفلت، والبرد يفرى العظام لا كوب شاي ولا حتى شربة ميه ولا لقمة تسند القلب. وليلة ثانية وثالثة حتى كاد يهلك، بعدها أفرجوا عنه بعد أن انتهت التحريات، ولكن هذا السجن نظيف والطعام الذى يقدم له طيب ويليق بالبنى آدمين. والمشفون على السجن ناس طيبون لأنهم يقدمون له أربع سجاير كل يوم. لوفقط واجهوه بتهمته، لو يقف أمام محكمة، لو يفهم إيه الحكاية. المهم.. بعد شهر من وجوده في السجن جاء أحد الخواجات ومعه مترجم. وسألوه عن اسمه وظروف تجنيده، وبدأ أن مأساته بعد قليل قد تنتهى، ولكن الخواجا والمترجم لم يحضرا إلا بعد مضى شهر آخر. وفي هذه المرة أعلنوا أنهم على استعداد للإفراج عنه، وترتيب إقامة مريحة له في بيت ضيافة يليق به، ثم تسفيره إلى مصر ليعود إلى قريته وفي جيبه مبلغ كبير من المال يكفى لشراء قطعة أرض واقتناء قطع من المواشى يعينه على بدء حياة جديدة له ولأسرته. يا حظك يا ابن هدية، باضت لك في القفص، وكان يوم سعد يوم خروجك من المعسكر ووقوعك في أسر الغادر. والغريب أنهم يعرضون هذا الخير كله مقابل خدمة هافه، انه لا يصدق ما قبل له، مطلوب من ابن هدية أن يتكلم في

□ الأسير □

إذاعة عدن، ويعلن أنه جاء إلى اليمن رغم أنفه، وأنه سلم نفسه للأسر لأنه رفض أن يطلق النار على عربى مثله!! ثم يدعو زملاءه من العساكر إلى تسليم أنفسهم إلى أنصار الإمام لينعموا بالخير الذى ينعم به !

والله .. ودارت الأيام يا ابن هدية وأصبحت شخصية تتحدث فى الإذاعة مثل الكبراء.. الغريب أنهم يطلبون منه الكلام كل مساء لمدة نصف ساعة، نصف ساعة بس؟! لماذا لا يتكلم طوال النهار، وهو على استعداد للكلام طول النهار وطول الليل أيضا.. والحساب يجمع. وبدلاً من بناء دار فى (المعدية) يبنى دواراً على التربة. وآه لو تمكن من الاتصال بشقيقه حافظ الغفير، لينبه على المعدية كلها لكى تستمع إليه من إذاعة عدن. يا مين يقول للجميع على الأمله التى يعيش فيها ابن هدية وشحط طويل عريض يقدم له صينية الإفطار وهو كاوغ على السرير، سرير ولا سرير مفتش الرى الذى كان يقيم فى الاستراحة على شاطئ النيل بالقرب من المعدية وحن الموعد ليبدأ ابن هدية عمله الجديد، جاءت سيارة فخيمة أفخم من التاكسى الذى يجرى فى شوارع مصر، ووصل إلى الإذاعة واستقبلوه بالترحاب وكأنه مدير كبير، وحشروه فى حجرة مغلقة وأمامه ميكروفون وبدأ يتحدث. وأخذته الجلالة فتحدث ولاخوجة فى المدارس. وبعد فترة من الوقت أضاءوا النور الأحمر ومنعوه من الكلام. ثم صافحه الجميع بحرارة وهناؤه بشدة، ووصفوا صوته بأنه صوت إذاعى جميل. وسرح ابن هدية وهو يتمتع على السرير.. يا سلام لو يعينوه مديعاً فى إذاعة عدن. وبعد أن يتسلم قرار التعيين ويقبض أول مرتب يركب المركب ويسافر إلى مصر ويزور المعدية، ويشتري للوالدة راديو يابانى يتيح لها الاستماع إليه فى إذاعة عدن! وشهر بحاله وابن هدية يعيش فى بلهنية العيش، يقيم فى بيت الضيافة، ويتحدث كل مساء من خلال

□ الأسير □

الإذاعة . وسرح خياله فاخترت أكاذيب كثيرة عن الوضع داخل اليمن، وكلما اختلق أكذوبة وجد تشجيعاً أكثر ومعاملة أفضل. وبعد شهر كامل جاءه الخواجا والمترجم، واصطحبوه معهم إلى المطار، وصعدوا به على طائرة حربية وبعد ساعتين هبطوا به في أرض غريبة، ثم أفهموه أنه في قبرص وذهبوا به إلى فندق وسلموه جواز سفر ومبلغاً من المال، وطلبوا منه تدبير سفره إلى مصر فالمسافة قريبة ومعه من الثمن ما يكفي للسفر ولتدبير حياته الجديدة، وقع ابن هدية في حيص بيص، لم يدرك الحكمة من استخدامه ولم يدرك الحكمة في الاستغناء عن خدماته. وجواز السفر الذي معه يمنى من حكومة الإمام وبتاريخ قديم، واسمه الجديد حميد صبرا. ولكنه خرج من حيرته بعد أيام عندما التقى ببعض المصريين يبحثون عن عمل في قبرص. وأفهموه أنهم في طريقهم إلى لبنان فشواطئها مفتوحة وكل الناس يدخلونها في أمان الله. وذهب معهم في مركب وأنزلوه في الماء، وراح يعوم بملابسه حتى وصل إلى الشاطئ وأرتمى هناك على الرمال وذهب في نوم عميق، عندما استيقظ من نومه كانت الشمس عالية وساخنة، ولم يجد شيئاً في جيوبه، لا فلوس ولا جواز سفر، وتوكل على الله وزحف مبلولاً نحو المدينة، وتسول عدة أيام ثم وجد لنفسه مكاناً في غرزة لتدخين الحشيش، ومرت أسابيع حتى هجمت قوة من البوليس على الغرزة وألقت القبض على ابن هدية. ولم يستطع تفسير وجوده في بيروت، وبعد عدة أيام من التحقيق والتحرى سلموه للسفارة المصرية. وفي السفارة قال لهم الحقيقة، كيف أسروه؟ وكيف أجبروه على الحديث في الإذاعة؟ وبعد أيام وجد نفسه في مطار القاهرة ومن المطار إلى السجن الحربى .

نهارك أزرقي يا ابن هدية، وكل ما أكلته بط بط، ستتبرزه ووز. ومحكمة عسكرية وحكم بطرده من الجيش و٧ سنوات سجن، اللحظة

□ الأسير □

وقع بصرى عليه في سجن القناطر كان يعمل في ورشة الأحذية. وكنت هناك لاصلاح شبشب أصابه العطب. وكان يبدو دون المساجين جميعا صامتا ومكسورا ومذعورا من شىء ما. وعندما سألته عن تهمة أجاب في همس :

- سياسى زيك !!

سياسى . إخوان . شيوعى ، مراكز قوى؟ جماعات إرهابية؟ كان يهز رأسه بالنفى عقب كل سؤال. ثم راح يحكى لى قصته منذ لحظة تجنيده وحتى لحظة دخوله السجن. وكان قد مضى عليه خمس سنوات كاملة ولم يبق أمامه إلا سنتان وسأل العبد لله :

- انت كمان بعد ما تطلع من السجن هتقعد عاطل؟

- عاطل ليه ؟ هاشتغل طبعاً ..

- أصلهم قالوا لى إن جريمتى ماسة بالشرف .

- تبقى مش سياسى بقى .

- مش سياسى ازاي، أنا سياسى ونص. كنت باقول فى الإذاعة، دنا كنت مشهور فى عدن، والناس كانت تعرفنى هناك، بس الراحل الخواجا كان خايف على ليضربونى بالنار، بس ماكنتش عارف ليه؟ مع ان الناس هنا بتحب جلال معوض وبتتشرف بمعرفته .

- ما هو انت مش زى جلال . جلال كان مضيع بس انت خائن. أفزعته كلمة خائن بشدة. ترك فردة الشبشب تسقط من يده وقال :

- خائن ازاي يا أستاذ، أنا عملت إيه؟ أنا كنت بتكلم فى الإذاعة. ثم هوه أنا اتكلمت فى الإذاعة بمزاجى؟ دا كان غصب عنى ثم دول عبط وأنا ضحكت عليهم، وكل الكلام اللى قلته كذب. دنا عملت خدمة للبلد وكان لازم يكافئونى!

وصمت بعض الوقت قبل أن تتحدر الدموع على خديه، ثم هب واقفا تاركاً فردة الشبشب على الأرض وانصرف خارجاً من الورشة.

□ الأسير □

أيام طويلة مضت كنت ألقاه أحياناً في فناء السجن ولكنه كان يتحاشى النظر نحوى أو الحديث معى. ولكن سنحت للعبد لله فرصة الحديث معه ساعات طويلة. كان ذلك قبل الإفراج عن العبد لله بأسبوع واحد. وكانت ورش السجن تواصل العمل ليلاً ونهاراً من أجل الانتهاء من إعداد عدة مئات من الشنط لبعثة وزارة الداخلية المسافرة إلى الحج. واندمجت ورشة الشنط مع ورشة الأحذية، وسهر مساجين الورشتين في فناء السجن كل مساء حتى الصباح للانتهاء منها في أسرع وقت. في ليلة من هذه الليالي شعر العبد لله بضيق في التنفس. وكانت هذه النوبة هى السبب المباشر الذى جعل الضابط النوبتشى يسمح للعبد لله بالجلوس فترة من الوقت في الهواء الطلق، وهكذا خرجت من العنبر إلى الحوش، وجلست على مقعد بجوار العمال الذين انهمكوا في العمل. ويبدو أن حالة العبد لله كانت تصعب على الكافر، فأسرع أحد العمال بإعداد كوب شائى على وجه السرعة. وعندما امتدت يد العامل بالكوب نحوى، اكتشفت أنه هو نفسه السياسى مذيع عدن! قال لى وهو يمد يده بكوب الشائى :

- شد حيلك، دنا سامع إنك خارج قريب.

هززت رأسى بالموافقة فواصل حديثه قائلاً :

- لما يكرمك ربنا وترجع تكتب تانى، أبقي اكتب عن حكايتى.

- أكتب أقول إيه ؟!

- أنا يا بيه خرجت من مصر ما عرفش حاجة، ورجعت مصر وأنا مش عارف حاجة، إذا كنت اتعلمت حاجة أبقي اتعلمتها في السجن .

- يعنى لما اتكلمت في الإذاعة ما كنتش عارف بتعمل إيه ؟

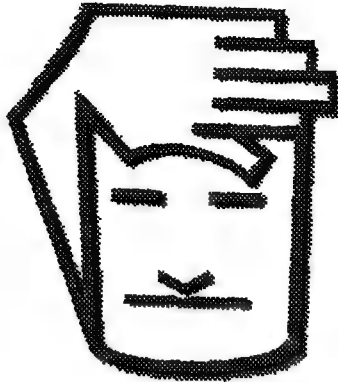
- والى جمعنا من غير ميعاد ما كنت عارف حاجة ولما مسكونى

بنديقية في اليمن وقالوا لى حارب ما كنت عارف أى حاجة لو فهمونى المسألة م الأول ما كانش جرى الى جرى. في الحرب كنت بانفذ أوامر

□ الأسير □

وعاوز أرضى الضابط وكان نفسى الحكاية تنتهى بسرعة مش مهم مين يغلب ومين يتغلب.. المهم تخلص والسلام ولما خدونى ع الاذاعة أتكلم ما كنتش عارف إيه الحكاية. أنا افكرتها شغلانة وربنا فتحها فى وشى. عارف لو فهمونى إيه الحكاية كنت ما فتحتش بقى بكلمة حتى لو قطعوا جسمى بالحنة. أنا معقول أبقي خاين؟ أخون مصر أنا يا بيه؟ أخون المعدية؟ أخون العيش والملح؟ دنا قلبى هيتقطع من جوه عشان ماحدش من أهلى زارنى فى سجنى.

مكسوفين منى ومن عملتى السوداء هو أنا عملت حاجة ؟
وانخرط ابن هدية فى بكاء شديد وبدرجة لفتت انتباه جميع المساجين الذين يعملون بالقرب من المكان الذى أجلس فيه وغادر ابن هدية مكانه واتجه ناحية حنفية الحريق وفتحها على الآخر، ووضع رأسه تحت شلال الماء المتدفق من فوهتها الواسعة، ولم أر ابن هدية بعد ذلك إلا بعد مضى عشر سنوات كان ذلك فى عام ١٩٨٣. عندما فوجئت به يدخل مكتبى فى روزاليوسف لم أعرفه فى بداية الأمر كان قد شاخ وشاب شعر رأسه لقد فشل فى العثور على عمل فاحترف التسول فترة ثم عادة إلى القرية بعد موت والده ولكنه لم يستطع البقاء طويلا، فالجيل الجديد الذى لا يعرف حكايته كان ينظر إليه بازدراء شديد وهو يعمل حاليا عاملا فى قهوة على الرصيف المجاور لمقام سيدى أحمد البدوى. مسكين ابن هدية. قضى أغلب سنوات حياته لا يفهم شيئا مما يدور حوله، وعندما فهم.. كان قد خسر كل شىء. ثم .. كم يبلغ عدد أبناء هدية من أبناء المحروسة.. مع اختلاف الظروف والنهايات !



تسليم يا سند

الزعيم

٦

●● كان اسمه بنوى كاتعيل في أنحاء السجن ، وله بكن نسب في شهرته أنه سجن سياسي كان ينطع لتوثيق على السلطة وليس لأنه نزل السجن منذ عشرينات ، وبسبب لأنه كمنجى يجيد أخذت بصوت كصوت ميكروفونات لأفراج ولكن شهرته كانت بسبب سلوكه الغبي داخل السجن ، كان مرتضى لنا كتب لعدم دافع نصيت ، وكان يحفظ قانون العقوبات عن ظهر قلب ، وبنده فكرة وسعة عن طبيعة جمع القضاة الكبار في محاكم الجنايات ويمكنه تصنيفهم من خلال فهمهم للقانون وتطبيقهم له ، فهذا يدلجى .. أى أنه بميل للإدانة ، وهو لا يؤمن كثيراً بالمبدأ القانونى الذى يفسر انك نصيحة منهم ، ثم هو لا يحكم إلا بأحد الأقصى لعقوبة ، وهو في النهاية فخور لأنه لف عشرت الرقاب في جبال المناق ، وهذا القاضى الآخر ضب ، بميل إلى التماس العذر للمتهم ، ويبحث في عوامس الضغط التى أدت بانتهام إلى الانفجار . أما القاضى الثالث فهو من نوع السبيل ، لا يحيط بالقضية المعروضة أمامه ، ولا يفكر بالأوراق ولا يسمع إلى دفاع الماعين وأحكامه عشوائية ، أغيبه ترفضه دون محكمة تنقض وتعيد لها لتطرح من جديد ، وكذلك كان كتب انحامى ندر استطع أن يحدد مصدر القضاة ، ليس من خلال الأوراق ولكن بمعرفة اسم القاضى الذى سيقدر القضية ●●





● النزع ●

ولهذا السبب ذاع صيته في مكاتب المحامين ، وعند المجرمين لدرجة أن بعضهم كان يؤمن بأنه هو الذي يملئ على المحامي دفاعه في القضية ، كان ندا يسكن في حى القلعة ، وكان من عاداته التردد كل مساء على قهوة في نهاية شارع محمد على ، وفي مواجهة جامع السلطان حسن ، وكان ينهمك بعض الوقت في لعب الطاولة ، ثم يتفرغ بقية السهرة ليحكى للجاسين عن أهم القضايا المعروضة أمام المحاكم ، ويتنبأ بنهاية كل قضية ،

وكانت تنبؤاته غالبا تتحقق ! وكان يتردد على القهوة نفسها مجموعة من الشباب من طلبة الجامعات يشكون تنظيما سريا يساريا باسم «الحصن» وقد لفت ندا نظرهم بنشاطه وثقافته القانونية وصفات القيادة التي يتميز بها وقدرته على السيطرة على الآخرين ، وتعهد أفراد التنظيم الدخول مع ندا في نقاش ، انتهى إلى خناقة حامية ، أعقبه صلح بين الطرفين ، وتطور الصلح إلى صداقة ، وأخيرا أصبح ندا عضوا في تنظيم الحصن ! وأقنعه أعضاء التنظيم بالحصول على البكالوريا من منازلهم ، ثم الانتساب إلى كلية الحقوق ، وأكدوا له جميعا أنه لو أقدم على هذه الخطوة فسيكون أعظم محام في مصر وأوسعهم شهرة ، ودخلت الفكرة رأس ندا أفندى فانهمك في دراسة البكالوريا ، واستطاع أن يتخطى هذه العقبة بنجاح ، وأصبح طالبا منتسبا بكلية الحقوق ، ولكن المحامى الذى يعمل عنده لاحظ أن ندا لم يعد في نشاطه المعهود ، أصبح كثير الغياب قليل الجهد ، وعندما

□ الزعيم □

اكتشف أنه انتسب إلى كلية الحقوق فصله من العمل ، وحاول ندا أن يحل مشكلته بالعمل في مكتب محام آخر ، ولكن تنظيم الحصن حل المشكلة بطريقته ، عرض على الزميل ندا أن يحترف العمل السياسي ، وأن يتولى قيادة التنظيم نظير أجر ، ويتفرغ في الوقت نفسه لدراسته ، خصوصا أنه أصبح في السنة الثالثة ، ولم يبق أمامه سوى عام وبعض عام ليصبح محاميا يشار إليه بالبنان . ووافق ندا على عرض الزملاء بالرغم من ضعف المرتب ، وهكذا أصبح قائدا لتنظيم الحصن وطالب علم على مرمى حجر من الليسانس ، أغرب شيء أنه استطاع في الموعد المحدد أن يحصل على الليسانس بدرجة جيد ، واستطاع في الوقت نفسه أن يخرج بالتنظيم من الحلقة الضيقة إلى رحاب أوسع ، وأصبح شهيرا في الحركة الشيوعية ، وتمكن في فترة قصيرة من الدخول في معارك رهيبة ضد تنظيمات أخرى صغيرة ، ونجح في تصفيتها وضم قواعدها إلى تنظيم الحصن ، ومرة فترة التمرين كمحام سريعة وعاصفة ، وأصبح ندا بعدها محاميا في مكتب مستقل وله تليفون وكاتب ، واختص ندا بقضايا أعضاء التنظيمات السرية في مصر ، وصارت له مكانة خاصة بين أعضائها ، وبالرغم من حرصه وحذره ، فقد دخل السجن معتقلا وغاب فيه ثلاثة أعوام ، ثم عاود العمل السياسي بعد أن قام بتطهير حزبه ، واستبعد المهادنين والمتريدين ، وحمل حملة شعواء على الاتحاد السوفيتي ، وأعلن أن الاشتراكية الحقيقية في آسيا وليست في أوروبا ، ورفع شعار الصين وطريق الاشتراكية ، وأسس تنظيمه الجديد على أسس متينة ومن أفراد عرفوا بصلابتهم وقوة شكيمتهم ، ودخل في معارك عنيفة ضد جميع التنظيمات المعادية واتهمها بالعمالة والتبعية ، وبأنها دوائر ديدانية لا تعبر عن أحلام وآمال شعب مصر .

واشتدت حملته ضد حكومة مصر فاتهمها بالعمالة للحكومة

□ الزعيم □

الروسية التى هى حليف قوى للامبريالية الأمريكية ، واتهم السفير الروسى بأنه المندوب السامى فى القاهرة ، وأنه يحكم مصر من وراء ستار ، وكان يمكن للزعيم ندا أن يمضى فى طريقه إلى ما لا نهاية ، ولكنه لم يفتن إلى حقيقة مرعبة ، وهى أن الرجال أصحاب الإرادة الحديدية الذين اختارهم لقيادة مصر على طريق الاشتراكية كان بعضهم يعمل لحساب جهاز المباحث فى لحظة ما فى التاريخ .. كانت مصر تمر بظروف سياسية معينة ، وحكمت السياسة أن تتخذ الحكومة موقفا متشددا من اتجاه سياسى معين لكى تنفى عن نفسها صفة الانحياز ، وكانت الطبخة قد استوت بالنسبة لتنظيم الرفيق ندا ، فوجد نفسه فجأة متهما فى قضية سياسية كبرى ، وصفقتها النيابة العامة بأنها قضية الجيل ! كانت الحكومة تهدف من وراء الحملة الإعلامية الواسعة بإبلاغ رسالة إلى العالم كله ، ولكن الرفيق ندا دخل فى ملابس الدور وارتاح فيه ، ووقف أمام عدسات المصورين على أساس أنه الوريث الشرعى للسلطة وهو الزعيم القادم المؤهل للجلوس على دكة الحكم فى مصر ، وانتهت الضجة الإعلامية وانتهت القضية وأرسلوا الزعيم ندا إلى السجن ليقضى خمسة عشر عاما وراء الأسوار !

ولا يعرف محنة السجن إلا من عانى التجربة ، وعماما بعد عام انكمش الزعيم وتقلص وتحولت حياته إلى جحيم ، بسبب الكراهية الشديدة التى يشعر بها النزلاء نحوه ، ليس النزلاء وحدهم ولكن الحراس أيضا ، حتى المأمور الطيب رمزى صاحب الخبرة الواسعة فى إدارة السجون كان لا يطبق رؤيته ، وعندما وقع بصرى عليه لأول مرة كان قد مضى عليه سبعة أعوام كاملة ، وفى عالم السجون أنت تفقد احترامك إلى الأبد ، إذا فقدت احترامك مرة واحدة ، وبالنسبة للحراس جميع النزلاء سواء الذين سجنوا فى قضية سياسية والذين

□ الزعيم □

سجنوا في حادث سرقة عشة فراخ ، وقدرت عند الحراس يتوقف على قدرتك المادية ، وعلى المدى الذى تستطيع أن تذهب إليه في رشوتهم ، وبالنسبة للضباط الأمر يختلف ، كان في السجن ضابطان من تحت السلاح ، وكانا أكثرهما للرشوة من الحراس الصغار ، وعلى الجانب الآخر كان هناك ضابط اسمه محسن السرساوى كان يعامل المساجين بضمير قاض في محكمة العدل الدولية ، وكان ينفق أحيانا من جيبه على بعض النزلاء الذين سجنوا في قضايا تسول ، وكان هناك رمزى المأمور ولو قدر للعدل أن يسود لتولى أمر مصلحة السجون إلى نهاية العمر ، وبالنسبة للزعيم ندا .. فلم يكن معه ما يرشوبه الحراس ، ولذلك كانوا حريصين على تطبيق لائحة السجن عليه ، فلا خروج من العنبر إلا لمدة نصف ساعة ولا ممارسة الرياضة إلا في حدود الوقت المسموح به .

وبالنسبة للضباط كانت العلاقة متوترة دائما بينهم وبينه ، كان يخاطب الجميع من طرايط أنفه ، وكان يتوعدهم بأسوأ مصير عندما يجلس على دكة الحكم ، وكان يعد بعضهم أحيانا بوظائف عليا في جهاز الأمن ، ولكن بمرور الوقت اعتبروا الوعد نكتة ، واعتقد بعضهم أن الزعيم ندا مخبول على نحو ما !

أما بالنسبة للزملاء .. فقد عاملوه في البداية على أنه سياسى ، وللسياسيين وضع خاص في السجون ، فهم إما أصحاب قضية وإما أصحاب مناصب رفيعة ، وهم في كل الحالات يتصرفون بحكمة ويعرفون كيف يروضون أعتى المجرمين ! أما الزعيم ندا فقد كان يعتبر نفسه من معدن آخر ، وصنف ممتاز وسط هذه الحثالة من المذنبين ! وقد يغفر المذنبون لصاحب هذا السلوك إذا كان قرشه حاضرا وإيده فرطة ، أما إذا كان مثل الزعيم ندا .. لا فلوس ولا كلمة حلوة فنهاره أزرق وأيامه في لسون الغراب ، كان يكوى ملابسه

□ الزعيم □

ولا يدفع وكان يعد الميسرة جزءاً من الأساطير والخرافات مثل الغول والعنقاء والخل الوفي ، وكان يكتب الشكاوى ضد إدارة السجن بأسلوب متمرس خبير ككاتب محام ، وكانت شكواه تحرك مفتشى الداخلية للتحقيق في الأمر ، وكانت هذه التحقيقات تسبب الصداق لإدارة السجن ، واستهدفت شكواه بعض زملائه من النزلاء وتسببت في تغريب بعضهم إلى سجون أخرى ، وفي توقيع العقاب على البعض الآخر ، وكاد الزعيم ندا أن يفقد حياته عندما حاول «اللواء» الكرداسي طعنه بنصلة حادة ، فهو معتاد إجرام وسوابق ويتمتع بوضع خاص في السجن ، وعنده داخل زنزانته كل أنواع الممنوعات ، وبالرغم من ذلك لم تخضع زنزانته للتفتيش في أى وقت ، وذلك اتقاء لشره ، وأيضاً لأنه كان يساهم في حفظ النظام داخل السجن ، وكان يؤدي خدمات جليلة للإدارة ولكن «سكيتي ومن تحت لتحت !!» وحدث أن اللواء الكرداسي فوجيء بتفتيش مفاجيء على زنزانته ، وأقسم له حضرة الصول أن أمر التفتيش صدر من جهة خارج السجن ، فتصور الكرداسي أن ندا كان وراء الشكوى للجهة إياها ، خصوصاً وأنه ألح منذ أسبوع على ندا أن يدفع ديونه التي تضاعفت في المدة الأخيرة ، ومن حسن الحظ أن النصلة لم تنفذ في بطنه ولكنها خدشت الجلد فقط لكثرة الملابس التي كان يرتديها ندا اتقاء للبرد ، إلى هذا الحد اشتهر الزعيم ندا في السجن ، حتى أصبح أصغر وأحقر مسجون ، يتصور أن ندا وراء العقوبة التي نزلت به ! الزعيم تحول إلى جهاز آمن خاص خلف الأسوار ، الكل يخشاه ويتقى شره ويتحاشاه وينظر إليه باحتقار ، ولكن حدث فجأة ما جعل الأمور تنقلب رأساً على عقب ، جاء إلى السجن أفراد تنظيم يسارى آخر ، كان من رأيه أن الحكومة تحقق الاشتراكية وتمضى على طريق لينين ، وعندما دخل ندا السجن كانت أشد حملة ضده هي التي تولاها هذا

□ الزعيم □

التنظيم القادم إلى السجن ، ولذلك كانت سعادة ندا بوصول أعضاء التنظيم إلى السجن بلا حدود ، وتصور ندا أنه ما دام أصحاب هذا الاتجاه دخلوا السجن فلا بد أن الإفراج عنه بات أقرب إليه من باب الزنزانة ، وأخذ يتصرف على أساس أنه في الطريق إلى الخارج ، ثم إلى السلطة بعد ذلك ، وتمادى في هذا الاتجاه إلى درجة أنه كان يحتفظ في زنزانيته بمرتبة قطن حرص على إعادتها لأصحابها في الخارج ، فما حاجته إليها الآن وقد أصبح على أبواب الحرية ؟ وانشغل ندا أغلب الوقت في تأكيد أن أعضاء التنظيمات المعادية لخطته ، هم في واقع الأمر خونة وعملاء لحكومة موسكو التي تدفع أجورا منتظمة لهم !! وتصور ندا أنه بهذا العداء السافر للتنظيمات التي انقلبت عليها الحكومة ، يؤدي خدمة للحكومة ويساعد في فتح الأبواب لنفسه إلى الحرية ! وتؤكد ندا أنه يسلك الطريق الصحيح لدرجة أن بعض الزلاء الذين كانوا يعضون فترة عقوبة في قضايا رشوة واختلاس أخذوا يتقربون من ندا ، وبعضهم راح يمدده بعلب السجائر وبعض الأصناف الفاخرة من الطعام ، وكان أحد هؤلاء يعمل قبل سجنه مديرا لبنك وجاء إلى السجن ليقضى عقوبة مدتها سبع سنوات نظير اختلاسه مئات الألوف من الجنيهات ! وراح ندا يقضى معه وقتا طويلا يناقشه في الأحوال الاقتصادية في مصر وكيفية إصلاحها ، حتى اقتنع مدير البنك السابق أن أسئلة ندا تحمل في ثناياها عرضا أكثر أهمية ، ربما كان ندا يختبره للاستعانة به في منصب كبير عندما يخرج ندا من سجنه ويتولى الوزارة ، ومدير البنك السابق يعرف الطريق الصحيح لانعاش مصر وإخراجها بسلام من عنق الزجاجة ، صحيح أن فكرته عن الحل كانت تختلف تمام الاختلاف عن فكرة الزعيم ندا ، وبالرغم من ذلك كان ندا يستمع باهتمام ويدون بعض النقاط في أجندة صغيرة ! وتوطدت العلاقة بين الزعيم والمختلس ،

□ الزعيم □

لدرجة أن المسائل تطورت من مناقشة المسائل العامة إلى المسائل الخاصة ، واندesh المختلس عندما علم أن الزعيم لم يكن له في أى وقت حياة خاصة ، لقد شغله العمل العام عن كل ما عداه ، فلم يكن له زوجة أو بيت أو أسرة ، حتى شقيقه الأكبر حرص على الابتعاد عنه فانتهل للعمل في كفر الشيخ حتى ينجو بنفسه ، وهو خلال السنوات الطويلة التي قضاهها بين الأسوار لم يحضر أحد من أقاربه لزيارته ، ولم يستطع خلال فترة سجنه أن يحقق الراحة لنفسه لضيق ذات اليد ، لأن صندوق أماناته لا يحتوى على قرش واحد ، وهو يفكر بعد خروجه من السجن في الزواج قبل أن ينشغل بالسلطة ، لم يكد يمر أسبوع واحد على هذا الحوار حتى فوجئ الزعيم ندا بشاويش الأمانات يستدعيه لى يوقع على المبلغ الذى تلقته إدارة السجن بالبريد وقدره مائة جنيه!! وبعد أيام قلائل من وصول المبلغ استدعت إدارة السجن الزعيم ندا لزيارة خاصة ، زيارة خاصة!! يا لنذالة البشر ، أخيرا وبعد أن عرفوا أنه في طريقه إلى الافراج هموا لزيارته!! خرج ندا من زنزانته يتحرق شوقا لمعرفة هذا الزائر الذى جاء بعد قوات الألوان ، وكاد يغمى على الزعيم ندا عندما اكتشف أنها زائرة ، سيدة في الأربعينات من عمرها ، جمالها صارخ ، شعر أصفر طويل وعينان ملونتان وشففتان مكتنزتان ، وبشرة ناعمة ليس بها أثر لخدشة أو هبشة ، عندما وضع يده في يدها كاد يقع مغشيا عليه من شدة الهول ، الرائحة التى تنبعث من جسدها البيض التى نفذت إلى خياشيمه ، كادت تطرحه أرضا ، وقف مبهورا فترة أمام السيدة التى لا يعرفها وإن كانت هى تعرفه .. وعندما نظقت باسمه اهتز بدنه كله ، فقد كان صوتها أشبه بعود يعزف عليه محمد عبد الوهاب ، يا سلام.. أخيرا عرف ندا المعنى الحقيقى للسجن ، السجن هو مكان بلا نساء ، أى مكان بلا نساء هو سجن في حقيقة الأمر ، حتى ولو كان هذا المكان في الجنة !!

□ الزعيم □

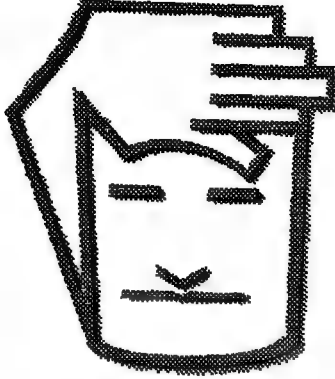
يا لها من مفاجأة مذهلة ، هذه السيدة هي شقيقة جلال بك مدير البنك والمسجون حاليا بتهمة الاختلاس ، وهي جاءت لزيارة شقيقها ولكن شقيقها استنفد كل زياراته ، فلجأت إلى هذا الأسلوب بعد أن عرفت أن ندا هو أقرب النزل إلى شقيقها جلال ، ومرت الساعة التي هي مدة الزيارة كأنها دقيقة واحدة ، ولكنها كانت كافية لكي يتفحصها ندا بدقة ، الصدر البارز ، الخصر المخنوق ، السيقان المخروطة كأنها إنتاج ماكينة لا تخطيء الحساب ، يا لها من صورة مثالية للمرأة الجميلة وكما ينبغي أن تكون ؟! ، وعندما مد يده نحوها لوداعها جذبت يده ولولا الملامة لارتمت في أحضانها وبكى من شدة الغيظ ، صرفه الكفاح في سبيل الجنة الموعودة عن رؤية الجنة الموجودة ، يا لها من سذاجة ضيعت العمر في الأوهام .

ليس اسعد من جلال بك المختلس على ظهر الأرض ، استمتع بالمنصب وبالفلوس وبالنساء ، عاش حياته بالطول وبالعرض ، بينما دفن ندا نفسه بالحياة !!

عندما عاد ندا إلى زنزانته كان محملا بما لذ وطاب ، لحوم وفراخ وفواكه وحلويات ، كمية تكفيه عدة أيام ، وعندما هم بتسليمها لجلال رفض بشدة قائلاً له :

دى حاجتك أنت ، أنا بس هاكل معاك !!

كانت شقيقة جلال هي محور حديث الزعيم والمختلس في الأيام التي أعقبت الزيارة ، كان السؤال الذي اهتم ندا بمعرفة جوابه هو :
هيه اختك متجوزة ؟



تتبعنا في السجون

المرتبعة

٧

●● كان لقب الزعيم هو النقب الأثير إلى نفس نداء، ويجب أن يناديه نزلاء السجن به، وعلى هذا الأساس كان أسلوب تعامله معهم. بدأ الزعيم المنتظر حياته كاتباً لمعام مشهور، ومن شرط ثقافته القانونية صار مرجعاً للمحامين والمتقاضين معاً. جمع نداء بين الانساب لكبة الحقوق والانتساب لتنظيم - الحصن - اليساري، والذي صار قائداً له بعد فترة وجيزة. نجح الزعيم المنتظر في اللباس، وفي قيادة القائلا في أن واحد. وصار له مكتب مستقل. وتخصص في قضايا أعضاء التنظيم السرية إلى أن اعتقل لمدة ثلاثة أعوام، ثم خرج بعدها ليمارس العمل السياسي، ويعيد تنظيمه في ثوب جديد، فعادى التنظيمات الأخرى والحكومه - معاً - إلى أن دخل السجن مرة ثانية ليقضى فيه خمسة عشر عاماً! وفي السجن كانت العلاقة متوترة بينه وبين ضباط السجن، فهو لا يحدثهم إلا من منطلق أنه الزعيم المنتظر: وبالنسبة للنزلاء فهم يعتقدون أنه وراء العقباب التي تنزل بهم من جراء كتابته للشكاوى الكيدية ضدهم، فلم يسلم منهم، ولم يسلموا منه، وتعاشاه النزلاء باعتباره جهازاً أمن خاص خلف الأسوار! ولكن سرعان ما تصرف إليه النزلاء بشئ أنواع الهدايا بعد أن طنوا أنه في طريقه إلى الإفراج عنه ثم إلى السلطة. وتوطدت علاقته - بصفة خاصة - بجلال - مدير بنك مختل، تجاذب مع نداء أطراف الحديث في القضايا العامة والخاصة، وزاد هذه العلاقة زيارة أخت جلال لنداء، والذي لم يزره أحد من قبل، ويعجب نداء - بجماها الصارخ، ويدور الحوار مع جلال - بعد زيارة أخته لنداء - في قضية واحدة هي: هل اختك متزوجة؟ ●●





● المرتبة ●

ياله من خبر نزل على قلب ندا نزول الماء المثلج في
معدة رجل قطع عدة أميال على قدميه في صحراء
محرقة. السيدة ليست متزوجة وسيكون زواجه بها
خير تعويض له عما لقيه في الحياة. ولكن هل ترضى
صفية به زوجاً؟ ولم لا؟ وهو لم يزل شاباً في الثانية
والخمس من عمره، ثم إنه على أبواب مستقبل عظيم.
أخذ يطرح أسئلة متفرقة على البية المختلس، وكان البية
المختلس ذكياً إلى الحد الذي فهم من خلالها ما يرمى
إليه ندا .

وجاءت كل الإجابات على مزاج ندا وعلى هواه. فهي مطلقة بعد
زواج فاشل مع رجل سكير وعديم الشرف. ورط البية شقيقها
في سلفيات من البينك، ربما كانت هي الخطوة الأولى التي قادت إلى
السجن .

تصور.. كان يضربها بشدة وذات مرة عضها بطريقة بشعة
تركت أثراً أبشع من الأثر الذي تتركه عضه كلب. وأخيراً تم الطلاق،
ولأن الله عالم بأحوال الولايات، فقد شاءت إرادة الله ألا تنجب منه
نسلاً، فخرجت بهدمها من بيت زوجها إلى حيث لا تعود !

وابتسم ندا ابتسامة رضا وأمل، وعكف في الأيام التالية على تحرير
برنامج حكومته. عمل لكل عاطل وأمل لكل يائس ومدرسة لكل طفل
ومكان في الجامعة لكل شاب وسرير في المستشفى لكل مريض. وقرأ
ندا البرنامج على صهره المنتظر فهتف له وهلل. ولكن ندا بدا عليه

□ المرتبة □

القلق، وعندما سأله المختلس إبراهيم عن سر قلقه ، أجاب :
- كل البرامج تبقى مع وقف التنفيذ إلا إذا توفر المال الذى يجعلها حقيقة واقعة.

وبعد فترة صمت قال لبراهيم :

- سأترك هذه المهمة لك لأننى سأتفرغ للسياسة الخارجية وللأمن الداخلى، أما مسألة تدبير الميزانية فسأتركها لأهل مكة لأنهم أعلم بشعائها ! مضت الأيام بطيئة ومملة، وندا أصبح ينام على الأسفلت بعد أن أرسل المرتبة لأصحابها خارج الأسوار. والذى أصابه بالاحباط أنه لم يسمع أى صدى لأرائه فيما ينبغى على النظام أن يفعله بعد ضربته الموجعة ضد حلفاء موسكو فى مصر. إنه لم يكتف بالتأييد الشفهى ، ولكن أرسل عشرات الخطابات إلى رئيس الجمهورية ضمنها خبرته وتجربته الطويلة. ليس أمام النظام إلا سلوك الطريق الآخر والاتجاه بأقصى سرعة نحو الصين.. الشيوعية الروسية رأسمالية مبطنة، والمواطن الروسى يعيش تحت قهر يتضائل إلى جانبه القهر الذى يعيش تحته مواطن فى دولة نامية. ولا أحد فى مصر كلها يفهم فى اشتراكية الصين إلا الرفيق ندا، وهو على أتم الاستعداد لقيادة البلد لتحقيق الكفاية والعدل ودخل قومى مرتفع وتوزيع عادل على الجميع .

عدة أسابيع مرت طويلة ومملة على الزعيم ندا، ولكن ابراهيم كان منشغلا بالبحث عن طريقة سريعة لدفع الدم فى عروق الاقتصاد المصرى. المشكلة أن كل الطرق التى تؤدى إلى ذلك هى طرق رأسمالية، والزعيم ندا يريد طرقا ووسائل اشتراكية. ولكن لماذا لا تكون هذه نظرية جديدة ولا بأس من أن تنسب النظرية الجديدة إلى الزعيم ندا، النظرية الجديدة هى وضع الوسائل الرأسمالية فى خدمة الأهداف الاشتراكية .

هتف الزعيم ندا وهو يستمع إلى بنود النظرية الجديدة.. التجربة

□ المرتبة □

البريطانية !! بريطانية دولة رأسمالية ولكنها تطبق النظام الاشتراكي. وأنكر ابراهيم أنه اقتبس نظريته من بريطانيا. وهو لم يسهر الليالي الطويلة الكثيرة داخل زنزانته إلا لكي يحقق للزعيم ندا ما يحلم به من مجتمع الكفاية والعدل عندما يقود سفينة البلاد إلى شاطئ الأحلام. وطمأنه الزعيم ندا إلى أنه لم يقصد أن يوجه إليه اتهام من أى نوع. فالنظرية التي توصل إليها ابراهيم نظرية جديدة، وإن كانت قد وجدت طريقها إلى التطبيق من قبل والجديد الآن هو أن النظرية ذاتها التي تطبقها بريطانيا سيجرى تطبيقها لأول مرة تحت شعارات اشتراكية وفي دولة تحقق الاشتراكية.

إن الصين لم ت اخترع صناعات جديدة، ولكنها قلدت الصناعات الموجودة في الغرب، وضربت السوق عندما عرضتها بأسعار رخيصة وحتى اليابان نفسها صنعت نفس الشيء إنها لم ت اخترع السيارات ولكنها قلدها، وبعد أربعين عاما ضربت اليابان السوق كلها وتسببت في قتل صناعة السيارات في أمريكا.

— أبشر يا إبراهيم ، فنظريتك جديدة تماما .

وأقسم ابراهيم للزعيم ندا، أنها ليست نظريته على الإطلاق، ولكنها جاءت نتيجة مناقشاته مع الزعيم ندا الذي هو صاحب الفضل الأول في الوصول إلى النظرية الجديدة !

وسكت ابراهيم لحظة عن الكلام قبل أن يستطرد قائلا :

إحنا طبعاً هنا مساجين مع بعض، ولكن العين ما تعلاش ع الحاجب وعاوزك تعتبرنى خدامك. وتأكد يا ندا بك.. أنه لو حدث وغلطت مرة يبقى بحسن نية، وإن صدر منى شيء ما عاجبكش لازم تلفت نظرى وتعاقبنى لو حبيت. اعتبرنى ابنك أو واحدا من تلاميذك، مش قصدى ابنك فى السن. لكن ابنك فى التجربة وابنك فى الخبرة وابنك فى العلم !

تكررت زيارات صفية لسجن القناطر، وكلها كانت من نصيب

□ المرتبة □

الزعيم ندا وفي الأيام التي كانت تأتي فيها صفية إلى السجن، كان الزعيم ندا يبدو هادئ الأعصاب سعيدا على نحو ما. وكان قد انتهى من تأليف حكومته المنتظرة، ولم يرد ذكر ابراهيم في كشف الوزارة. وعندما بدأ القلق على وجه ابراهيم، قال له الزعيم ندا :

- دى سياسة عليا ما تعرفهاش انت، انت تهتمك الاختلاس، ولو حظيتك فى الوزارة الناس كلامها كثير. لكن انت هتكون مستشارى الاقتصادى.

وصاح ابراهيم فى قلق :

- طيب وافرض الوزير مارضيش يعمل بالمشورة. وابتسم الزعيم ندا ابتسامة ذات معنى وقال :

- أنت أصلك لسه غشيم فى السياسة. الوزراء دول مجرد واجهة ماحدش منهم له قيمة. العملية كلها هتبقى فى إيدينا إحنا، واللى هنشور بيه هو الى هيمشى. سيب الحاجات دى ليه أنا. انت مالكش دعوه .

وسكت ابراهيم امتثالا لتعليمات الزعيم، ولكنه ومهما كان الأمر كان يود أن يكون وزيراً يظهر فى الصحف ويصرح على صفحات الجرائد، ويضع أصابعه فى عيون هؤلاء الذين وشوا به وشهدوا عليه وزجوا به فى السجن، ولكن السياسة لها أحكام وعليه بالصمت والصبر حتى تسنح الفرصة ليمارس على أرض الواقع ماكان يراه فى الأحلام .

صحيح «فعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم»، لولا وقوعه فى الفخ ومحاكمته وسجنه، ماسنحت الفرصة على الإطلاق لرؤية الزعيم ندا .

وأين كان باستطاعته أن يراه، لقد عاش ابراهيم حياته كلها فى دائرة مغلقة، البنك وشلة الأصدقاء الذين يعملون فى سوق المال. كان

□ المرتبة □

يسمع أحيانا عن الشيوعيين ولكن من خلال ماتنتشره الصحف. وكان يتصور أحيانا أن لهم أنيابا ومخالب وذقونا طويلة. وأنهم مجرمون بالسليقة يكرهون المال ويخططون لنسف البنوك وشنق المتعاملين في البورصة. ولكن ها هي الصدفة وحدها تسوقه لمعرفة الزعيم ندا. إنه يؤمن أيضا بأن المال عصب الحياة وهو أساس كل تنمية، وهو يوما ما سيصبح مستشارا للزعيم ندا في شئون الميزانية والتخطيط. وسيحقق ابراهيم مالم يكن يحلم به على الإطلاق. والغريب أنه سيحقق كل شيء من خلال من تصور أنهم أعدى أعدائه !

مرت شهور طويلة دون أن تصل إلى أسماع ندا أخبار جديدة. مايشاه الزعيم ندا أن تكون المخابرات المركزية الأمريكية قد شمت اتجاه الريح فتدخلت لإجهاض المسيرة. ولكن حتى لو حدث هذا فلن يكون لهذا التدخل أى تأثير لأن الاتجاه الصحيح سيفرض نفسه حتما لأنه الطريق الوحيد لحل كل المشاكل. ولكن وبالرغم من اطمئنان الزعيم ندا إلى النتائج، إلا أنه بدأ يشعر بالقلق ولكن القلق تحول إلى إحساس رهيب أخذ ينهش في عقله وكان السبب الرئيسى فى هذا الهاجس هو انقطاع صفية عن زيارة الزعيم. عندما سأل ابراهيم عن السبب قال إنها مريضة وهناك إشارات بأنها تعاني من مرض خبيث. ولكن حدث ماالخطب كيان ندا وجعله لا ينام الليل. لقد استدعت إدارة السجن ابراهيم ذات صباح، ثم علم ندا من بعض الحراس أن إحدى السيدات كانت فى زيارة خاصة له بإذن من النائب العام. وعندما عاد ابراهيم أبلغ ندا أن صفية جاءت لزيارته لتبلغه بأنها ستجرى عملية خطيرة لايعلم نتيجتها إلا الله. صحيح أنها جاءت معها ببعض المأكولات والفواكه عرضها ابراهيم على ندا ولكنه رفض أن يتذوقها. ولم يبد على ابراهيم أنها تركت رسالة من أى نوع للزعيم ندا، واضطر ندا أن يسأله فأجاب بالنفى .

□ المرتبة □

ـ أصلها في حالة وحشة قوى، أنا نفسى ما عرفت هاش .
بعد أيام قليلة من زيارة صفية للسجن، نقل ابراهيم من العنبر إلى مستشفى السجن. وعندما ذهب ندا لزيارته لمس منه تغيرا في المعاملة فالكلام بحساب، والعواطف القديمة تجمدت، وانتهت الزيارة عندما أبدى ابراهيم رغبة في النوم. بعد أيام أخرى غادر ابراهيم مستشفى السجن إلى مستشفى قصر العيني وبعدها بأيام نشرت الصحف أن قرارا جمهوريا صدر بإعادة محاكمة كل المختلسين والمهربين ولصوص المال العام الذين سبقت محاكمتهم أمام محاكم عسكرية لقد أفرجوا عن ابراهيم وهو الآن في عمله القديم انتظارا للمحاكمة أمام المحاكم المدنية وانتظر ندا أن تصله رسالة من ابراهيم، ربما يأتى لزيارة، على الأقل ليطمئنه على صفية، ولكن الأيام مرت دون أن يتحقق ماتوقعه ندا. أخذت الأحوال تسوء بالنسبة للزعيم ندا. عادت التكديرة إلى السجن. تفتيش الزنازين بين الحين والآخر. إغلاق الزنازين أغلب الوقت، اختصار أوقات الفسحة، إلغاء فترة الرياضة، ولم يقع هذا التغيير إلا على المسجونين السياسيين، كان الاحتفال بعيد ثورة مايو قد اقترب، وقبل الاحتفال بأيام كانت جميع قضايا لصوص البنوك قد صدر فيها حكم بالبراءة. وحملت إحدى الصحف صورة ابراهيم وهو يشيد بالعدالة ويهاجم هؤلاء الحاقدين الذين كانوا السبب المباشر في اتهام الشرفاء من الوطنيين. وحدد الحاقدين بالشيوعيين عملاء موسكو الذين أرادوا إزاحة كل الشرفاء ليخلو لهم الجو وتسقط مصر في أيديهم .

وجاء احتفال العيد بثورة مايو، واختار زعيم الثورة مكانا بعيدا في الصحراء واحتفل بالعيد مع عمال البترول واستمع الزعيم ندا للخطاب. بدأ الزعيم الخطاب وكان أول القصيدة كفر. أعلن الزعيم في وضوح أن الشيوعية هى أساس شقاء العالم، ووصف روسيا بأنها

□ المرتبة □

الشیطان الأكبر. أما الصین فهی الشیطان الأعظم وختم الخطاب بأنه لا سلام ولا رخاء إلا بالقضاء على امبراطورية الشر .

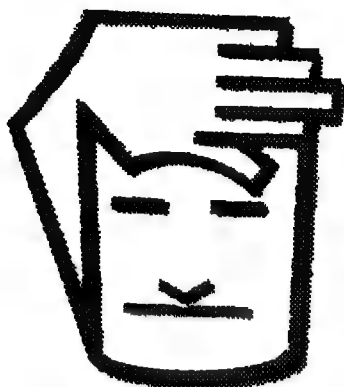
یالها من أيام سوداء مرتت على الزعیم ندا فی السجن بعد هذا الخطاب حتی المختلس ابراهیم صورته منشورة على الصفحة الأولى. وحديث له مع المحرر یحمد فی الله الذی وفق الأمة إلى طریق الهدایة والإیمان. لا یحفظ الاقتصاد أو یصونه إلا العودة إلى طریق الدین والتمسك بشریعته وحكى عن تجربته فی السجن حین فرض زعیم الشیوعیین نفسه علیه، وبالرغم من ضیقه الشدید بالزعیم إلا أنها كانت فرصة طیبة لاكتشاف أخلاق الاشتراکیین وما هم علیه من وصولیة وحقارة وعدم احترام للذات. وحكى ابراهیم کیف كان الزعیم الاشتراکی ندا یسطو على طعامه ویطفل على عتبة سجائره. وکیف حاول المستحیل لتجنیده فی تنظیم «الحصن» ولكن هیهات، فهو رجل مسلم ومؤمن بالله ویخاف من یوم لا ینفع فیہ مال ولا بنون !

تحت موجة من الانفعال الشدید أمسک الزعیم ندا بورقة وكتب خطابا لابراهیم عنفه فیہ بشدة وتوعده بالانتقام الشدید عندما تنجح الجماهير فی القیام بثورتها التی ستطیح بالنظام العمیل الفاسد. وحذره من العودة إلى مثل هذا العمل مرة أخرى، لأنه یحتفظ معه ببرنامج حكومة الشعب بقیادة الزعیم ندا ویخط ید ابراهیم نفسه وتصور الزعیم ندا أن ابراهیم سیركع وسیأتی لزیارته فی السجن متوسلا وحدث ما توقعه الزعیم ندا، فقد حضر بعد أيام بعض الحراس واقتادوا الزعیم ندا إلى نیابة أمن الدولة. وجرى التحقیق معه حول الخطاب الذی أرسله لإبراهیم. وعندما عاد فی المساء إلى زنزانتة شعر بأن رأسه سینفجر. ما الذی جرى فی الكون وما الذی حدث للناس. هل كان تحلیل الزعیم ندا مجرد خطأ فی التحلیل؟ أم كان من باب العبث ولعب العیال. هل یجب إعادة النظر فی كل شیء وفی أى

□ المرتبة □

شيء؟ لا مفر من العودة إلى حضن الجماهير والالتحام بجموع الشغيلة والعرقانين. وعكف ندا على تحرير خطاب للرجل الذي يقود تنظيم الحصن خارج الأسوار. لقد طلب ندا حل التنظيم وإعادة تنظيمه من جديد ويعناصر مقاتلة وشديدة الصلابة ومستعدة لمواصلة المشوار حتى آخر الدهر. لا بد من قيادات جديدة ودم جديد ونظرية جديدة قادرة على اكتشاف الطريق إلى الجنة الموعودة.

ولكن .. الزعيم ندا لم يتلق ردا على خطابه، فقد تولى نائبه حل الحزب منذ فترة، وبعض زعماء الحصن أثروا العمل مع الثورة الجديدة، وبعضهم فر خارج الحدود، أما الرجل الذي تولى القيادة بعد الزعيم ندا فقد وجد لنفسه عملا مجزيا في شركة لتوظيف الأموال. وأمسك الزعيم ندا بورقة وحرر خطابا أخيرا لأحد أقربائه خارج الأسوار خطابا قصيرا للغاية يطلب فيه إعادة المرتبة إلى السجن فقد بدأ يشعر بالروماتيزم يسرى ويفرى في عظامه !



تسليم الخدمة

الخواج من أجل الشعب



●● خواج في السجن...؟! ياله من حظ عاثر الذي جاء بهذا الخواج إلى هذا المستنقع الحقيق. ورحلت أراقبه وهو يقطع الممر الضيق في دور ٢ بسجن القناطر، وأحيانا يزوم في صوت متحرج وعلى النبرة كأنه ذئب محبوب. وتصورت أنه حزين أو على الأقل غير سعيد على هذا المصير الذي انتهى إليه. ولكن اكتشفت بعد لقائي معه في حوش السجن أنه مجرم بالفطرة، وأنها المرة الرابعة التي يدخل فيها السجن، وعاقوبته هذه المرة خمس سنوات. كان يدعى روبر وهو خبير في فتح الخزائن مهما كان حجمها أو وزنها. ولكن أدهشني أنه ليس حزين ولا نادما، بل يشعر بنوع من الراحة لأنه مسجون في مصر. وتصورت أنه يكذب أو يسخر مني، ولكني اكتشفت أنه صادق بالفعل وبرى أن السجن المصري نعمة من نعم الله. فـ السجن فسحة، السجن يفتح الساعة ٧ ويقفل الساعة ٥، ومن ٧ إلى ٥ مالوش دعوة بالنسجون... المسجون بره ما عندك فكرة أنت مقفول عليك الساعة. مالكش غير نصف ساعة الصبح ونصف بعد الظهر صحيح الفرصة أحسن ولاأكل أحسن، لكن دي حاجات تقدر توفرها لنفسك في السجن المصري إنك هنا ما تحس بتلك مسجون ●●





● الخواجا من أجل الشعب ●

- وجريت السجن بره يا روبير ؟
- اتسجنت في باريس وفي لبنان، وفي تركيا الموت
أحسن م السجن.
كان يتكلم بطريقة تؤكد أنه حصل على قسط من
التعليم، ويتعمد نطق بعض الكلمات الفرنسية أثناء
الحديث. ولكن لماذا ذهب إلى باريس؟ ولماذا دخل
السجن هناك ؟

- الفاميليا كلها هاجرت من مصر بعد حرب ٥٦، بس
مارضيتش أسافر معاها. أنا عشت هنا وحياتي كلها هنا. ولما سافرت
باريش علشان أزور الفاميليا، واحد من أصدقاء الفاميليا قصدني.
رحت أفتح له خزانة. مسكونى حكموا على بسنتين أفرجوا عنى بعد
سنة لحسن السير والسلوك ورحلوني على مصر .
- تقول لحسن السير والسلوك !

ربما شعر روبير أن عبارتي تحمل رنة سخرية فقال في حدة :
بسلوكك في السجن. وبعدين عاوز أقول حاجة ..
وتوقف روبير عن الكلام، ثم أخرج علبة سجائر فرنسية التقط
منها سيجارة وأشعلها وجذب منها نفسا عميقا.. ثم قال :
الحياة بره اتغيرت، والسجن بره مش للانتقام. السجن علاج
والمسجون مريض. ويوم الإفراج يفتحوا باب السجن ويقولوا له
اتفضل. هنا نهار الإفراج يبقى أسود يوم في حياة المسجون،
يسلمونك للمباحث وهيه وكيفها. يمكن تخرج وغالبا ما تخرجش.

□ الخواجا من أجل الشعب □

واستأذن روبير وانطلق في السير بخطى واسعة .
 كان منظره وهو يسرع الخطى لافتا للنظر . كان به عرج في ساقه اليسرى وكان يسحب ساقه المعطوبة وكأنه كلب داست عليه عريية نقل في طريق الصعيد وبالرغم من أنه حرامى ومسجل خطر، كان كل المسئولين في السجن يهابونه ويتقون شره والسبب أنه يحفظ لائحة السجن صم، وكان خبيرا في كتابة الشكاوى ضد الإدارة وخصوصا المدير والمأمور والدكتور. ولذلك عندما ادعى أنه مريض بالروماتيزم أمر له الدكتور ميشيل بمرتبة بدون أن يكشف عليه. وكان يتغطي ببطاطين من صنع فرنسا أرسلتها له أسرته وكان لا يأكل من طعام السجن، ولكنه يحصل على طعامه من الكانتين، ومن الزيارات التي يأتى بها بعض أصدقائه من السجن، وأحيانا كان يستخدم الحراس في جلب بعض المأكولات من الخارج. وكان مصدر أذى للمساجين إذا اختلف معه مسجون كتب ضده شكاوى من مجهول وأحيانا من فاعل خير. وكانت الشكاوى التي يرسلها الخواجا تثير قلق السلطات، لأنه يتهم أعداءه بجرائم خطيرة ضد أمن الدولة، وكان ساعده الأيمن في كتابة الشكاوى مجرما عريقا في الإجرام يطلقون عليه في السجن اسم مطوة. وسر التسمية أن الأخ مطوة كان باستطاعته أن يقلد ختم النسر أو أى ختم آخر إذا توفرت له مطوة جديدة لم تستعمل من قبل. طبعا لا يعرف أحد سر المطوة إلا الأخ مطوة نفسه. وكان مطوة حاذقا إلى درجة تثير الدهشة، حتى أنه استطاع الإفراج عن مسجون بخطاب صادر من رئاسة الجمهورية عليه ختم النسر وإمضاء جمال عبدالناصر! وكان ضابط العنبر الدسوقي يجامله بشدة، لأن الخواجا روبير كان بين الحين والحين يقدم له جزءا من الهدايا التي تصله من أقاربه من فرنسا ولأنه كان ضابط مخلة كما يقولون فقد كان يتقبل الهدايا شاكرا كرم الخواجا وعطفه. ومع أن روبير كان من صنف

□ الخواجا من أجل الشعب □

الخواجات وأقاربه يقيمون في فرنسا، إلا أنه بالتأكيد لم يكن من أهل أوروبا. ولكنه في الأصل كان مالطيا، جاء جده مع حملة نابليون من أهل مالطا استخدمهم نابليون في التمهيد لغزوته لمصر، لينشروا بين الشعب المصرى أكاذيب من نوع أن نابليون مسلم وأنه جاء لرفع شأن الدين وحماية المسلمين من ظلم المماليك! وقبل أن تتفجر ثورة يوليو قضى روبير عدة سنوات في مدرسة الفريير. ولكنه استطاع أن يقنع عددا من التلاميذ على العمل بعد المدرسة في إرشاد السائحين الفرنسيين في زيارة الآثار والتردد على السوق. وبعد فترة من ممارسة هذا العمل استطاع روبير إقناع هؤلاء التلاميذ بالعمل طوال الوقت لأن المدرسة لن تفيدهم في شيء. وبعد الثورة انقطع السواح عن زيارة مصر، وتصادت الأحداث في مصر وتطورت إلى حرب دامية بين الثورة الوليدة وجيوش ثلاث دول على رأسها بريطانيا وفرنسا واسرائيل أيضا. ونشطت بعد الحرب عمليات هجرة الأجانب إلى الخارج. وسرعان ما فتح روبير مكتبا صغيرا في حي السكاكيني لمساعدة الراغبين في الهجرة وتهريب أموالهم، وبالرغم من قيامه بعدد كبير من العمليات إلا أن الأجانب الذين اتفقوا معه لم يتسلموا قرشا واحدا من أموالهم، لأن روبير وضع المبالغ التي تلقاها كلها في جيبه! وبعد أن استقرت الأمور في مصر استخدم المكتب في تأجير سيارات للسائحين الأجانب، وفي نفس الوقت قام بتأليف تشكيل عصابى لسرقة الأجانب الذين يستأجرون سيارات مكتبه. وكان يستخدم السائقين الذين يعملون في مكتبه، وأول مرة ينكشف فيها أمر روبير كان في عام ١٩٥٩ عندما اتفق هو وعصابته على سرقة زبون استأجر سيارة بسائق من المكتب، ومن سوء حظ روبير أن الزبون لم يكن عاديا، ولكنه كان رجل أمن انجليزى في مهمة سرية تحت ستار السياحة لكي يبحث مصر بعض الجنود الانجليز الذين اختفوا أثناء الغزو الثلاثى .

□ الخواجا من أجل الشعب □

وبالطبع نشطت كل الجهات الأمنية للقبض على الجناة. ولأنها كانت أول سابقة للخواجا فقد دخل السجن لمدة عام، واختار سجن الاسكندرية لقضاء العقوبة فيه بدعوى أن عمته الوحيدة تقيم في المدينة. وخرج من السجن وسافر إلى باريس ليدخل السجن هناك ثم عاد إلى مصر، ليعود إلى السجن مرة أخرى بتهمة الشروع في سرقة فرع بنك القاهرة. وفي المرتين اللتين دخل فيهما السجن المصري كانت السجون تضيق بنا لئلاها من الشيوعيين. وتوثقت الصلة بينه وبين مسجون من زعماء الشيوعيين كان والده باشا وثرى أمثل ومن وزراء عهد الملك فاروق. واستطاع روبير أن يحصل على ثقة الزعيم الشيوعي عندما نجح في تهريب رسائل من السجن وإليه. وتمكن روبير بسبب طول الإقامة أن يلتقط بعض العبارات الماركسية وبعض المفاهيم، وعندما طلب روبير من الزعيم الشيوعي، بأن يخصص له زميلا من الشيوعيين لكي يلقيه المبادئ الشيوعية رد عليه الزعيم الشيوعي بأن ما يقدمه روبير للحركة الشيوعية يفوق أى خدمة يقدمها أكبر مثقف شيوعي عشر مرات. وقال له إن بعض زعماء العالم الشيوعي الذين يتولون السلطة في بلادهم كانوا من الصياع، ولكنهم قاموا بأعمال بطولية للحزب خلال سنوات النضال. وراح روبير يحلم بثورة شيوعية يتولى فيها منصب مدير المباحث، فهو أعرف الناس بالمجرمين ونزلاء السجن، وعاهد نفسه إذا تحقق حلمه أن يقوم بفصل محبى بك مدير السجن والحكم عليه بالحبس في زنزانة انفرادية ليعرف معنى الحبس بالنسبة للبني آدمين! وعاهد روبير نفسه على تقديم أعلى مستوى من الخدمة للحركة الشيوعية حتى يكون نصيبه بعد الثورة يتناسب مع حلمه الكبير وخرج روبير من السجن وخرج الشيوعيون، أيضا ولكن صلته بالزعيم الشيوعي لم تنقطع ولشدة إخلاص روبير للحركة الشيوعية وعميق حبه

□ الخواجا من أجل الشعب □

للشيوعيين، تقدم باقتراح لتوفير الدعم المالى للحركة ومساعدتها على تغيير الثورة التى ستكون خيرا وبركة للجميع. كان اقتراح روبير هو سرقة فرع البنك الأهلى فى مصر الجديدة والذي يحرسه جندى واحد من هذا الصنف الذى لا يدرك أبعاد مهمته على وجه التحديد. وعبثا حاول الزعيم الشيوعى أن يشرح لروبير أن الحركة تعتمد على تبرعات أعضائها، وأنهم يرفضون العنف بكل أشكاله وبالطبع يرفضون أن تكون السرقة هى مصدر تمويلهم .

وقف روبير أمام شاطئ النيل فى الزمالك وقد امتلأت نفسه بالحق على هذا (المتعلم) الكذاب مثل غيره من المتعلمين معقول!! يرفض السرقة كوسيلة للدعم المالى!! إنه هو بنفسه وبعضه لسانه قال له وهما فى السجن.. نحن الشيوعيين نحترم اللصوص الغلابة؟ أمثالك لأنهم فى حقيقة الأمر ثوار رفضوا الواقع وثاروا عليه. ولو أتيت لهم أن يعيشوا فى ظل نظام فاضل فلن يعود روبير وأمثاله فى حاجة إلى السرقة حيث سيكون لكل إنسان حسب حاجته. ومن كل إنسان حسب طاقته! هذا الكذاب الذى يدعو إلى مجتمع الكرامة للفقراء يعيش فى شقة أفخم من أى قصر، ويستخدم عمالا لخدمته من أهل النوبة، وفى شقته تحف تكفى لفتح متحف !

وفكر روبير الحرامى فى طريقة للانتقام من الرجل الذى خدعه واستخدمه لصالح الحركة دون أجر. لو اكتشفه فى السجن لتقاضى نظير خدمته مبالغ كبيرة.. مضى روبير فى طريقه ووضع خطة شيطانية لسرقة فرع البنك الأهلى فى مصر الجديدة. وأثناء التحضير للعمل حرص روبير على زيارة الباشا الشيوعى. فى المرة الأولى واعتذر عن اقتراحه السيئ الذى لا يتفق مع السلوك الماركسى، وأعلن أنه كف عن السرقة منذ توطدت الثقة بينه وبين الباشا، وقبل الطرف الثانى اعتذاره وانتهى الأمر .

□ الخواجا من أجل الشعب □

في الزيارة الثانية راح روبير يستعرض المشاكل التي تحيط به بعد أن كف عن السرقة، مشاكل وأزمات مالية تخنقه وتكاد تقتله وهو لا يدري ماذا يفعل؟ ولذلك جاء لزيارة الأستاذ الكبير لكي يجد له مخرجاً بتفكيره الثاقب وعقله المستنير. شجعه الأستاذ على احتمال الشدة ومواجهة الموقف بجسارة، فالأحوال لا تدوم، وبعد محاضرة طويلة دس في يده عشرين جنيهًا وصفها بأنها معونة مؤقتة من صديق لصديق. تكررت الزيارات والمحاورات بين الزعيم الشيوعي واللص الذي يتظاهر بالتوبة. ثم غاب روبير فترة حتى كان مساء شاتيا وعاصفا، عندما فوجيء الزعيم بطرق شديد على الباب، وبطريقة أعادت إلى ذاكرته أيام زوار الفجر، كانت تلك الفترة قد انطوت وجاء عصر العلم والإيمان، ولم يعد الانسان المصري يسأل عن أفكاره ولكن عن أفعاله. والزعيم لا يصنع شيئاً مزعجاً للسلطات، ولكنه يفكر ويتقرب بزوغ الفجر الجديد!

وعندما فتح الباب وجد نفس الوجوه التي كان يعرفها أيام زوار الفجر، ووجد أيضا نفس الأسلوب، أفواه تبتسم وأياد تعبت بكل شيء في البيت حتى بالمراتب والمخدات، وحملوا معهم أوراقا كثيرة وانصرفوا في صحبة الزعيم إلى السجن جلس الزعيم في زنزانته يفكر في هذه الهجمة المباغته التي لم يحسب لها أحد أى حساب .

يتساءل أين سيادة القانون ولا اتهام بدون دليل، ان الاجراءات هي نفسها التي كانت أيام مراكز القوى، الزنزانة مغلقة طوال الوقت، والاتصال بالزعيم ممنوع، وتفتيش الزنزانة يجرى كل عدة دقائق. راح الزعيم الشيوعي يستعرض كل الزمن الذي سبق اعتقاله، انه بالتأكيد لم يرتكب عملا على الاطلاق يزعج السلطات إلى هذا الحد. ماذا جرى بالضبط؟ هل هي حملة ضد الاتحاد السوفيتي؟ ولكن لماذا كل هذه العصبية في عملية القبض والتفتيش؟

□ الخواجا من أجل الشعب □

أخيرا استدعوا الزعيم إلى النيابة، ولم يكن وكيل نيابة أو حتى رئيس نيابة عادى ولكنه كان رئيس نيابة أمن الدولة. وعندما استمع الزعيم إلى التهمة كاد يغمى عليه. تمويل الحزب الشيوعى عن طريق سرقة البنوك! هل جنت السلطة إنها تمارس عملية مطاردة الشيوعيين منذ زمن طويل وهى تعرف خفاياهم ونواياهم أيضا. والعنف ليس من طبيعتهم، يطبعون منشورات نعم، ينظمون مظاهرات نعم، يلعبون فى الانتخابات نعم، ولكن سرقة بنوك.. هذا هو الشيء الجديد.. واكتشف فى مكتب رئيس النيابة أن الصحف الصادرة منذ أيام لا حديث لها إلا الحزب الشيوعى الحرامى، وصور الخواجا روبير تتصدر الصفحات. وهو يصرح بينما حنكه مفتوح على الآخر فى زهو شديد. أنا لست حرامى وسخ، وإنما أنا حرامى من أجل الشعب! وأنا لست مخططا أو مدبرا هذه المرة. ولكننى مجرد منفذ أما الذى وضع الخطة فهو الزعيم الشيوعى الكبير ابن الباشا الكبير! وأثبت روبير أنه كان على علاقة بالزعيم أثناء فترة سجنه، وأنه جنده فى صفوف الحركة، وكان يتردد عليه فى منزله، ووصف منزل الزعيم بالتفصيل. ولكن مؤامرة روبير لم يكتب لها النجاح، كان الزعيم الشيوعى الذى يؤمن بنظرية سوء الظن من حسن الفطن، فحمل فى نفسه شكوكا قوية نحو روبير. ولذلك كان يسجل لقاءاته معه فى منزله، واحتاج الأمر إلى فترة طويلة لكشف الحقيقة. خبير فى الصوت وخبير فى التسجيل، وإجراءات طويلة عريضة، بعدها تم الإفراج عن الزعيم الماركسى وجرت محاكمة روبير حيث قضى فى السجن خمس سنوات. وبعد خروجه طار إلى تركيا، وعندما حاول الخروج عن طريق البر إلى حلب عثرت معه الشرطة على قطعة مخدرات فعاد من جديد إلى اسطنبول، وهناك قضى فى السجن ثمانية عشر شهرا عاد بعدها مقصوم الظهر إلى القاهرة عندما التقت بروبير

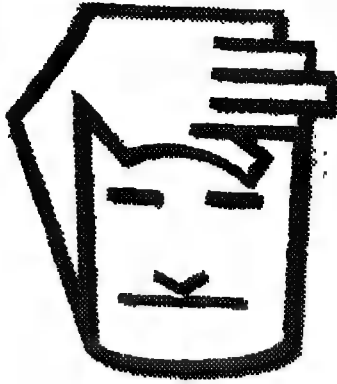
□ الخواجا من أجل الشعب □

في السجن كان يقضى عقوبة مدتها ٧ سنوات، بتهمة تخدير بعض السواح الفرنسيين وسرقة متعلقاتهم. وكان قد تعرف عليهم في الشارع. كانوا يسألون عن مكان معين ولم يكن في الشارع من يجيد الفرنسية ليدلهم على المكان الذي يقصدونه وساقطهم الأقدار في طريق روبيير ، فخاطبهم بلغة فرنسية سليمة ثم تطوع لإرشادهم إلى المكان المطلوب وزعم لهم أنه فرنسى يقيم في مصر، وأنه مضطهد لأنه ماركسى ويقود تنظيما شيوعيا من بعض الأجانب والمصريين ونال روبيير إعجاب الفرنسيين وثقتهم وأعطاهم رقم تليفونه وطلب منهم زيارته في المنزل وقاموا بزيارته وقام هو برد الزيارة لهم وأصبح روبيير يظهر معهم في الملاهى وفي حى الحسين. وليلة سفرهم إلى الخارج دعاهم إلى منزله حيث أنه قريب من المطار، وذهب معهم إلى اللوكاندة وحمل أمتعتهم في سيارة زعم لهم أنها مخصصة له من الحزب الشيوعى، وكان الفرنسيون حريصين على زيارة المنزل وقضاء الليل فيه، عندما وعدهم روبيير بأن يجمعهم ببعض الشيوعيين من أعضاء تنظيمه واختار اثنين من زملاء المهنة والسجن: شلاضم وقشاط وكان روبيير يوجه أسئلة ليس لها معنى لمساعديه فيجيبون أى إجابات، ويقوم روبيير بترجمتها للفرنسيين وكان وجه قشاط يحمل مائة ندبة من أثر ضرب من زملائه بالأمواس والمطاوى قرن الغزال. ولكن روبيير وصف هذه الندب بأنها أثر من أثار تعذيب البوليس لزملائه المناضلين في السجون!! وبعد أن سهروا وسكروا ونام الفرنسيون ليكتشفوا في الصباح أنهم كانوا ضحية حرامى ذكى فقد اختفى روبيير ورفاقه بعد أن حملوا معهم كل شيء حرص روبيير على التقرب من العبد لله ولكنى كنت حريصا على أن تكون المسافة بينى وبينه بعيدة وكان أحيانا يطلب بعض السجائر لأن الحوالة لم تصله. وكنت أمنحه علبة السجائر بين الحين والآخر

□ الخواجا من أجل الشعب □

ولكن عندما تحول الأمر إلى فردة رفضت إمداده بأى شىء على الإطلاق. لم يجد روبر لانتقام من العبد لله إلا زميله مطوة رفعوا شكوى ضد العبد لله للمباحث العامة يؤكدون فيها أننى عقدت اتفاقا مع بعض الطلبة لاغتيال بعض الشخصيات الهامة بعد الخروج من السجن. ولحسن الحظ.. الشكوى ضمت إلى صفوف المتأمرين.. العميد يحيى مدير السجن، وكان مشهودا له فى مصلحة السجون بالأمانة والاستقامة والسلوك الميرى المتشدد ولكنه.. وبالرغم من ذلك اهتز جهاز الأمن واستدعى المناضل مطوة للاستماع إلى شهادته، ثم رفعوا الأمر إلى المدعى الاشتراكى، ثم رفعوا القضية برمتها إلى الرئاسة، وعندما جاء أمر الإفراج عن العبد لله كان قد مر على انتهاء فترة سجنى يومان بالتمام والكمال. تذكرت الخواجا روبر وحواراته الغريبة، عندما قرأت فى الصحف نبأ اعتقال مصرى فى إسرائيل، يحاول سرقة بنك فى حيفا مع تشكيل عصابى من الاسرائيليين.

أخيرا.. تم التطبيع بين حرامية مصر وحرامية اسرائيل !؟



تتم يا غنيم

حزب ست الحبايب

٩

●● أبواب السماء كانت مفتوحة عندما دعت له
الت والوالدة بأن يفتحها الله في وشه ويعلى مراتبه،
فبعدها بأيام تم انتدابه من وظيفة صغيرة بوزارة
الصحة إلى وظيفة أعلى في مديرية التحرير ارتفعت
درجته وتضاعف دخله وأصبح يشتري علب السجائر
العشرين، ولم يعد يتردد على سوق الكانتول لشراء
قمصانه، وعرفت أقدامه الطريق إلى عمر أفندي
وبنزايون، وفي المكتب الجديد تعرف على زميل
صاحب سلوك مميز وثقافة عالية، بالإضافة إلى أنه
صاحب مزاج. ولا يدخل إلا أفخر أصناف
الخبير. وتوطدت الصلات بينهما إلى درجة أنهما
كانا يقضيان النهار في المكتب والليل على
القهوة الوحيدة في قرية بدر. كانت
فرصة ذهبية لشوقي أفندي أنه تعرف
على الزميل المثقف صاحب المزاج. ففتح
أمامه الطريق إلى عوالم جديدة،
إلى الفن والموسيقى والبباسة ●●





● حزب ست الجباب ●

بعد أسابيع قليلة من أول لقاء دعا شوقى زميله إلى سهرة في منزله. وعندما جاء عباس الدرملكى إلى بيت شوقى جاء محملاً بأصناف كثيرة من الفاكهة. وقرش حشيش محترم وأوراق معسل كثيرة، وجاء معه أيضاً بصديقين أحدهما طالب في الجامعة وآخر صحفى يكتب في جريدة قليلة الانتشار. وقضى الجميع السهرة في سرور عظيم، وكان شوقى يود لو قضى السهرة معهم حتى الصباح، ولكن حالت دون ذلك الظروف الصعبة

التي يعانى منها شوقى بالرغم من بلوغه الخامسة والعشرين. فهو يعيش في بيت أبيه ناظر المدرسة الإلزامية، والبيت يقع في أطراف قرية على مرمى حجر من أهرامات الجيزة. وبالرغم من قربها من المدينة إلا أنها تظل قرية صغيرة، السهر فيها ممنوع ووجود غرباء فيها حتى ساعة متأخرة أمر يلفت الأنظار. ولذلك اضطر شوقى إلى انتهاء السهرة في العاشرة والنصف مساء وبعد أن انتهى الضيوف من العشاء.

ياله من رجل كريم وصاحب أخلاق رفيعة هذا الصديق عباس الدرملكى الذى ألقى به الصدفة في طريق شوقى، بعد انتهاء السهرة وعند باب الدار مد عباس يده ودس في يد شوقى ما تبقى من قرش الحشيش. لم يستمتع شوقى في حياته بتعميرة مثل هذه التعميرة التي دسها عباس في يده.

ذات مساء وشوقى يجلس مع صديقه عباس في القاعة الشرقية

□ حزب ست الحبايب □

راح عباس يحكى لشوقى عن العالم الجديد الذى يسعى عباس مع رفاقه لتحقيقه، عالم الورود والموسيقى، مجتمع الطفولة السعيدة والعمل المريح والحرية للجميع كان شوقى مسطولا بشدة عندما عرض عليه الصديق عباس الدرمنى الانضمام إلى حزب التيار الثورى، ووافق شوقى على الفور، ثم سأل عباس..

ـ الصنف ده اسمه إيه ؟

ورد عباس على الفور

ـ ست الحبايب .

يالها من فرصة ذهبية سنحت لشوقى، وبعد وقت طويل تصور فيه أن جميع الفرص هربت من طريقه الملىء بالافخاخ.. حزب التيار الثورى.. ومن يدري قد يفوز يوما فى الانتخابات ويصبح شوقى عضواً فى البرلمان أو مسئولاً فى الإدارة المحلية .

ومن حسن الطالع أن عباس الدرمنى ليس رجل سياسة فقط، ولكنه أيضا صاحب مزاج، ومزاجه من النوع العالى جدا، فهو يعرف الأصناف الحلوة، وهذا الصنف الذى جاء به هذه الليلة، هو أرقى صنف تذوقه شوقى فى حياته .

شد شوقى نفسا طويلا وكنمه فى صدره ثم راح يخرججه على حلقات، بينما ارتسمت علامات السعادة البالغة على وجهه .

وقال مخاطبا عباس الدرمنى :

ـ أقدر أعمل دعاية من دلوقتى للحزب بتاعنا ؟

وسأله عباس :

ـ تقصد إيه بالدعاية ؟

ـ تعلق يفت، نعمل ندوات، نعمل قعدات على المصاطب، حاكم بلدنا

تحب الزفة .

وقال عباس لشوقى .

□ حزب ست الحباب □

- الحاجات دى مش أسلوبنا فى العمل، إحنا بنشتغل تحت الأرض.
وأصابت الدهشة شوقى لتعبير (تحت الأرض) هل يعمل الحزب فى
بدرون؟ طيب لماذا لا يستأجرون شقة فى دور علوى؟
وقطع الدرملكى على شوقى حواراه مع نفسه، عندما مد يده نحوه
وأصابه تقبض على رزمة أوراق، وقال له :
- دى منشورات عاوزين نوزعها .
ألقى شوقى نظرة عابرة على الأوراق، كانت مطبوعة على ورق
سيئ وبحروف أسوأ. وقال شوقى مستنكرا :
- دامين المطبعجى الحمار اللى طبعها؟ وتلاقيه خد منكم فلوس
كثير، دا احنا عندنا فى بلدنا مطبعة تطبع منشورات زى الفل، وبفلوس
أقل بكثير. إيه رأيك اديله المنشورات دى يطبعها لنا تانى ؟
أزاح الدرملكى الجوزة بعيدا عنه، وقال لشوقى :
- افهمنى يا شوقى، انت راجل كويس بس عيبك أنك ما عندكش
فكرة، احنا عاوزين نوزع دول بس من غير حد ما يعرف مين اللى
وزعهم .

استوعب شوقى الأمر ونفذه بكفاءة أشاد بها الدرملكى نفسه. كان
سوق القرية ينعد يوم الثلاثاء من كل أسبوع. وفى الليلة السابقة على
السوق حام شوقى حول سور السوق، ثم قذف بالمنشورات داخله.
وفى صباح يوم السوق فرح الباعة فرحا عظيما بالأوراق الكثيرة
المتناثرة فى كل مكان. تحولت المنشورات إلى قراطيس وأكياس لتعبئة
الطعمية والملوحة والحلاوة الطحينية والعيش القمح. وغالبا لم يقرأها
أحد. ولكن الأهم أن المنشورات تم توزيعها على نطاق واسع، وأن
أحدا لم يعرف من الذى قام بتوزيعها وكان الأمر الثانى الذى تلقاه
شوقى هو توزيع كمية أخرى يوم اجتماع رئيس مجلس القرية مع
العمد والأعيان فى قرى مركز الجيزة. قبل الاجتماع بيوم واحد دعا

□ حزب ست الحبايب □

شوقى أحد الخفراء الذين يعملون داخل السلاحليك فى بيت العمدة، وشاركه فى سحب نفسين حلوين من تعميرة ست الحبايب. وبعد السهرة أعطاه رزمة الورق وطلب إليه توزيعها على الموائد المتناثرة فى القاعة الكبرى بدوار العمدة. وطلب منه كتمان الأمر لأن بعض ضيوف العمدة قد يستاءون، لأن الأوراق كلها تشيد بحضرة العمدة وبدوره فى تسيير أمور القرية. وعلق الخفير توفيق قائلاً :

- إيش قولك يا عم شوقى. دا عمدة كرداسة بيكره عمدتنا موت .
وأنتى شوقى على فطنته ورجاحة عقله، ودس فى يده قطعة من حشيش ست الحبايب.

فى الاجتماع الحاشد الذى عقده رئيس المدينة لعمد وأعيان المركز، وحضره المأمور ورئيس المباحث، لفت نظر الموجودين هذه الكمية الهائلة من الأوراق المتناثرة فوق المقاعد وعلى المائدة وتناول رئيس المباحث ورقة وألقى عليها نظرة وركبه مائة عفريت، وانعقد الاجتماع فى جو متوتر، وانتهى قبل الموعد الذى كان محددًا من قبل، وكان رئيس المباحث هو أول من غادر المكان، ولم يذهب وحده ولكنه اصطحب معه عددا كبيرا من الخفراء والخدم، واستأذن المأمور أن يستعمل سيارته البوكس فى نقلهم إلى المركز. وهناك.. فى مكتب رئيس المباحث لم يستغرق كشف السر وقتا طويلا، اعترف الخفير الذى كلفه شوقى بأداء المهمة، بأنه هو الذى قام بتوزيع الأوراق، وقال إنها أوراق فى مصلحة حضرة العمدة، وأن شوقى أفندى هو الذى أكد له هذه الحقيقة، بعد لحظات من هذا الاعتراف كان الخفير وضابط المباحث ورزمة المنشورات تنهب الطريق إلى الدقى حيث مبنى المباحث العامة. وأثناء وجبة السحور كانت سيارة بوكس تحمل ضابط مباحث من الدقى مع ضابط مباحث المركز مع الخفير تدخل القرية، وعندما طرقت القوة بيت شوقى، أسرع شوقى ليفتح الباب

□ حزب ست الحباب □

بنفسه وعندما سأل عن الطارق جاءه الجواب.. بوليس! يا خبر
اسود.. بوليس.. الله يخرب بيوتهم.. ترك شوقي البيت مغلقا وهرع
إلى حيث قام بتعليق جاكته البدلة على مسمار في الحجرة، ودب يده في
جيب الجاكته، وأخرج منها لفافة حشيش ماركة ست الحباب،
وطوحها في الشارع. ثم عاد مسرعا ليفتح الباب مطمئنا بعد أن تخلص
من جسم الجريمة. قبل فتح الباب للطارق المجهول. لم يكن شوقي
يتصور أن الدولة فيها بوليس للسياسة، كان خوف شوقي الوحيد
من بوليس المخدرات. لقد قبضوا عليه ذات مرة وهو يدخن التعميرة
في قهوة المعلم أمين. ولم ينقذه من هذه المصيبة إلا نتيجة تحليل
المعمل التي أثبتت أن المادة المضبوطة ليست من المواد المخدرة!

هاهي مباحث المخدرات تعود مرة أخرى، بسبب عيون الناس
الشريرة، ولكن الحمد لله، لقد طوح بالحشيش خارج البيت وستعود
المباحث خائبة وسيموت الحاقدون بغيظهم! دخل ضباط المباحث
الشقة وفتشوها بدقة، وأغرب شيء أنهم فتشوا في الكتب وفي الأوراق،
وتصور شوقي أنهم ضباط مستجدون وعديمو الخبرة. وهل معقول
أن يخفى شوقي الحشيش في الكتب، كان شوقي لسذاجته يحتفظ
لنفسه ببعض المنشورات، وكان حريصا على إقتناء بعض الكتب
بعضها قصص لجوركي وروايات لنجيب محفوظ وعبدالحليم
عبدالله، وجمع ضباط المباحث كل الأوراق والكتب، واصطحبوا
شوقي وشقيقه واتجه الجميع إلى الدقى عندما دخل شوقي حجرة
ضابط مفتش المباحث كان العبد لله يجلس على مقعد والمفكر الكبير
رشدى صالح يجلس على المقعد المقابل. وكان قد مضى علينا في
الحجرة عدة ساعات.. وكان شوقي أول ضيف يحل علينا.. ثم توالى
وصول الضيوف، ولكن شوقي كان شديد القلق، وكان دائم السؤال
عن أخيه الطالب. وعندما طلب منه رشدى صالح أن يهدأ ويصمت،

□ حزب ست الحباب □

راح يحكى لنا بصراحة عن السبب فى القبض عليه .
 مغيث غيره الغفير الكلب، اديته حنة تعميره عمره ماداق صنفها،
 لكن نقول إيه بقى لعديم الأصيل. وبعدين أنا مش عارف جايبني هنا
 ليه؟ دول مالقوش حاجة عندي. الله يخرّب بيوتهم، خلونى رميت
 حنة مانزلش مصر زيها من زمان. وبعدين فتنشوا البيت مالقوش
 حتى ولا سيجارة أنا مش عارف جايبني هنا ليه ؟
 وألقى رشدى صالح نظرة شاملة على شوقى وسأله :
 - انت عارف جابوك هنا ليه ؟
 - الغفير الكلب بلغ المباحث ان معايا حشيش .
 - يعنى انت مش شيوعى !
 - شيوعى .. أستغفر الله العظيم، دنا أبويا شيخ وجدى شيخ، أنا
 عمرى ما كنت إخوانجى أو وفدى، مافيش غير اليومين الى فاتوا دول
 دخلت التيار الثورى !
 مد رشدى صالح يده ووضعها على فم شوقى وقال فى همس :
 - أوعى تجيب السيرة دى .. فاهم .
 وتساءل شوقى فى عبط :
 - ليه يا بيه ..؟
 - دى فيها ■ سنين سجن
 عندما سمع شوقى تحذير رشدى صالح، انفجر باكيا كأن عقربا
 أصفر لسعه فى وجهه. وراح يبكي بحرقة.. حتى انتفض جسده كله.
 وعندئذ نهره رشدى صالح بشدة
 - يا ابني بطل عياط احنا دماغنا واجعانا
 كف شوقى عن البكاء تلبية لإشارة رشدى. ولكنه هب واقفا كأنه
 قرر الانصراف، وبعد أن مسح دموعه نظر إلى العبد لله وسألنى :
 - هنخرج امتى يا بيه ؟

□ حزب ست الحباب □

وأضحكنى السؤال جدا وقلت له :

.. لما نخش الأول نبقي نسألهم جوه.

توالى وصول المعتقلين طوال النهار، وفي لحظة الافطار جمعونا في سيارات شرطة ضخمة ونقلونا إلى سجن القلعة. وعندما أصبحنا داخل السجن كان المؤذن يرفع أذان العشاء من مسجد الامام الشافعى. وتم حشرنا في زنازين وعنابر أغلقوها علينا. وثلاثة أيام طويلة مرت علينا والأبواب مغلقة. وعندما سمحوا لنا بمغادرة الزنازين وأصبحت في الممر الضيق الذى يفصل بين العنابر، فوجئت بشوقى يرتدى فانلة مخططة مثل فائنات كباتن الكورة. ويتدلى من قبضة يده براد شامى أزرق اللون كبير الحجم. وفي يده الأخرى عدة أكواب زجاج صغيرة، بينما هو ينادى كالباعة السريعة في الشوارع :

.. مين عايز شامى يا زملا ؟ شامى مضبوط يا زملا ..

زملا .. الله يخرب بيتك يا شوقى، استطاع أن يخدعنا وأوهمنا بأنه مجرد حشاش ليس إلا. وفي الأيام التالية كان شوقى يبدو سعيدا ومرحاً وجيبه عامر بالسجاير البلمونت، وبدأ وكأنه اعتاد على المكان وتأقلم معه.

و ذات يوم عثرت على شوقى وسط زحام السجن منزويا ومهموما على غير العادة. وعندما سألته عن سبب همومه راح يحكى لى بدون انقطاع عن المعاملة السيئة التى يلقاها من «الزملا».

.. قبل ما خش السجن كنت خايف، كنت فاهم ان الضرب جوه ليل ونهار وهينيمونا في زنازين تحت الأرض، ولكن الحمد لله لما شفت السجن على الطبيعة انبسطت وقلت مفيش مانع نجرب. تانى يوم الصبح واحد من الزملا جالى وقاللى انت في الحزب، وقبل ما أرد عكمنى ١٠ سجاير بلمونت، بعد ساعة جالى واحد م الزملا وقاللى انت في (حدثو) وقبل ما أرد راح معكمنى ١٠ سجاير. شويه وجالى

□ حزب ست الحباب □

واحد من الزملا وقاللى انت فى (طش) وقبل ما أجابو راح معكمنى
 ٥ سجاير. وشوية وجانى واحد تانى وقاللى : إنت معانا فى (و. ش)
 وراح معكمنى □ سجاير والدنيا اطلوت فى السجن وبقت اخر مزاج.
 ال إيه، جانى الزملا امبارح الصبح وسمعونى محاضرة فى السلوك
 الاشتراكى. وواحد منهم قاللى انت نصاب وخذت السجاير من جميع
 التنظيمات وانت مش فى أى تنظيم .

قلت لهم : وذنبى أنا إيه ؟ كل واحد منكم جانى وقاللى انت فى
 الحزب، انت فى طش، انت مش عارف إيه أنا ماجاوبتش عليكم ولا
 قلت أى كلمة .

وانتو الى عكمتونى السجاير، أنا طلبت منكم حاجة ! وبالليل
 سهرتوا فى العنبر ونصبوا النصبه وعملوا محاضرة عنى وعن سلوكى،
 آل سلوكى آل .

طيب إيه رأيك أنا كنت هاطبق فى رقبة واحد منهم والى يحصل
 يحصل .

وقلت لشوقى أهديء خاطره :

- بس انت الى غلطان يا شوقى - كان لازم تحدد موقفك .

- هو حد ادانى فرصة أحدد موقفى .

- ماكنتش خدت منهم السجاير .

- يا عم قول يا باسط دا معاهم سجاير تملأ عشر دكاكين. ثم

وفيه إيه لما اخد منهم سجاير، مش همه الى ودونى فى داهية، مش
 كفاية رفدونى من الوظيفة .

- ما انت الى غلطان يا شوقى، انت الى وافقت تنضم لهم .

نظر نحوى نظرة غيظ وقال بصوت مجروح :

- تبقى انت مش مصدقنى. طيب احلفك بإيه ان الى قلتهولك هوه

الى حصل، أنا افكرت التيار الثورى حاجة زى الأحرار الدستوريين،

□ حزب ست الحباب □

زى حزب العمال بتاع عباس حليم. وافكرت انه هيستلم الحكم .
واحنا هنتنغ نغ زى الجماعة بتوع الوفد زمان بذكمتك مش كان
واجب عليهم يقولوا لى إنهم شيوعيون .

وانخرط شوقى فى بكاء عنيف وبصوت كالعواء، ولقت بكاءه
الأنظار فاتجه البعض نحونا يسأل ويستفسر، وقطعت الطريق على
الجميع وزعمت لهم أن عمته التى كانت أثيرة لديه توفاهها الله منذ
أسبوع. وبعد لحظات أقبل نحونا مندوب الحزب وطيب خاطر شوقى
وقدم له علبة سجائر كاملة، ثم جاء مندوب (حدثو) ومعه عشر
سجائر وكوب شاي، ثم جاء مندوب (طش) ومندوب (وش) وقدموا
التعازى لشوقى... ياله من تغيير مفاجىء منذ لحظات كان يبكى
بحرقه، ثم جاء الشاى والسجائر وأصبح شوقى شخصية أخرى، ثم
انه راح يلتمس العذر لـ (الزملا) الذين كان يهاجمهم منذ لحظات .

– طيب تعرف.. مش همه ودونى فى داهية وخربوا بيتى، بس همه
عيال جدعان. على فكرة أنا أما سمعت كلامهم الى بيقولوه فى العنبر
حسيت أن عقلى كبر. دا فيهم ناس – يا قوة الله – عليهم مخ.. يوزن
بلد .

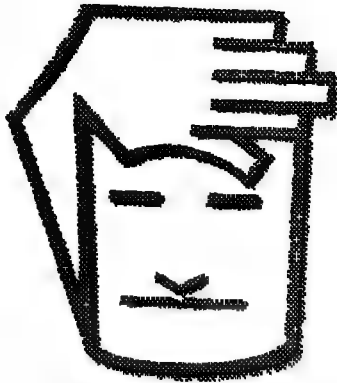
يبدو أن شوقى بعد مرور أسبوع من بكائه فى ممر السجن الذى
يفصل بين الزنازين قرر الانتماء، فاختار الانضمام إلى الحزب لأن
مقطوعية السجائر تبعه كانت أكثر. وأصبح شوقى يحضر
الاجتماعات والندوات ويؤدى واجبات محددة. ولكن لأن شوقى كان
صاحب شخصية مرحة ومفلوطة العيار، فقد وجد نفسه فى معركة
مستمرة مع أحد المسئولين فى الحزب. كان الرجل يكس شوقى تماما،
شديد الجد شديد التجهم عابس الوجه. عيناه لا توحيان بشيء
كأنهما عينا سمكة ميتة. وعندما سألت شوقى عن سبب الخلاف قال
وهو يزفر زفرات حارة .

□ حزب ست الحباب □

– وهو معقول يبقى فيهم راجل بالشكل ده وعاوزين ينجحوا .
 دا بيعتبر الضحك عيب والنكتة انحراف .
 واكتشفت أن الخلاف بين شدة الانضباط وشدة البحبحة، وقلت
 لشوقى :

– استحمل يا شوقى، دول ناس فى سنة أولى ماركسية، وبعدين
 السرية والقمع هيه الى موتراهم بالشكل ده.
 ثم انت ناوى تمشى معاهم على طول ورد شوقى على الفور .
 – أنا والى خلقك معاهم لحد السجاير ما تخلص .

بعد ثلاثة شهور بالضبط فى سجن القلعة تم ترحيلنا إلى معتقل
 الفيوم. وهو فى الأصل كان معسكر للجيش الانجليزى يقع على
 مشارف الواحة وعلى حدود الصحراء. كان منظر المعتقل رهيب،
 وإدارته عصبية ومرتبكة بقيادة أحد الصولات الذى ترقى ودخل
 سلك الضباط، وكان برتبة صاغ بالرغم من أنه تجاوز الخمسين من
 العمر. وزاملنى شوقى فى عنبر، وكان العنبر تحت قيادة حدثو،
 وهكذا انتقل شوقى من الحزب إلى حدثو، وانخفضت مقطوعية
 السجاير إلى النصف. ولكن شوقى كان مرتاحا للتغيير، كانت حدثو
 عكس الحزب، كانت أقرب إلى تنظيم شيوعى مصرى، أغلب أفرادها
 من الفنانين. وحركتها فى المجتمع أشبه بحركة ثقافية.. بينما كان
 الحزب أقرب إلى تنظيم روسى فى بداية الثورة أو تنظيم ألمانى من
 العنصر الثورى.. ومع أن شوقى كان يشعر بالراحة مع حدثو،
 واستفاد كثيرا لقربه من التنظيم، إلا أنه فجأة قرر أن يخلع نفسه من
 كل التنظيمات وأن ينضم إلى تنظيم (زمش) وكانت الأسباب التى
 فرضت على شوقى اتخاذ هذه الخطوة.. أغرب من الخيال !



نظام يا غلبه

الشهيد

١٠

●● كان عم شوقي قد قرر الخروج من هذه المصيدة التي وجد نفسه فيها دون رغبة منه بأى ثمن إنه لم يخلق لمثل هذه الحياة مهما كانت الثمرة التي سيحصل عليها في نهاية الأمر. هب أنه أصبح وزيرا .. ملعون أبو الوزارة والوزير. إنه صابغ بطبعه يحب الليل ويعشق البلبطة في النيل وأشهر طعام لديه هو ما يصطاده بيده ، سمك بلطى من النوع الرخيص يصطاده بسنارة من صنع يده ، أو يمامة يطاردها بنبله من أستك السروال . وهو طفل صغير كانت كل سراويله بدون استك ، وكانت أمه تخلع غطاء رأسها ، وتطلب من السماء أن تأخذه إلى نار جهنم، أو تصيبه بعمى في عينيه وهو لم يتصور في لحظة من اللحظات أنه سيدخل السجن . فهو بالرغم من تبجحه وتمرده ، إلا أنه لا يتعدى الخطوط الحمراء . ويتحاشى الصدام برجال الشرطة وخصوصا المخبرين لأن أكفهم غليظة وقلوبهم لا ترحم ! ●●





وجاءت الفرصة لعم شوقي للخروج من هذا الجب الذي دفنوه فيه بالحياة . كانت السياسة الأمريكية قد تمادت في غطرستها ، لدرجة أن عمال الشحن في ميناء نيويورك رفضوا تفريغ حمولة الباخرة المصرية كليوباترة ، لا لسبب إلا لأن عبد الناصر زعيم مشاغب لا يريد الخضوع لرغبات البيت الأبيض . وثار عمال العالم العربي غضبا على هذه الغطرسة الأمريكية ، ورفضوا شحن أو تفريغ أى باخرة أمريكية ترسو في

الموانئ العربية . ووجد تنظيم (حدثو) في هذه المناسبة فرصة لإعلان تأييدهم لعبد الناصر ضد الغطرسة الأمريكية . وتصور عم شوقي أن تأييد عبد الناصر في هذا الموقف كفيل بفتح أبواب السجن والإفراج عن جميع النزلاء . ولذلك ذهب إلى مكتب المأمور وكتب بيانا ملأ خمس صفحات فولوسكاب ، ولم ينس أن يؤكد في البيان توبته عن اتخاذ أى موقف يتناقض مع سياسة الحكومة ، ووعد بأن يكون جنديا مخلصا في كتائب الاتحاد القومى . وحرص على استنكار النظرية الشيوعية ووصفها بأنها خطة شيطانية لإعلان الحرب الأبدية بين الطبقات ، وتعهد بمقاومة الشيوعية ولو كلفه ذلك حياته نفسها . وكان عم شوقي كاذبا بالتأكيد ، فهو لم يكن يهدف إلا للخروج من بوابة السجن ، وهو لم يؤمن في حياته بالاتحاد القومى أو هيئة التحرير أو أى حزب أو تنظيم ، ولكنه كان يشارك أحيانا في العمل السياسى أيام الملك وأيضا أيام هيئة التحرير من باب المهيسة

□ الشهد □

والمشكحة والشقاوة ، التي ليس من ورائها أى هدف إلا شفت
أقداح القرفة وضرب حجرين على الماشى .. للمزاج !

الله يخرب بيت السياسة وبيوت أصحابها . لو خيروا العم شوقى
بين مكتب رئيس الوزراء وكرسى على رصيف قهوة كتكوت ، لاختر
قهوة كتكوت .

شئ واحد فقط كان يغيظ عم شوقى ، وهو ضباط الشرطة
والمخبرون ، لا بيدون أى احترام لرواد قهوة كتكوت . وآه .. كم حلم
العم شوقى بالجمع بين منصب رئيس الوزراء والجلوس على قهوة
كتكوت ، حتى يبتعد عنه المخبرون ، الله يخرب بيوتهم .. لسوعوه مرة
بالخرزانة وهو جالس على رصيف القهوة وآخر انسجام . ليس هناك
أى تفسير لموقف المخبرين من رواد القهاوى الغلابة ، مع أن المفروض
أن الذى اختار القهوة محلا مختارا له هو مواطن صالح بالتأكيد .
لماذا يطارد المخبرون الجالسين على القهاوى ، فى الوقت الذى يرتع فيه
ربع مليون حرامى ونشال وهجام وقاطع طريق دون أن يتعرض لهم
أحد ؟ يبدو أنه لا كرامة للضعيف على أرض البشر فى اليوم التالى
استدعى مأمور السجن العم شوقى إلى مكتبه ، وتصور شوقى أنه
أخطأ فى كتابة البيان ، وستكون ليلته أسود من قرون الخروب .
وذهب بصحبة الشاويش إلى مكتب المأمور ، وفوجئ شوقى بأن
المأمور استدعاه لي شكره . فاللهجة التى كتب بها البيان راقية جدا ،
وتؤكد على أن كاتبها مواطن صالح بالفعل ولا يضمّر عدا للنظام من
أى نوع .

وقال له المأمور فى لهجة طيبة ..

- فيه خبر علشانك

وكاد شوقى أن يطير فرحا ويخلق فى الفضاء العالى ، فقد تصور
أن بوابة السجن ستنتفتح على مصراعها خلال أيام قليلة ليخرج منها

□ الشهيد □

إلى الهواء الطلق . وأراد شوقي أن يؤكد موقفه ، فطلب من المأمور أن يعطيه عدة أوراق فولسكاب ، لكي يقنع أعضاء الحزب الذين ، يرفضون تأييد الحكومة . وابتهج المأمور بشدة وناول عم شوقي رزمة ورق ، وطلب منه أن يعيدها مكتوبة أو بيضاء ، وأن يحرص على عدم فقد ورقة واحدة منها ، وحتى لا تتحول إلى منشور ملتهب ضد النظام . عندما عاد عم شوقي إلى العنبر ، كان النزلاء من الزملاء ينتظرون على أحر من الجمر لمعرفة سر استدعاء العم شوقي إلى مكتب المأمور .

وتجاهل العم شوقي الأسئلة التي انهالت عليه من جانب الزملاء تريد تفسيراً لهذا الاستدعاء المفاجيء ، ولكن العم شوقي لم يهتم بالأسئلة ، وشق طريقه وسط الزحام ، وسلك الدهليز الضيق الذي يفصل بين الزنازين وصاح عالياً :

يا زملا .. الى عاوز يستنكر ونطلع كلنا بإذن واحد أحد وكل حي يروح بيته ويشوف عياله أحسن من القعدة المهيبة دى .. الى عاوز يستنكر يقول هات ورقة يا عم شوقي .

انجذب نحو شوقي عدد من المعتقلين المسحوقين يطلبون أوراقا، فأمهلهم شوقي قليلا لكي يسجل أسماءهم على ورقة معه، ولكنه اكتشف أنه لا يحمل معه أى أقلام ، والتفت عم شوقي إلى الشاويش محمود الصيفى وطلب منه قلما ، ولكن الشاويش الذى لم يكن يعلم بسر الاتفاق بين المأمور والعم شوقي ارتعد كثيرا لهذا الطلب . فالقلم والورقة كانا على رأس المنوعات فى هذا المعتقل الرهيب ، وتصور أن عم شوقي اللثيم يريد الإيقاع به ، فلطشه بالقلم على صرصور ودنه ، ثم صاح بأعلى صوته :

قلم يابن الكلب .. عاوز ترمينى رميتهوا المهيبة دى ! كان شوقي الذى ترنج بسبب غنف القلم ، خصوصا أن الشاويش محمود

□ الشهد □

الصيفى كان يزن مائة كيلو على الأقل وكان كفه فى حجم جزمة مقاس ٤٦ ، قد سقطت من يديه الأوراق التى أخذها من المأمور ، فخطفها بعضهم ودخل إلى الزنازين ، وجرى شوقى نحو الزنازين يطلب منهم الأوراق التى اختطفوها ، فهى عهدة من البية المأمور وسيدفنه حيا لا محالة إذا ضاعت هذه الأوراق . ولكن شوقى فوجيء بثورة عارمة ضده ، اتهمه بعضهم بأنه عميل للمخابرات المركزية ، والبعض الآخر أكد أنه يعمل لحساب حلف الأطلنطى ، ولكن شوقى لم يهتم بهذه الاتهامات ، المهم عنده هو الحصول على الأوراق التى فقدوها ، وليكن عميلا للشيطان نفسه ، فلا شىء يهم إلا الأوراق المفقودة . واضطر شوقى إلى الدخول فى عراك مع الزملاء ، وتجرا أحدهم وضرب شوقى بكف يده على وجهه ، ثم انهالت اللكمات بعد ذلك من الجميع .

كانت ليلة ليلاء لم ير شوقى مثلها فى حياته ، كان وحيدا فى غرفة التأديب ، ولا سجانر معه ولا رشفة شائى ، والحجرة ظلام ، وإن كان وقع دبيب الحشرات السارحة فى الزنزانة يصل إلى سمعه الذى تأثر كثيرا بسبب أقلام العساكر ولكمات الزملاء وشومة المأمور ، الذى أصر على تعليق شوقى فى الفلكة ، لأنه خدعه وسرب الأوراق للحزب الشيوعى لكى يستخدمها فى كتابة المنشورات وكانت هذه هى النهاية الكئيبة . وأسبوع كامل والعم شوقى فى الزنزانة لا يقتات إلا بأرغفة الخبز والماء ولا يرى أحدا ولا يكلم أحدا ، حتى العسكرى عبد الفتاح المعتوه الذى كان يبدي الود للعم شوقى رفض مبادلة شوقى الحديث ، باعتباره خائنا وعميلا للمخابرات المركزية الأمريكية ! أسبوع كامل والعم شوقى يفكر فى أحوال الدنيا والناس ، هؤلاء العيال الشيوعيون يلقون بأنفسهم إلى التهلكة ، لا يباليون بما يحدث لذويهم ، مع أنه يعلم علم اليقين أن بعض الأسر اضطرت إلى ترك مساكنها والإقامة فى الشارع ، وأكثر من مئتى حالة طلاق وقعت بين

□ الشهد □

الزوجات المقيمات وحدهن في الخارج والأزواج المحبوسين في الزنازين، ومع ذلك لا أحد منهم يهتم ، يقولون إن مستقبل الوطن أهم وما هو الوطن ؟ إذا لم يكن أسرة سعيدة ومتماسكة وتمارس الحياة في أمان ؟ لم يحب مصر أحد مثل العم شوقي ، ولكنه بعد الذي حدث له في السجن ، وبعد أن أصبح ملطشة للعساكر والنزلاء ، ملعون أبوه الذي لا يلزم داره ، حتى إذا شبت النار في كل مكان . ولكن .. ماهي هذه المركزية التي يتهمه الناس بها ؟ ويرددون في كل مكان أنها تدفع بسخاء للمتعاملين معها ؟ أين تقع هذه المركزية وفي أى مكان ؟ لابد أن هؤلاء الشيوعيين يعرفون مكانها وأنهم يترددون عليها ، وربما يقبضون منها ما يساعدهم على احتمال المحنة التي يتعرضون لها الآن . ياسلام .. لو ابستمت الأيام وقدر للعم شوقي الخروج حيا من هنا . ولو ضربة حظ وعرف العم شوقي الطريق إلى المركزية خصوصا أنه قرأ في منشوراتهم التي جاء بها زميله في مديرية التحرير أن رئيس كوريا الجنوبية يأخذ منها ورئيس جواتيمالا يغترف من كنوزها ، وإذا كان الرؤساء يأخذون من أموال المركزية ، فلماذا يرفضها العم شوقي ؟ مرت أيام التأديب كثيفة ومملة وعندما غادر العم شوقي زنزانة التأديب قرر أن يقطع صلته بأي تنظيم شيوعي ، وأن ينضم إلى زمش ، وقرر أيضا أن يبقى في زمش حتى وهو خارج الأسوار ، والله يرحمه ويحسن إليه المقاتل الذي خرج من المعركة ونادى عليه أحدهم يا جبان .. فرد قائلا .. أن يقال جبان وهرب خير من أن يقال بطل ومات يرحمه الله ، ومرت سنوات السجن سريعة على العم شوقي وهو في تنظيم زمش حتى الزنزانة لم يعد يغادرها كثيرا إلا لجمع أعقاب السجائر ، فقد كانت السجائر من الممنوعات ، ولكن حتى أعقاب السجائر أصابها ما أصاب كل شيء في الحياة ، أعقاب سجائر رخيصة لم يتبق منها غير الفلتر ، وأحيانا يعثر

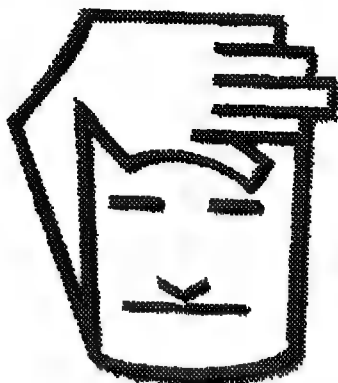
□ الشهد □

العم شوقى على أعقاب فيها رمق ، يبدو أنها كانت بين أصابع سجان فاجأه المأمور فألقى بها على الأرض ولكن نظرية العم شوقى كانت تقوم على أساس شىء خير من لا شىء وأحياناً كان يضطر إلى تجفيف أوراق الشجر وتدخينها ولكن جاءت الفرصة للعم شوقى ذات مساء وبعد التمام وإغلاق الزنازين ، دخل العنبر أحد الضباط الصغار وطلب من مندوبى التنظيمات الخروج لمقابلة المأمور لعرض مطالبهم عليه ، وخرج مندوب الحزب ومندوب طش ومندوب وش ورفض مندوب حدثو الخروج لأنه ليس له مطالب وطلب العم شوقى الخروج باعتباره مندوب زمش لكى يعرض مطالبها على البية المأمور ، خرج الضابط من العنبر يتبعه مندوبو التنظيمات ومن خلفهم العم شوقى بقامته الطويلة وظهره المحدودب كأنه ديك هندى مريض وبينما اتجه الجميع يساراً اتجه العم شوقى يمينا وراح يرقب باهتمام تحت قدميه ، فلم يكن هدف العم شوقى مقابلة المأمور أو عرض مطالب عليه ، ولكن كان هدفه الحقيقى هو جمع ما تيسر من أعقاب السجائر فى هذا الجو الخالى الذى لا يزاخمه فيه أحد واندشش المأمور جداً لهذا المعتقل الذى اتجه يمينا ، بينما المأمور وسط حراسه الأشداء يقفون ناحية اليسار ، ولم يكن المأمور فى واقع الأمر يريد أحداً غير هؤلاء الثلاثة الذين كانوا لحظتها يتجهون نحوه فى خطوات ثابتة ، وكذلك صاح هائجا مطالباً العساكر بإعادة هذا الحمار إلى العنبر ، كان المأمور قد دبر هذا اللقاء لضرب هؤلاء المندوبين الثلاثة علاقة موت ، حسب التعليمات الرسمية التى وردت إليه وكان قد أعد العدة بعساكر أشداء وشوم من النوع الذى يكسر ولم يكن يريد شاهداً واحداً على ما سوف يجرى خلف مكتبه بين العساكر والمعتقلين الثلاثة ولذلك أمر بإعادة العم شوقى إلى العنبر بسرعة وبأى طريقة ، ولذلك تكرر صيحاته دخلوا الحمار ده دخلوا البغل ده ،

□ الشهيد □

دخلوا الطور ده واستبد الذعر بالعساكر فانهالوا ضربا على العم شوقى ولكن كل أنواع الضرب تهون إزاء هذا الكنز من أعقاب السجائر الذى رآه العم شوقى متناثرا على أرض الحوش فى هذه اللحظة التى لا يوجد فيها أحد من المساجين غيره ، ونزلت شومة على كلية العم شوقى فانطرح على ظهره يئن أنينا رهيبا وتصور العساكر أنه يتظاهر بينما كان الدم يتدفق من فمه بغزارة وبعدها لم يتوقف الضرب إلا عندما كف العم شوقى عن الصراخ عندئذ حمله العساكر وأدخلوه زنزانته وألقوا به على الأرض وعندما التف حوله زملاء فى الزنزانة أدركوا بوضوح أن العم شوقى فارق الحياة.. بعد أن انتهت العلقة التى دبرها المأمور للمندوبين الثلاثة نقلهم العساكر إلى مستشفى السجن وعندما طلب نزلاء زنزانة العم شوقى نقل شوقى إلى المستشفى أمرهم المأمور بأن يلزموا الصمت ولكنهم فى الصباح اضطروا لنقله إلى المشرحة وبعد يومين فى المشرحة أكلت فيها الفئران أنفه وأذنيه سمحوا بدفنه بعد أن كتب الطبيب تقريره بأن الوفاة حدثت نتيجة اصطدامه بجسم صلب أثناء قفزه من سور السجن بقصد الهرب !

مات العم شوقى سميلة أك سورى إكوانى على رأى إخواننا فى جنوب السودان ، لم ير الشوارع كما كان يتمنى ولم يجلس على رصيف قهوة كتكوت ولم يذهب إلى المركزية ولم يعرف حتى أين تقع وفى مساء اليوم التالى خيمت على السجن سحابة من الحزن العميق ، وجلس جميع النزلاء داخل زنازينهم يستمعون إلى كلمات التأبين التى القاها بعضهم فى ذكرى الشهيد العظيم ، الذى مات فى سبيل مبادئه ضد القمع الديكتاتورى وضد الإرهاب الفاشى وفى الصباح الباكر وزعوا سجائر على روح الشهيد العم شوقى ، مسكين العم شوقى ، لو أعطوه سيجارتين من هذه السجائر فى حياته لكان الآن حيا وسطهم .



تسليمنا لـ

الأبـ الجربان

١١

●● سيد الديكى مجرد عامل غلبان من شبرا
الخيمة ، دخل الحزب الشيوعى فترة قصيرة
قبل أن يجد نفسه فى السجن مع عدد كبير من
المنقذين من الوزن الثقيل . كان برغم السجن
والتعذيب يشعر بالفخر لأنه محبوس فى مكان
واحد مع هؤلاء المشاهير الذين كان يرى صورهم
فى الصحف . وكان يحلو له أن يستمع إلى
مناقشاتهم الحامية ، ويتأثر بشدة من بعض
التعابير الغريبة التى تتردد على ألسنتهم
فيحفظها وينقلها عنهم وينطقها بطريقة .
فرية (فريم) فيزيكال (فازيكا) وكان
ينطق الكلمة الأخيرة بطريقة مضحكة
فأطلق عليه الجميع اسم فازيكا ،
وصار اسمه سيد فازيكا وعرف بهذا
الاسم عند العساكر والنزلاء ●●





● الأسد الجريان ●

واستهوت هذه العبارات الزميل سيد ، فراح يجمع منها مفردات كثيرة ، ثم راح يستخدمها في حديثه وتسبب له هذا السلوك في علاقة سخنة فقد استدعاه المأمور واتهمه بتهريب أشياء ممنوعة لكنه نفى الاتهام بشدة وقال للمأمور دى فريم ! ولا ضربه المأمور بقبضة يده على صدره احتد سيد بشدة وصرخ في وجه المأمور محذرا الضرب ده عمل لا يحمّد كعباه ، كتم المأمور ضحكة ثم انهال عليه ضربا باللكاكيم

والشلايت بينما سيد راح يصرخ ويحتد ويحذر المأمور بأن نتيجة هذا العمل سيكون من أسوأ (العناكب) العواقب . وبالرغم من شدة الضرب الذى كان ينهال على سيد بين الحين والآخر إلا أنه لم يكف عن استخدام لغة المتقفين ، وتطور سيد كثيرا فأصبح يفتى في كل شيء من السياسة إلى الدين إلى الفن إلى الأدب وتجرا أكثر فألف مسرحية بعنوان النضال الزاحف ثم كتب قصة قصيرة ووجد بين زملائه من يشجعه وتمادى بعضهم في التشجيع ف عقدوا مقارنة بينه وبين جوركى وكتب أحدهم دراسة عن أدب سيد فزيكا التلقائى وقارن بينه وبين نجيب محفوظ الذى يكتب للطبقة البرجوازية المنحلة ، بينما أدب فزيكا هو التعبير الحقيقى والموضوعى عن الواقعية الاشتراكية . واندمج سيد في الدور الجديد فعقد ندوة داخل السجن تحدث فيها عن أدب الأفنديايات وأعلن قيام عصر الأدب الشعبى الذى يكتبه الشعب لكل الشعب . وانقسم السجن حول قضية سيد فزيكا فقال بعضهم

□ الأسد الجربان □

لا بأس من تشجيع سيد ولكن بشرط أن يكون التشجيع في حدود مواهب سيد وقدراته الحقيقية، والبعض وصف هذا الموقف بأنه رجعى ومتخلف ، وأعلن أن عصر الأدب الفردى انتهى أمره ، وأن الأدب في واقع الأمر ليس إبداعا فرديا أو حالة من الاتصال بين المبدع والوحى ، وأن الأدب في المستقبل القريب وطبقا لنظرية الواقعية الاشتراكية سيتحول إلى عمل جماعى ، أما القصص التى يكتبها ابراهيم الوردانى أو يوسف إدريس فتصبح جزءا من التراث وستدخل في متحف التاريخ . أصبح سيد فزيكا القضية الأولى في السجن . وأهمل سيد واجباته التى كان عليه أن يقوم بها في الزنزانة . كان عليه واجب تنظيف الزنزانة يوما في الأسبوع والاشتراك مع آخرين في تنظيف دورة المياه . وكان ضمن واجباته أيضا إعداد الشاى داخل الزنزانة ليلا ، ولكنه كف عن ذلك منذ أن صار أديبا يشار إليه بالبنان . كان هناك جانب آخر من الزملاء الذين كانوا لا يؤمنون بموهبة سيد فزيكا ولا يعترفون بفضلته على مسيرة الأدب العالمى فكانوا يسخرون منه أحيانا وتنشب أحيانا بينه وبينهم خناقات بسيطة ، وعندما أقترب موعد الافراج عن الشيوعيين كان سيد فزيكا يحتفظ في أماكن سرية ، داخل الزنزانة بعدة دفاتر من ورق البفرة تحمل عصير أفكاره ، وكان مستعدا للموت في أى لحظة من أجل الدفاع عن هذه الدفاتر .

أخيرا ... انفتحت أبواب المعتقلات وخرج الشيوعيون من المعتقلات والسجون وبدأت مرحلة جديدة في مسيرة العمل الثورى ، الاغلبية مع حل التنظيمات ، والدخول في تنظيم الحكومة باعتبار أنه نظام وطنى يحقق الاشتراكية بطريقة أو بأخرى . وانتهى الخلاف بانتصار الأغلبية وحل التنظيمات ، وبدأت عمليات اندماج بين الشيوعيين والحكومة وعاد أغلبهم لأعمالهم ورأت الحكومة إبعاد

□ الأسد الجربان □

بعضهم عن المراكز التى يشغلونها ونقلتهم إلى مراكز أخرى .
 أما أصحاب الرأى وأصحاب الكلمة فقد ألحقوهم جميعا بدور
 نشر ودور صحفية .. وبدأت الحياة تعود إلى وضعها الطبيعى .
 وابتسمت الدنيا للمناضلين من أعضاء التنظيمات اليسارية الذين
 قضوا أغلب وقتهم فى السجون والمعتقلات على مدى السنوات الطويلة
 التى أعقبت الحرب العالمية الأخيرة .. وإذا كانت جميع المشاكل قد
 حلت أو كادت فقد بدأت مشكلة بلا حل هى مشكلة سيد فزيكا . قبل
 السجن كان عاملا فى مصنع نسيج بشبرا الخيمة ، وهو الآن يفضل
 الموت على العودة إلى هذا المصنع الكئيب الذى واجه فيه صنوفا من
 الهوان والعذاب . كان فزيكا يتصور أن النقاد الكبار الذين رفعوه إلى
 مصاف جوركى وتشيكوف سيعملون بعد خروجهم من السجن إلى
 حشره فى زمرة المثقفين والأدباء والحاقد بعمل يتفق مع مواهبه
 الجديدة ، وظيفة محرر فى جريدة أو مؤلف فى دار نشر ، ولكن يبدو
 أنهم نسوه بعد أن تحول كل منهم إلى تنظيم مستقل بذاته . وراح
 فزيكا يدور على زملائه القدامى فى مواقع أعمالهم واستقبلوه فى
 البداية بترحاب وبشوق ، وبعضهم راح يستعرض معه ذكريات أيام
 السجن الطويلة ، وبعضهم بعد الزيارة كان يدس فى جيبه بعض
 أوراق النقد ، خصوصا بعد أن يعرف أن فزيكا لم يعد إلى المصنع
 القديم ولم يعثر على عمل جديد ولكن بمرور الأيام وتعاقب الشهور
 والسنوات ، بدأت زياراته للزملاء القدامى لا تجد ترحيبا كبيرا ثم لا
 تجد ترحيبا من أى نوع ، ثم شعر بفتور الآخرين نحوه ، واضطر
 أحد الزملاء إلى الصراخ فى وجهه وتمزيق مامعه من أوراق وطرده شر
 طردة من مكتبه وهدده بتسليمه للشرطة إذا عاود زيارته مرة أخرى .
 كان من عادة سيد فزيكا عندما يقوم بزيارة أحد زملائه القدامى
 فى موقعه الجديد أن يحمل معه بعض نماذج من إنتاجه الجديد .

□ الأسد الجربان □

وكانت قصة الأسد الجربان هي آخر إنتاجه الأدبي بأسلوب الواقعية الاشتراكية التي كشف عنها السادة نقاد السجون الذين دخلوا معارك ضد زملائهم من أجل أدبه الجديد .

كانت القصة عن رجل يعمل في مهن شتى فهو بائع أحيانا ، ولص يسرق أشياء تافهة أحيانا ، ثم صاحب قهوة صغيرة على الطريق مجرد مائدة صغيرة عليها باجور جاز وبراد شاي وعدة أكواب وفنجانين وزير ماء إلى جانبه ، وكان يتوقف عنده سائقو سيارات الأجرة الصغيرة خصوصا في النهار . أما في الليل فكان يتوقف عنده اللصوص وقطاع الطرق ورجال الشرطة وساموه رجال الشرطة ليعمل مرشدا لهم ولكنه لشدة كرهه لرجال الشرطة الذين تعامل معهم داخل السجون قرر أن يتخذ جانب اللصوص والمجرمين وفاتح رئيس العصابات في المنطقة على أن هناك مكانا ما في الجبل يستطيع فيه أن يعد الشاي والقهوة لرجال العصابات .. وبالفعل انتقل من مكانه إلى مكان آخر في الجبل .. ولكنه اكتشف أنه فعل شيئا غير مدروس وأن حصيلته اليومية في الجبل لا تتعدى بضعة قروش . وعندما شكا حاله لرئيس العصابة عرض عليه أن يترك هذه المهنة الخائبة التي لا تغنى ولا تشبع من جوع وأن يشترك مع أفراد العصابة ويحصل على نصيبه وهو بالتأكيد نصيب كفيلا بتوفير حياة طيبة للقهوجي . وفي أول طلعة مع اللصوص وقعت كاسبة من الشرطة وقتل بعض اللصوص وفر البعض الآخر وسقط القهوجي في أيدي الشرطة . ورفض سيد أن يعامل كاللصوص فهو ثائر وليس لصا .

فوقف يناقش ضابط المباحث ولكن ضابط المباحث لم يكن لديه الوقت أو الاستعداد لمناقشة أي أحد أو الاستماع إلى أي شيء ولما أصر القهوجي ضربه الضابط على وجهه فرد له القهوجي اللطمة

□ الأسد الجريان □

وبدأت معركة انتهت بمقتل القهوجي والقاء جثته بالمزارع وعثر عليه اللصوص في اليوم التالي فأخذوه وغسلوه وكفنوه ودفنوه وعندما انتهت مراسم الجنازة التي لم يحضرها إلا أربعة أشخاص فقط من زملائه اللصوص قال أحدهم .. أنا شفته وهو بيكلم الضابط كان زي الأسد ورد عليه زميله بس أسد جريان . كان كل من يقرأها يثني عليها طبعاً وعلى مؤلفها خجلاً وحياء باعتبار أن سيد فزيكا زميل على كل حال .. ولكن سيد ألح على نشرها ونشر مؤلفات أخرى من إنتاجه . ثم نشر جميع ماكتبه في كتاب أو في كتب .. وعندما ناقشه أحدهم بأن هذا الأمر غير ممكن ، والظروف لا تسمح ، تساءل سيد في دهشة شديدة .. واشمعى لويس عوض ومحمود العالم ولطفى الخولى ومش بس دول .. دانتوا بتطلعوا كتب للناس كانوا بيعارضونا في السجن وكان خطهم السياسى مايح وبتطلعوا كتب كمان لى أسوأ منهم حاول أحد الزملاء مساعدته وكان فناناً ورقيقاً ، وكان يعطف على سيد فزيكا ويمد به بين الحين والآخر ببعض النقود ، بل انه ذات مرة - وكان مسئولاً عن دار نشر - أخذ منه بعض إنتاجه وأصدره في كتيب صغير على أساس أنها محاولات من مواطن يشعر بأن عليه واجباً نحو وطنه . هذا العمل الخيري الطيب كان سبباً في الجنون الذي أصاب سيد فزيكا وجعله يؤمن بأنه أحد كبار الأدباء في العالم العربي . طبعاً سيد كان معذوراً . فرجل لا يعرف القراءة والكتابة ويجيد لغة فريم وفازيكا وكعباءة ويدعو إلى تطور الأدب والفن لمصلحة الناس الشقيانين . المهم أنه كان شديد الوطأة وشديد التعذيب للرجل الفنان الرقيق الذي حاول أن يمسخ على جراحه وحاول أن يقنعه بالعودة إلى عمله القديم مع استمراره في كتابة القصص .. وقال له .. إن هناك كثيرين مثله يشتغلون في أعمال أخرى ويمارسون الأدب في الوقت نفسه وضرب له مثلاً بالدكتور عبد القادر

□ الأسد الجربان □

القط استاذ الجامعة والاستاذ يحيى حقى الذى كان سفيرا وزكريا الحجاوى الذى كان موظفا . وتوفيق الحكيم الذى كان مديرا لدار الكتب ولكن سيد فزيكا لم يقتنع . لقد تفجرت موهبته فى السجن واعترف بها جميع النقاد خصوصا الذين كانوا ينزلون فى زنزانه ٨ باعتبار أن سجن الواحات الخارجة ، ولا بد من نشر هذا الإنتاج أو الالتحاق على الأقل بوظيفة أدبية ، وخسر سيد فزيكا آخر صديق كان يعطف عليه فى مجموعة الزملاء القدامى .. بعد انقطاع صلة فزيكا بأخر خيط كان يربطه بالزملاء السابقين لجأ إلى مهنة أخرى ربما لم يفكر فيها من قبل إلا لحظة تأكده بأنه فقد كل شيء . كان يقف على باب المؤسسات الصحفية التى يعمل بها زملاؤه السابقون ينتظرهم ويطلب منهم أن يشتروا قصصه وينشروها بمعرفتهم باعتبار أن هذا واجب تفرضه عليهم الزمالة القديمة — ثم تطور الأمر بعد ذلك فأصبح يقف على الأبواب يوم القبض فقط . وأعطوه مرة ثم انقطعوا بعد ذلك فعاد فى الشهر التالى وفى يده شومة وقام بتهويش البعض مرة وضرب فى الملبان مرة أخرى . واضطر رفقاء الماضى لإبلاغ الشرطة وعاد فزيكا إلى السجن من جديد ولكن ليس من أجل رفع مستوى الفقراء وشيوع الرخاء والسعادة على الجميع هذه المرة كانت التهمة هى البلطجة . وتردد فزيكا على السجون ذهابا وإيابا عدة مرات ثم شعر فى النهاية بأنه لا يستطيع أن يحتمل كل المشوار ، فالوضع مختلف كثيرا عن السجن فى الفترة الماضية فقد حاول الاتصال بأحد رفاق السجن ولكنه فشل .

لقد تبرجوا جميعا وانتقلوا إلى طبقة أخرى هم ينعمون الآن بالاستقرار والأمان يشربون أفخر أنواع الشراب ويأكلون أفخر أنواع المشويات ويدخنون السجائر الأمريكية التى يعود ربحها إلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية . لقد خانته الزملاء وتركوه وحيدا فى العراء .

□ الأسد الجربان □

وإذا كان قد فشل في أن يكون له مكان بينهم وفشل في أن يحتفظ
لقدمه بموضع في عالم الأدب ، فهو يستطيع أن يجد له دورا متفردا
وهو كشف هؤلاء العملاء والخونة وفضحهم أمام محكمة التاريخ .
وعندما اكتشف فزيكا هذا الدور الفريد لنفسه أطلق ذقنه ومزق
ما تبقى من ملابسه التي امتلأت بالرقع والثقوب وعاد إلى شومته
القديمة قبض عليها بأصابعه بما تبقى له من قوة وكتب منشورات
بخط يده فضح فيها خيانة الزملاء الذين أصبحوا يأكلون عند
الكبابجي ويشربون الشاي في قهوة المعلم أمين ويشترون القمصان
الجاهزة من عمر أفندي ويعيشون عيشة أمراء الهند في العهد القديم .
وبعضهم يفطر صنفين وثلاثة فول وطعمية وجبنة ، وهناك معلومات
تشير لأن بعضهم يأكل عسل نحل في الصباح ، كل منشور كان
يتضمن عددا من الفضائح من نوع أكل الفول والطعمية معا في وقت
واحد .

ومن يومها نزل فزيكا إلى الشارع يرتدى بنطلونه القديم وقميصه
المهلل ويخفي عينيه بنظارة سوداء والشوامة تحت إبطه بينما
أصابعه توزع المنشورات الثورية ضد رفاق الأمس .

وتستطيع أن تراه حتى اليوم يقطع الشارع ذهابا وإيابا يوزع
المنشورات والشتائم ، وأحيانا يهجم على بعض الجالسين في المقاهي
يطلب سيجارة وأحيانا ساندويتش ، وهو يختار الذين يطلب منهم
ويشترط أن يكونوا من عامة الشعب أما المثقفون الذين خذلوه
والرفاق الذين تخلوا عنه فهو لا يطلب منهم شيئا لا ينتظر منهم أى
شئ ، فليس بينه وبينهم إلا الثورة على الادعاءات الكاذبة والدعاوى
الزائفة وإذا كان هناك هدف فهو الحرص على الواقعية الاشتراكية
التي هو نفسه رمزها والتطبيق العملي على أنها الطريق الوحيد
والصحيح !



تتمتع يا غلام

العمدة

١٢

●● لا أحد يستطيع أن يحدد ما الذي سيحدث في السجن في اللحظة التالية. فالأمور عادة لا تستقر على حال. وقد يقع ما ليس على البال فتتحول حياة النزلاء إلى جحيم. وفي ذلك الصباح كان كل شيء يسير على مايرام، الورش شغالة والإدارة مسترخية في مكاتبها، وبعض النزلاء يلعبون في حوش الرياضة، وعساكر الحراسة فوق السور يتبادلون الشتائم مع بعض النزلاء، والأثرياء من النزلاء يتمشون كالعادة في الحوش الكبير تحت شمس يناير الضعيفة. في الوقت نفسه كان الشاويش المكلف بإدارة المطبخ يشرف على اللصات الأخيرة لإعداد وجبة العدس بعد أن اقتربت عقارب الساعة من الواحدة بعد الظهر. وبينما شاويش المطبخ يصرخ في النزلاء الطباخين، وصل حضرة الصول مبعوثاً من اليه المأمور بأمر عاجل بوقف عملية إنضاج العدس، لأن اليه أمر بذبح بقرة من أبقار مزرعة السجن وتوزيع لحمها مطبوخاً على النزلاء من باب الترفيه ●●





وصفق النزلاء العاملون في المطبخ للخبر السعيد،
وسرت موجة من الفرح بين النزلاء في العنابر وفي
الورش. فالبقرة هذه المرة بلدى من المزرعة وليست
لحمة مجمدة من المتعهد، وهى طازجة أيضا لأن البية
المأمور ذبحها لمناسبة لآبد سعيدة وإن كان النزلاء لم
يعرفوا حقيقتها بعد. وبلغت فرحة النزلاء العاملين
بالمطبخ حدا جعلهم يحملون الإناء الضخم الذى
ينضجون فيه العدس ويلقون بالطبخ في المراحيض.

فهذا العدس الذى كانوا ينضجونه مرت عليه سنوات طويلة في
المخزن، وهم اضطروا إلى طبخه رغم أنهم شاهدوا السوس يسعى
داخل الصفيحة التى وصلتهم من المخزن، سوس على دود على ذباب
على بقايا صراصير، ولذلك ولأنهم يعرفون سر العدس، فقد عملوا
حسابهم وقاموا بسلخ وتتبيل عدة فئران غيطى في حجم القطة
ولفوها بأوراق شجر عريضة ووضعوها في الفرن. والفئران الغيطى
أنظف في رأيهم من السوس والدود وبقايا الصراصير. ثم انهمكوا بعد
ذلك في تقطيع البقرة واحتفظوا لأنفسهم بقطعة كبيرة من الفخذ
وأعدوا منها ورقة لحمة بالبصل والثوم والطماطم والفلفل الأسود
والمالح. وقطعوا للشاويش خمسة كيلو من بيت الكلاوى لزوم عشاء
العيال في البيت، وأذاعوا في السجن كله أن اللحم الطيب سيكون معدا
للتوزيع في الخامسة وأن التمام سيتأخر نصف ساعة لكى يتم
التوزيع على الجميع قبل إغلاق الزنازين. وبينما الجميع يترقبون

□ العمدة □

وصول اللحم البلدى الطيب عاد العمدة من المزرعة. والعمدة هو لقب أطلقه النزلاء على فلاح مسجون تأبيدة في جريمة ثأر. ولأنه رجل طيب ومؤمن ويعرف الله، فقد كان الجميع يقبلون حكمه في المنازعات التى تنشأ بين النزلاء لسبب أو لآخر. وكان العمدة يتولى مع الشاويش الحلوانى مهمة الإشراف على عمل النزلاء الفلاحين في المزرعة، ولذلك كان غالبا يعود إلى السجن بحزمة جرجير أو عدد من حبات الليمون، وربطة فجل أو بعض ثمار التوت، أو أى صنف آخر مما تنتجه المزرعة التى تبلغ مساحتها خمسة أفدنة بجوار السجن. وعاد العمدة في ذلك المساء ومعه فجل كثير وكرات وخيارتان. وسأله النزيل بدوى وهو يقطع الحوش داخلا إلى العنبر .

- دا النهاردة لحمه يا عمدة. جايب الحاجات دى ليه ؟

ورد العمدة في هدوء :

- أنا رجل مسلم ما كلش الميتة.

- ميتة !؟

هكذا صرخ بدوى في الحوش ثم عاد يسأله .

- البقرة دى ميتة يا عمدة ؟

- من امبارح ، وعشان كده اتأخرنا ساعة امبارح في المزرعة،

والشاويش الحلوانى خاف يبلغ ليلة امبارح عشان السين والجيم،

وكان عاوز يلحق الحلزونة عشان يسافر لعياله في منوف .

- يا نهار أزرق

هكذا صاح بدوى بصوت مرتفع سمعه كل من في الحوش، وجذبت

الصرخة انتباه النزلاء فهرعوا إلى حيث يقف بدوى والعمدة، ولم تمر

لحظات حتى كان الخبر في كل زنزانة وفي كل موقع عمل. وصاح نزيل

كان يعمل مأمورا للضرائب :

- يا خبر اسود، هياكلونا لحمه ميتة !؟

□ العمدة □

ورد عليه اليانكى فى سخرية :

- يا عم ارم اللحمه وكل الخضار .

وقال نزيل آخر :

- يعنى الخضار الى كويس، ما هو ميت راخر !

اشتد الزحام بشدة حول العمدة، والكل يسأله عن حقيقة الأمر.

وحكى العمدة للناس الحقيقة دون زيادة أو نقصان :

- حقيقة ربنا البقرة دى كانت عيانه من مدة، وطلبنا الدكتور

البيطرى يشوفها ما حدش سأل فينا، وبعدين اشتد عليها المرض،

وبقت كلها جروح ودمامل وهزلت وضلوعها بانته. وامبارح وقعت

على الأرض وفرفرت شوية وراحت طبة ساكنة. الشاويش الحلوانى

قال.. خلاص، اكفوا ع الخبر ماجور لحد بكرة الصبح، حاكم

الحلزونة كان فاضل عليها ربع ساعة، ولو مالحقهاش هبضطربيات

فى السجن. النهاردة الصبح راح بلغ البيه الوكيل ، والبيه الوكيل كلم

ناس فى المصلحة ، وبعدين جابوا الواد نصر الجزار من التاديب

سلخها وقطع رأسها وقطعها، والبيه الوكيل قال فرقوها على

المساجين «ترفيه» وخلوهم يدعوا لنا فى الأيام المفترجة دى !

وسرعان ما ظهرت بوادر انقسام داخل السجن، بعض المعتنقين

طالبوا. بأبلاغ النيابة، والمعلم بدوى ومعه بعض المجرمين أصحاب

التأييده هددوا بعدم دخول الزنازين حتى يحضر مسئول من

المصلحة. ولكن الجميع اتفقوا على عدم دخول الزنازين والبقاء فى

الحوش وعندما اشتد الضجيج جاء وكيل السجن إلى الحوش وتساءل

عن سر الاجتماع فى الحوش. فتصدى له المعلم بدوى وأخبره بنبا

البقرة الميتة، فلزم الوكيل الصمت وراح يتفرس فى وجوه النزلاء،

وعندما تأكد أن الصدور تغلى بالحقد، وكان هناك ما ينبذ بالشر،

رسم على شفثيه ابتسامة باهته وقال :

□ العمدة □

– ومين اللي قال لكم الكلام الفارغ ده ؟

وانبرى له العمدة وقال له فى لهجة واثقة :

– دا كلام مضبوط يا سعادة الوكيل وانت عارف كده .

كان الوكيل المنقول حديثا من عمله السابق كرئيس مباحث لأحد مراكز الصعيد، بعد اتهامه بقتل أحد المتهمين أثناء التحقيق معه. كان المتهم الشاب الذى لم يتجاوز الخامسة والثلاثين قد ألقى القبض عليه فى قضية سطو مسلح ولما لم تكن هناك أية أدلة تدين الشاب المتهم، فقد حاول إجباره على الاعتراف، ولكن كل محاولات الضابط فشلت فى حمل الشاب على الاعتراف بجريمة لم يرتكبها، وهداه تفكيره إلى طريقة جهنمية. أجبر المتهم على ارتداء فانلة مبللة بالماء فلما جفت كررها عدة مرات على مدى أيام، أصيب المتهم بعدها بالتهاى رثوى، ولم يلبث فى محبسه إلا فترة قصيرة غادر بعدها الحياة، وأدانت النيابة الضابط وأحالتة إلى المحكمة، ونقلته الوزارة من المباحث إلى مصلحة السجون .

خاف الضابط من عواقب انفجار الموقف فى السجن ، ولو حدث هذا الذى يخشاه فسيكون مصيره الفصل بالتأكد. ولذلك بذل مجهودا كبيرا لكى يضع أعصابه فى ثلاجة. وقال للعمدة بلهجة ودودة :

– مش عيب يا عمدة تبقى راجل تعرف ربنا وتقول كلام زى ده ؟

ورد العمدة بهدوء شديد :

– أنا عشان عارف ربنا قلت الحقيقة، والى انت عملته دا غلط.

ومسح الضابط بعينه وجوه النزلاء المتجمهرين وقال :

– طيب.. إيه رأيكم بقى، أنا حكون أول واحد يأكل من اللحمة دى

عشان أثبت لكم إن الراجل العمدة دا بيقول كلام مش مضبوط .

وطلب الضابط من الشاويش الحلوانى أن يحضر له أحد المقاعد

□ العمدة □

ليجلس عليه في الحوش وتراييزة، وطلب من المعلم البدوى أن يخطف
رجله إلى المطبخ ليحضر له قطعة لحم وشوية مرق لكي يأكلها أمام
الجميع. ونظر المساجين للعمدة يحاولون اكتشاف الحقيقة. وأعاد
العمدة على مسامع الجميع ماسبق أن أكده لهم، وقال وهو يستعين
بالله .

— البقرة ميتة من امبارح والى يقول لكم كلام غير ده
ما تصدقهوش !

نظر الضابط إلى جموع النزلاء وقال :

— لو كلت من اللحمة تصدقونى ؟!

وهتف الجميع في صوت واحد :

— نعم .. بس تأكل منها قدامنا

كان الشاويش الحلوانى قد جاء بالكبرى والتراييزة، فجلس
الضابط وسط الحوش وحوله النزلاء، وكان المعلم بدوى الذى كلفه
الضابط بإحضار اللحم قد عاد ليبلغ الضابط أن اللحمة عجوزة
وتحتاج إلى ساعة أخرى حتى تنضج، ونظر الضابط في الساعة وقال :
— ع العموم أنا النوبتجى النهاردة، وهفضل كلنا في الحوش لحد
ما تستوى اللحمة وإن شا الله نقعد للصبح .

وصفق المساجين بشدة، فهي فرصة لا تعوض لقضاء الليل أو
جزء منه في الهواء الطلق، فمن الغريب أن يكون الليل ممنوعا على
المساجين، بينما النهار والشمس حق من حقوقهم. وتطوع بعضهم
فأحضر عدة الشاى من الزنزانة، وعملوا واحد شاى مضبوط لحضرة
الضابط. وراح الضابط يمزح مع زعماء السجن.. المعلم بدوى والمعلم
أحمد . كان بعضهم قتلة وبعضهم تجار مخدرات، وقال الحاج
عكاشة :

— انت أصلك يا بيه مش ابن المصلحة، والسجون دى ما يعرفهاش

□ العمدة □

إلا الضباط أولادها، وانت سعادتك جاي من المباحث، ويمكن قوى الصولات والشاويشية يعملوها وتخيل عليك .

ورد الضابط معاتبا :

- يعنى انت رأيك يا حاج عكاشة إن أنا أهبل وعبيط .

- لأ العفو يا بيه، سعادتك سيد الناس، لكن كل صنعة ولها أسرار ما يعرفهاش إلا أولاد الكار، والسجون صنعة !

- يعنى انت مش مصدقنى أما أقولك إن البقرة مدبوحة قدامى ودمها طرطش على .

وانحنى الضابط يبحث عن آثار الدم على بنطلونه، ولما لم يعثر على أثر للدم قال :

- أنا أصل عندى دوا بيضيع البقع على طول !

وقال العمدة فى صوت مسموع :

- أستغفر الله العظيم .

وتملك الغيظ من الضابط فقال موجها حديثه للعمدة .

- انت كان لك مقام كبير قوى عندى، لكن بعد الى حصل الليلادى أنا هعالمك ميرى. أنا هاكل اللحمه قدام الجميع وبعدين هيكون حسابك عسير على الكلام الى قلته .

ورد الحاج قائلا :

- حسبنا الله ونعم الوكيل .

راح الضابط يمزح مع الجميع ويوزع النكات هنا وهناك. وعندما وصلت سلطانية المرق وبها قطع اللحم كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة مساء. وران الصمت على الجميع وركزوا أنظارهم على البية الضابط والسلطانية التى وضعت أمامه على الترابيزة. ومرت لحظات كأنها الدهر كله والضابط ممسك بالمعلقة دون أن يتذوق شيئا من محتويات السلطانية. ونادى الضابط على العمدة وقال له على مشهد

□ العمدة □

من جميع النزلاء :

- برضه لسه بتقول إن البقرة ميتة ؟

ولم يزد العمدة على القول :

- ربنا يلطف بنا جميعا .

والتفت الضابط إلى النزلاء وقال لهم :

- عشان تعرفوا ان العمدة كذاب أنا هاكل اللحمة الميتة .

ثم انحنى على السلطانية وهات يا شفت وياشرب من المرق، ثم أمسك بقطعة اللحم بين أصابعه ومزقها بأسنانه وهات يا زلط، بعدها تعالت الهتافات بحياة الضابط. ثم بدأ توزيع اللحم على الجميع في الحوش وفي الهواء الطلق. وراح الجميع يأكلون بشراسة، وعندما انتهت الوليمة نفخ الصول في صفارته ودخل النزلاء زنازينهم، ولكن الضابط اصطحب معه العمدة حيث حرره له محضرا بتهمة تحريض النزلاء ضد الإدارة، ثم سحبه من يده وأودعه زنزانة في التأديب. كانت هذه هي المرة الأولى التي يدخل فيها العمدة زنازين التأديب، بعد ستة عشر عاما من دخوله السجن، كان مثالا على الطاعة والنظام يمارس مهنته كفلاح في مزرعة السجن، يخرج من السجن من الصباح الباكر ولا يعود إلا ساعة التمام. وبالرغم من استحقاقه للإفراج منذ عام، إلا أن مصلحة السجون أخطأت في تقدير مدة عقوبته. فجريمته كانت القتل للثأر وليست مقترنة بالسرقة. ومن حقه الإفراج بعد مرور خمسة عشر عاما. ولكنهم يماطلون بدون سبب. يالها من ليلة سوداء مرت على العمدة وهو جائع وبردان. لم يأكل شيئا من البقرة الميتة، والضابط صادر ما معه من فجل وكرات وخيار قبل أن يلقى به في زنزانة التأديب. هذا الضابط عديم الذمة قاتل المتهم البريء يكذب على المساجين ويأكل الميتة التي حرم الله أكلها. وأغلب النزلاء حثالة لا دين لهم ولا ملة ولا يهمهم إلا حشر المعدة وقضاء المدة على أى نحو .

□ العمدة □

وحاول العمدة النوم .. ولكن كيف يتسلل النوم إلى عيني انسان مظلوم يشعر بالجوع والبرد؟ إنه لم يشعر في حياته بأنه مسجون. كان فلاحا قبل دخوله السجن وظل فلاحا أثناء سجنه. ولم يندم العمدة على شيء فعله في حياته. حتى الجريمة الكبرى التي ارتكبها بقتل الرجل الذي كان وراء مقتل عمه، كان يستحق ما هو أكثر من القتل، بعد مقتل عمه بأشهر قليلة راح الرجل يفخر بما فعله، بل راح يصف القتل أثناء عملية القتل، مع أنه لم يحضر العملية، فقد كان محرضا ولم يكن قاتلا، حيث أنه أجبن من أن يقتل.

ولكن بعض الأغبياء من الناس تحكم على نفسها بالموت، وهذا الضابط الكذاب واحد منهم كذب على النزلاء وخدعهم فأكلوا الميتة. ثم عاقب العمدة بدخول التأديب، مع أن التأديب ليس عقوبة بالنسبة لرجل مثل العمدة. ولكن العقاب الحقيقي سيأتي بعد ذلك، سيحرم من العمل في المزرعة، وإذا كان سعيد الحظ، سيلحق بعمل آخر، ولكن المؤكد أنه سيجرى تخزينه داخل العنبر .

إنها جريمة قتل أخرى سارتكبها هذا الضابط الغشاش والضحية هذه المرة هو العمدة نفسه. هل يستطيع العمدة أن يلزم الزنزانة لا يبرحها عدة أعوام؟ بالتأكيد سيموت في العام الأول من الحبسة .

وكم مضى من العمر يا عمدة؟ ياه.. خمس وستون سنة، يا قوة الله. إنها سن مناسبة للرحيل قبل أن تهجم الأمراض وتفرض الشيخوخة قوانينها على الانسان. وهذا الضابط لا يحتمل إلا ضربة واحدة في صدره من نصلة ملوثة. يأخذ الثار للقتل الشاب الذي قتله بالفانلات المبللة، وينتقم لنفسه أيضا فهو سيموت غيظا على كل حال. ومد العمدة يده يتحسس النصلة التي اختارها لأداء المهمة. ولكن العمدة وجد نفسه يستيقظ فجأة على أصوات غريبة صادرة من داخل العنابر. وأصوات حركة سيارات كثيرة تدخل من البوابة

□ العمدة □

وتخرج منها. لا بد حدث شيء في السجن، زيارة من رتبة كبيرة في المصلحة، أو وفد من الوفود الكثيرة التي تتردد على السجون لتشاهد التطوير الذي دخل على السجون المصرية، زيارات ليس من رائها أى جدوى، ولكنها تضيف إلى متاعب النزلاء متاعب جديدة. وفجأة.. سمع العمدة طرقات شديدة على باب الزنزانة، وصوت المفتاح الضخم وهو يخترق فتحة الباب، فوجد ضابطاً آخر هو الضابط محسن ومعه الشاويش مرسى الذى قال للعمدة :

- ياللا يا عمدة فرج ربنا وعفوه طالك .

ولم يفهم العمدة شيئاً فتساءل :

- إيه الحكاية يا سعادة البية ؟

- قوم انهض يا عمدة، روح العنبر بسرعة خد حاجاتك بسرعة .

- ترحيل واللا حاجة تانية .

- وقال الضابط وهو يغادر المكان ..

- إفراج يا عمدة .

حتى الضابط محسن السرساوى الطيب ابن الناس الطيبين يسخر من العمدة، ولكن هذا السلوك ليس من طبع الضابط محسن.. فما الذى جرى؟

عندما غادر العمدة مكان التأديب ووصل إلى مكاتب الإدارة، شاهد عددا كبيرا من الضباط الكبار والبيه المأمور نفسه وسيارات إسعاف وسيارات بوكس وحركة نشيطة من جانب الصولات والعساكر. وعندما عبر الباب إلى حوش السجن التقى بأحد النزلاء القدامى فسأله عن سبب هذه الضجة .

- إيه الحكاية يا عم عنتر ..؟

- يوه .. انت فين يا عمدة ؟ السجن كله حولوه ع المستشفيات .

- ليه ؟

□ العمدة □

- ماعرفش ، إسهال وترجيع طول الليل، والناس تصرخ وتلطم ما حدش سأل فيهم. لكن لما البيه الوكيل جاتله الحالة الدنيا انقلبت، وبعدين العساكر كمان حصل لهم نفس الشيء، وجت العربيات ونقلوا الكل ع المستشفى.

- وانت ما حصلكش حاجة ؟

- لأ، ربك كبير، امبارح كنت عيان حتى ما خرجتش ساعة القعدة الي كانت في الحوش، كنت شوية غسل اسود بلقمة ونمت، يا قوة الله.. يمهل ولا يمهل.. فرجه قريب وعدله سريع، كم تمنى العمدة أن يموت الوكيل وكان الجزاء العادل لرجل لا يعرف ربنا.. ملم العمدة كل متعلقاته وأسرع إلى مكاتب الإدارة، تلقاه المأمور بشوشا.. وقال له :

- خلاص يا عمدة الرحلة انتهت .. مبروك .

- الله يبارك فيك يا باشا .

- على رأى المثل .. أنفاس معدودة في أماكن محدودة .

- إيه الحكاية يا سعادة الباشا ؟

- إفراج يا عمدة.. لك أمانات عندنا ؟

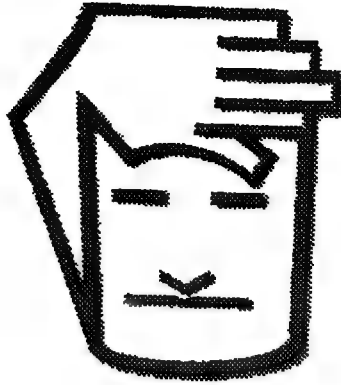
- منين يا باشا .. أدى الله وأدى حكمته .

- ضرب المأمور يده في جيبه وأخرج ورقة بجنيه ومد يده للعمدة :

- خللى دا معاك، تحتاج سجاير أو أى حاجة .

- يا بيه خيرك سابق .

ألح المأمور فمد العمدة يده وتناول الجنيه، وخرج من بوابة السجن. وصاح شاويش البوابة.. مع السلامة، أوعى نشوفك تانى هنا !..



تسليم يا حبيب

تعرف الحاج عطوة

١٣

●● تعرف وهدان أبو سريع من غير
مؤاخذه؟

- مش واخد بالي في الحقيقة .

- دا كان فتوة المديح من غير مؤاخذه،
وقتل في يوم ثلاثين واحد وشرحهم وعملهم
كوستليته، دا كان ابن عمي لازم .

- وحصل له إيه بعد كده؟

- ولا حاجة ، اهتدي وبقى يصلي ويصوم،
وراح يحج ومات عند النبي ودفنوه
هناك .

- دا كان لازم طيب ، هنياله

يا عم ●●





● تعرف الحاج عطوة ●

ـ وتعرف ابراهيم عطوة ■

ـ مش واخذ بالى فى الحقيقة.

ـ دا كان ابن عمه والدى على طول، وكان فتوة المنايف من غير مؤاخذه ولما قامت الحرب ضد الانجليز أيام النحاس باشا بقى ياخذ التروسىكل بتاعه ويشيل مدفعه على كتفه، ويخش المعسكر الانجليزى يرمى قنبلتين كده وقنبلتين كده، وبعدين يرش الى يقابله بالمدفع، قتل بييجى ألفين انجليزى فى شهر ولما غلب

الانجليز منه تعرف عملوا ايه من غير مؤاخذه؟ ركبوا الدبابات وهدوا المنايف كلها ما خلوش راجل ولا مرة ولا عيل بيرضع من غير مؤاخذه. لكن شوف بقى حكمة ربنا، الوحيد الى طلع منها زى الشعرة م العجين هو عمك ابراهيم عطوة .

ـ يا سلام دا حظه كويس قوى.

ـ شوف بقى حكمة ربنا، هرب من المنايف والضرب على ودنه وطلع على سكة مصر، وركب عربية نقل مع جدع سواق ابن حلال لما شافه عرفه، وقبل ما يخش بلبس دخلت العربية فى شجرة انقلبت وولعت فيها النار، ماحطوش منطق لا هو ولا السواق .

ـ يا سلام .. لكل أجل كتاب .

ـ اسم الله عليك، كل بنى آدم له ساعة، وممكن تقوت من النار، وتموت فى شبر ميه. ودايما ربك يضرب الأمثال فى عبيده زى ما حصل بالضبط مع على عزوز.. سمعت عنه ؟

□ تعرف الحاج عطوة □

- أعتقد إن أنا سمعت عنه .

- ما هو ذا كان فتوة باب البحر، ودا يبقى أخو الجماعة بتوعى من غير مؤاخذه. تعرف إيه الى حصل له ؟
- أه عرفت .

- عرفت إيه ...

- عرفت كل حاجة ، وعن إذنك عشان البيه المأمور طالبنى .. كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة للتخلص من المعلم رمضان طلبة نزيل عنبر ب بسجن القناطر ومسجون مؤبد فى تهمة لم يفصح عنها فى حديثه معى، هذا الحديث الذى تكرر كثيرا بمناسبة أحيانا وغالبا بدون أى مناسبة، حتى خيل للعبد لله أنه يتعقبنى ويترصد لى، خصوصا أثناء تواجدى فى حوش السجن، لدرجة أننى فكرت كثيرا فى عدم مغادرة العنبر حتى لا أقع فى الشبكة التى يجيد المعلم رمضان نصبها للعبد لله .

والمعلم رمضان والشهادة لله كان كلمنجيا من نوع خاص.

كان يبدأ حديثه دائما بسؤال :

- تعرف المعلم على عزوز ؟

سمعت عن ابراهيم عوض الله ؟

عرفت إيه الى حصل لسليمان أبو اكتاف؟ وبالطبع لم أكن سمعت شيئا عن أحد من هؤلاء الذين يذكركم المعلم رمضان، ولذلك كان دائما يجد من واجبه تعريفى بهؤلاء الأعلام الذين لا أعرفهم بسبب جهلى الشديد بتاريخ مصر الحافل بمثل هؤلاء الأبطال! ولكنى لحسن الحظ تمكنت من الإفلات من مصيدة عم رمضان بطريقة بسيطة للغاية. عندما يلقى على أسماع العبد لله بسؤاله الخالد :

- سمعت عن الحاج سعد برعى ؟

- كنت أبادره بالإجابة :

□ تعرف الحاج عطوة □

- وفيه حد ما سمعش عن الحاج سعد برعى ؟
يعنى عرفت الهوايل الى هوه سواها .
- دانا أعرف عنه الى أنت ما تعرفوش، وانشاء الله أما أخلص من
المشاكل الى أنا فيها هقولك عنه الى ودانك مش هتصدقوا .
- وتعرف إن المرحومة أمه تبقى خالتي ؟
- لأ أهى دى جديدة ، وعلى كل حال هوه راجل جدع ويشرف !
بعد هذه الواقعة لم يعد عم رمضان يلقي على العبد لله أسئلته
التقليدية، ولكنه كان يلح على العبد لله في أن أحكى له جانبنا من
بطولات الحاج سعد برعى .
في بعض المرات كنت أجند سعادة في سرد بعض الخرافات على
مسامعه، ومن الغريب أنه كان يستمع باهتمام إلى أكاذيبي التي
نسجتها عن الحاج سعد برعى.
- تعرف يا عم رمضان الحاج برعى عمل إيه في ثورة ١٩، دخل على
المعسكر الانجليزى الى كان في قصر النيل، وقبض على القائد
البريطانى من قفاه وطلع بيه على بيتهم في سوق السلاح. وبعث..
جواب.. للانجليز قاللهم فيه، ترجعوا سعد باشا أرجع القائد
بتاعكم، مايرجعش سعد هافتح كرش القائد واعمله كفتة للكلاب .
وكانت السعادة الغامرة ترتسم على وجه عم رمضان عقب كل
حكاية من هذا النوع، ولكنه كان حريصا في كل مرة على توجيه سؤال
واحد ومحدد .

- تعرف ان المرحومة أمه تبقى خالتي ؟!

ويبدو أن المرض الذى أصاب عم رمضان قد انتقل إلى العبد لله
بالعدوى. فقد أصبحت أنا الذى أبحث عن عم رمضان لأحكى له
جانبنا من أمجاد عم سعد برعى، وبالفعل، أخذتني الجلالة فرحت
أحكى عن بطولاته في ثورة ١٩، ثم تجاوزتها إلى بطولاته في ثورة

□ تعرف الحاج عطوة □

عرايى، ثم انتقلت منها إلى سجله الخالد فى ثورة القاهرة ضد العسكر الفرنساوى بقيادة نابليون. وكان عم رمضان يبدو منسجماً أشد الانسجام أثناء الحكاية، ولكنه لا ينسى مطلقاً أن يلقي على أسمع العبد لله بسؤاله الخالد .

- عارف إن المرحومة أمه تبقى خالتي ؟

أصبحت أكاذيبى لعم رمضان من هواياتى المفضلة لقضاء الوقت الملل الذى يمضى ببطيئاً فى السجن. ولكن سرعان ما أصبح عم رمضان أضحوكة بالنسبة لبعض المساجين الذين قطعوا المرحلة الثانوية فى الدراسة، وعلى أساس إن عم رمضان لا يفرق بين ثورة ١٩ وهوجة عرايى وثورة القاهرة ضد العسكر الفرنساوى. وبعدها أصبحت أنا الذى يبحث عنه فلا أجده. اختفى عم رمضان أيما فى زنزانته ثم نقلوه بعدها إلى المستشفى وعندما ذهبت لزيارته فى المستشفى لم يكن عم رمضان كعهدي به شديد الحفاوة شديد السعادة لزيارتي .

استقبلنى بوجه شاحب وابتسامة متكلفة وعندما عرضت عليه أن أقص عليه بعض الروايات عن نضال الحاج سعد برعى، امتنع وجهه وعلق قائلاً :

- أنت فاهم يا أستاذ إنى أنا حمار ؟ على العموم الله يسامحك .

حاولت أن أنفى عن نفسى هذا الاتهام، ولكنه اضطجع على سريره وقال :

- يا أستاذ أنا كنت عاوز أهون عليك الحبسة، لأنى شفتك مش مرتاح .

قلت مازحاً :

- والحاج سعد برعى، هتتكّر إن المرحومة أمه كانت خالتك

قال عم رمضان وهو يتأهب للنوم .

□ تعرف الحاج عطوة □

- تانى يا أستاذ، ربنا يسامحك .
ثم سحب البطانية على رأسه، وكان هذا إيذاناً للعبد لله بمغادرة المكان .

هل صحيح كان عم رمضان يحاول التخفيف من وطأة السجن على العبد لله ؟

سألت ضابط العنبر عن تهمة العم رمضان، فأشار إلى لوحة معلقة في حجرته وقال :
- هتلاقى تهمة في تذكرته .

ألقيت نظرة على التذكرة لم يكن مدونا بها سوى عبارة غامضة (خطف أطفال وردهم بفدية) وهى تهمة خطيرة في نظر الأمن العام. ولكن العبارة المدونة لم تشف غليل العبد لله. وإن كنت قد عرفت معلومة أخرى عن حياته، وهى أنه ارتكب عملية الخطف ثلاث مرات. في المرة الأولى حكموا عليه بثلاث سنوات .

وفي الثانية صدر ضده حكم بسبع سنوات، وفي الثالثة صدر ضده حكم بالمؤبد. أما غير ذلك فلم يكن في السجن من يستطيع أن يضيف شيئاً آخر .

اشتد المرض على عم رمضان، وعندما زرته آخر مرة اكتفى بالنظر إلى وجهي، وعندما حاول الكلام لم يستطع النطق. وبعدها بثلاثة أيام مات عم رمضان. وفي مثل هذه الحالات يحاول السجن الاتصال بأهل السجين المتوفى ليتسلموا الجثة، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك، فعندما دخل السجن لم يكن له عنوان ثابت، وبالرغم من السنين الطويلة التى قضاها في السجن، إلا أنه لم يحدث في أى وقت أن جاء أحد إلى السجن لزيارته، فلم يكن لعم رمضان أسرة ولا أقارب من أى نوع. ومن المؤكد أنه كان لقيطاً وعاش فترة طفولته في ملجأ.

ولعل ذلك هو السبب وراء زعمه الدائم بخيوط تربطه بالحاج برعى والحاج أبو سريع والحاج ابراهيم عطوة. كان يحكيها وهو

□ تعرف الحاج عطوة □

متأكد أنه يكذب.

وبعض الأكاذيب تجعل حياة الناس أجمل وأفضل. ارتاح عم رمضان بذهابه إلى قبره. الوحيد الذي عانى بعد وفاته هو العبد لله، فقد أدمنت رواية القصص المثيرة عن الحاج عطوة والحاج أبو سريع، وأحياناً كنت أسأل أول من ألقاه في حوش السجن :

تعرف الحاج عطوة ؟

أغرب شيء أن عم سعفان الشهير باليانكى أجابنى قائلاً :

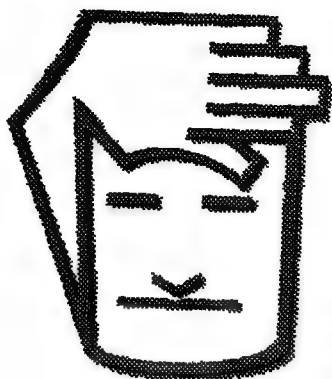
- ما اعرفوش ازاي، دا قريبي

قلت له على الفور :

- أمه تبقى خالتك ... مش كده ؟

ضحك اليانكى ضحكة عميقة وقال للعبد لله .

- يا خويا اللهم صل على سيدنا النبي دا انت عارف كل حاجة !



تتمتع يا شيلم

البييض على التوتد

١٤

●● يا ميت حلاوة على الدنيا إذا أقيمت، عى رنى المطرب أبو دزخ، إذا أقيمت بأرض الحماد عى توتد، وإن أدبرت بل الحمار على الأسد. ها هي الدنيا أقيمت يا كامين. وكل ومرعى وفنة صنعة، وهل تكوره صنعة؟ هؤلاء الخمير بدفعون مبالغ طائلة من أجل تكورة. مع أن الكورة مفروضة عيه، وهن يجيد الكبتل شيئا آخر، العبل الذين كانوا يسكنون في الشوارع الرئيس بجوار حراتهم، والذين كانوا يتعلمون في المدارس، وصار من بينهم أطبيب والتضبط والمعلم والمهندس، كنه يخطبون ودد ويدعون صدقته، وأحدهم كان في سيارته الألاكى مع زوجته وطفله الصغير، عندما لمح في السيارة لوح له بيده مرحبا، نه ركن السيارة واتدفع نحوه معنقة، نه قدمنى إلى زوجته الحسنة، وتومل تكبتل أن يتفضل سريارته، لعنة الله عليك هذا الشخص بالذات، كان ينظر نحوه شذرا ويحتقره احتقارا بانغا، وذات مرة أصيب حارس مرماه وخرج من الملعب، فاستدعاه كابتن الفريق وطب منه التوقف في حراسه المرمى، ولكن هذا الشخص المغرور طرده بقسوة ورفض أن ينعب في فريق بيض مثل هذا الشخص الشبشود: ●●





● البيض على الودد ●

انغمس الكابتل في حياته الجديدة، حوله حلقة من كبار التجار والمعلمين وأشهر المهرين، وهو يدخن الحشيش ويستحلب الأفيون ويشم الهيرويين ويمضغ البانجو ويبلع الحبوب وآخر السلطة وانسجام. وما أحلى الفراشات اللاتي يرفرفن من حوله، زيزى وزيزيت وزوزو، فراشات لم يكن يحلم بمجرد النظر إليهن .

وما أكثر أصدقائه من أصحاب المناصب والمكاسب ورجال الأعمال، فيهم المتنفذ والقوى والمقتدر وصاحب النفوذ، إلا أن أقرب الأصدقاء إلى نفسه وأحبهم إليه هو الشيخ عزوز. والشيخ عزوز شيخ بالملابس فقط وليس بالعلم، وهو يقرأ القرآن أحيانا ويردد التواشيح في المناسبات، كما أنه أحيانا يعزف على العود ويدق الطبل، وعندما يتسلطن يرقص في جلسات الكابتن. وهو بالتأكيد أكثر المحيطين به إخلاصا، فهو حريص على تبخير الكابتل قبل كل مباراة، وعلى تغيير (الحجاب) الذي يتدلى من رقبة الكابتل، وأثناء المباراة يقرأ له الشيخ عزوز عدية ياسين. وبالرغم من أن الشيخ عزوز طيب وابن ناس وفي حاله إلا أنه كان مستعدا للدخول في معارك حامية ضد المشجعين الذين يهاجمون الكابتل. فالكابتل ليس له نظير بين كبائن الكورة الآن، وليس له نظير بين الكبائن في أى عصر.

وكان الشيخ عزوز يقسم برأس جده أن مارادونا نفسه قال في مؤتمر صحفى أن الكابتل هو أعظم لاعب في العالم! وكان الكابتل لا

□ البيض على الوتد □

يخل على الشيخ عزوز ويغدق عليه بلا حساب. كما كان حريصا على استشارته في كل أموره ثقة منه في علمه، ولكن هذا الشيخ المزيف سقط من عين الكابتن نهائيا. والسبب أن الكابتن كان في خلوة مع زيزي ذات عصرية، ولم يكن في البيت معه إلا الشيخ عزوز، وقد تركه في الصالة لترتيب القعدة وإعداد كل مستلزماتها. ولكن فجأة عندما غادر الكابتن غرفة النوم اكتشف أن الشيخ عزوز يقف خلف الباب مباشرة وعينه في ثقب الباب. لم يتردد الكابتن في صفع الشيخ عزوز على وجهه وعلى قفاه، وطرده من البيت شر طردة !

وستمضى حياة الكابتن آخر حلاوة وانسجام بالشيخ عزوز وبدونه. ولكن (قر) الناس يقصف الأعمار ويهد البناءات الشاهقة. وهناك ولد ضابط مباحث جديد لا يفهم شيئا ولا يتفرج على كورة ولا يشاهد التلفزيون، ولا يعرف الفرق بين مارادونا والمكرونة. هذا الضابط الجاهل القفل الذي لا يعرف ولا يجيد أى شىء. جاء ذات مرة وهاجم قعدة الكابتن وأصر على اصطحاب الجميع إلى القسم. وعثا حول إفهام الضابط أن ما يفعله هو ضد مصلحته. ولكنه أصر على تحرير محضر وحشر الجميع في الحجز. ونجح أحد التجار الذين كانوا معه في الاتصال بأحد المتنفذين، فجاء الأمر بسرعة بالإفراج عن الجميع، وتقديم الاعتذار المناسب خصوصا للكابتن. ولكن المسألة لم تمر بهدوء، استدعاه رئيس النادي وعاتبه بشدة، وحذره في الوقوع مرة أخرى في قبضة الشرطة، وأمره بالكف عن ارتياد القعدات، والابتعاد عن هؤلاء الأصدقاء. مسكين رئيس النادي يعيش نائما على ودانه. إنه لا يدري أن الكابتن كان مسطولا على سبعة عشر عندما سجل ثلاثة أهداف في مرمى فريق النجوم، وهى النتيجة التى رفعت النادي إلى قمة الدورى. وهو لا يعرف أن هدف الترجيح الذى سجله الكابتن فيما يشبه المعجزة في مرمى فريق الزهرة، تمكن من تسجيله

□ البيض على التوت □

وهو في قمة الونونة، وكان على وشك أن يسقط على الأرض مغمى عليه من شدة الانسطال. لاشيء يجعل الكورة طوع قدم الكابتل إلا البلايع والأنفاس المعطرة. المهم. وعد الكابتل رئيس النادى أنه لن يعود إليها مرة أخرى.. ولكن كيف؟ استمر الكابتل فيما اعتاد عليه. حتى جاءت القارعة، ألقى القبض عليه بعض ضباط مكافحة المخدرات وشحنوه مع الذين كانوا معه إلى الإدارة وكتبوا المحضر وقدموه للنياية، وأفرجت النياية عن الجميع بكفالات إلا الكابتل، فقد عثروا معه على طربة حشيش ماركة السفينة، وعشرات من حبوب الهلوسة. وقطعة من الأفيون الخام، واحتلت صورة الكابتل الصفحات الأولى في جميع الصحف، وخاض البعض في حياته ونشأته. ولكن مساعى بعض المشجعين من كبار القوم، وبعض الضغوط القوية، دعت المحكمة إلى الإفراج عن الكابتل لحين المحاكمة. وكان الكابتل قد قرر في التحقيقات أن الكميات المضبوطة معه تخصه للزواج، ولكن النياية اتهمته بأنه يحرزها للاتجار.

وبالرغم من الإفراج عن الكابتل إلا أنه شعر بالإحباط وبأن الضربة نالت منه بالفعل. واضطرب الكابتل في الملعب فلم يعد كما كان من قبل، وضربت معه لخرة فلم يعد يستطيع تسجيل الأهداف. ومرت عليه فترة قضاها على دكة الاحتياطى، وانكمش دخله فلم يعد قادرا على مواجهة نفقات حياته الجديدة. وضربت في مخه العبارة التى استخدمتها النياية واتهمته بأنه يحرز المخدرات بقصد الاتجار. ووسوس له الشيطان ولماذا لا تدخل سوق التجارة، تكسب بعض المال وتوفر مزاجك من الصنف. ودخل الكابتل عالم الاحتراف، ولما تدرج في الكورة أمعن في مهنته الجديدة، وجاءت الضربة القاضية عندما قبضوا عليه متلبسا بتهريب شحنة كبيرة من العريش إلى القاهرة.. وحاول الإنكار، واتهم رجال المباحث بأنهم يترصدونه

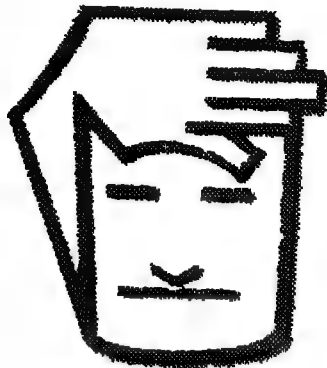
□ البيض على الوتد □

ويستهدفون القضاء عليه. ولكن شمس الكابتل كانت قد آلت إلى المغيب. وجد الكابتن نفسه في السجن. لقد أدبرت الحياة، وإن هي أدبرت بال الحمار على الأسد.. حكمة محمد أبو دراع الخالدة يالها من أيام سوداء تخلق فيها الجميع عن الكابتل. حتى المأمور الذى كان يحرص دائما على توصيل الكابتل إلى سيارته، يتعمد إذلاله، وكم مرة صافح المأمور قفاه بكف يده. حتى المساجين من مشجعى النوادى المناقسة كانوا يحاولون الدخول فى معارك ضده ويتعمدون إهانته. حتى مباحث السجن كانوا يختلقون المناسبات لكى يفتشوه بحثا عن المخدرات. لم يقف إلى جانبه إلا أخوه الأصغر، كان يتصدى لأعدائه من المساجين، أما الإدارة فلم يكن باستطاعة شقيقه الوقوف فى وجهها. حتى النادى عديم الوفاء لم يحاول الاتصال به مرة واحدة، نسيه المشجعون الذين كانوا يهتفون باسمه ويصفقون له حتى تدمى أياديهم. حتى مدير مصلحة السجون الذى كان يقف خارج مكتبه لاستقباله جاء فى زيارة للسجن فلم يهتم ولم يستجب لطلبه بالسماح له بمقابلته. وفكر الكابتل فى الانتحار ولكنه جبان لا يستطيع الإقدام على أمر مثل هذا. يالها من أيام سوداء كالحلة كالعسل الردى، وما أشبه حاله بحال الفأر الذى وقع فى المصيدة، ومن يجرؤ على فتح المصيدة ليطلق سراح الكابتن من هذا القفص الحديد. نسيه النادى ونسيه الناس وتجاهله المشجعون واشتد ضغط السجانة، وتضاعفت «رزالة» المساجين.

وذات صباح.. وبعد أن خرج من دورة المياه وجد خناقة فى دور أربعة شقيقه أحد طرفيها. كان السجين الذى يشتبك مع أخيه شخصية مجرمة معروفة فى السجن، وكان يضرب أخاه بقسوة شديدة فى بطنه وفى صدره، حتى تكاد عظامه أن تنكسر تحت وطأة الضربات. وهرع الكابتل إلى حيث الخناقة المشتعلة. وسدد لكمة إلى

□ البيض على الوتد □

المجرم المعروف ولكنها كانت اللكمة الأولى والأخيرة، ترنح بعدها الكابتل تحت وطأة الضربات وسقط شبه مغمى عليه على صدر المجرم. اشتعل حماس شقيقه وازداد خوفه على الكابتل الذي كان موضع فخره وزهوه وعلى الفور استل (نصلة) حادة من بين ملابسه ورفعها إلى أعلى وهوى بها على رقبة المجرم، ولكن المجرم كان حاذقا في هذا اللون من العراك، تفادى الضربة، فهوت النصلة على صدر الكابتل وفي موضع القلب مباشرة. وسقط الكابتل على أرضية السجن ميتا بدون حراك. وذهب شقيقه والمجرم معا إلى زنزانة التأديب، ونقلوا الكابتل إلى مشرحة السجن. وبعد ثلاثة أيام داخل المشرحة كانت الفئران قد أكلت أصابعه وأنفه وجزءا من لحم وجهه. ولما كان بلا أهل وبلا أصدقاء، فقد ألقوا به في عربة السجن الضخمة وذهبوا به إلى مقابر الصدقة، وانتهت قصة الكابتل، وكما جاء من تحت الأرض، ذهب إلى تحت الأرض. ولم يبق منه إلا عدة قصاصات من ورق الجرائد تحمل صورة الكابتل ومقالات كتبها بعض الرياضيين والنقاد، وتصريح للشيخ عزوز بالبنت العريض، نهاية الكابتل كانت مؤكدة، بعد أن حاد عن طريق الصواب وتفرغ لعمل الخبائث !!



تدعى يا غندم

الكابتل

١٥

●● حكومة صعبة وزيدنا نشقة وضربته وانقبر.. وهي مثل شرارة لغوب . ساعة معاك وساعة ضدك .. وسعدت اخذ هو الذي يكفيه ربه شر الحكومة في جميع الاحوال .. لان شرها كبير وهي ضدك ، وشرها كبير وهي معك : وليس مثل الكابتل من يستطيع ان يبرهن على هذه الحقيقة ، وليس مثل الكابتل من ذاق شر الحكومة في حالتين .. في البداية .. تركته أمه مع أربعة أطفال هم إخوته . وداخ أبوه الذي كان يعمل خفيرا في مصنع الخواجا جن ماروجيا وله يعمل فئات هو الآخر على فراش قذر في مستشفى حكومي ليس له صفات المشيميات إلا: لياقطة الرفوعة عند الباب . ووجد الكابتل نفسه وهو في العاشرة من عمره ضيفا في مبنى حكومي يسمونه المنجا ، وفي المنجا تمنى الكابتل أن يصبح مجرم شديد اليأس ليتقم من صفوف التعذاب التي عاش منها داخل المنجا . لو حقق أنه أمينه لسينف المنجا من ناسه ، له يقتل منير المنجا وأشرفين وبوب واطباخ أيضا . ومع أن مهمة الطباخ تنحصر في إعداد أطعمة للنزلاء ، إلا أنه كان يقضي ربع الوقت في الضيخ وثلاثة أرباع الوقت في ضرب النزلاء به : بدون سب ، ربما نسيية . وربما يمتل الوقت ، وربما احتجاجا على التعذيب الذي يلقاه في الخيبة : ●●





● الكابتل ●

المهم أن عذاب الملجأ توقف بهروب الكابتل مع بعض زملائه ، كان قد بلغ الخامسة عشرة ، وعندما هرب خارج الأسوار لم يكن قد تعلم شيئاً داخل الملجأ إلا تدخين أعقاب السجائر ونصب الفخاخ لاصطياد صغار الطيور . ولم تكن حياته خارج الملجأ أفضل من داخله . جاع أكثر وتعري أكثر ، والمكسب الوحيد هو إحساسه بأنه حر يستطيع أن يفعل ما يريد في أى وقت يريد ، لا مواعيد محددة ولا سلوكيات معينة ولا إطفاء

للأنوار ، فالشارع لا ينطفئ فيه النور ليلاً أو نهاراً .. كان ينام في أرض فضاء تنمو فيها بعض الأعشاب ، وفي البداية كان ينام وحده ، ولذلك اضطر إلى إشعال نار على مقربة منه لكي يحمى نفسه من الزواحف والحشرات .. ويبدو أن النار المشتعلة جذبت أنظار بعض الصياع ، فجاءوا واحداً وراء الآخر ، حتى تحولت الخرابة في النهاية إلى مجتمع يضج بالحياة .. وفي البداية حرص على أن تكون هناك مسافة بينه وبين الآخرين ، ولكن الضياع يجمع بين الضائعين .. ووجد الكابتل نفسه دون رغبة منه واحداً من شلة الخرابة ، وشاركهم الطعام وتدخين السجائر وشرب بعض أنواع السبرتو المخلوط بأصناف أخرى لا داعي للسؤال عن أصلها .. كان بعض رفاق الخرابة يحمل نقوداً والبعض الآخر تظهر معه ساعات ونظارات ، ولكنها لا تستمر معهم طويلاً ، ولم يكلف نفسه سؤال الرفاق عن مصدر ما يحملون من نقود أو ساعات .. وذات مساء وكوز الشاي

□ الكابتل □

على النار المشتعلة وبعض نزلاء الخرابة يلتفون حول النار هبط عليهم بعض الضيوف ، أصواتهم خشنة وكفوف أيديهم ثقيلة وأخذوا العاطل على الباطل وشحنوهم في سيارة ، ووجد الكابتل نفسه في الحجز متهما بسرقة سوبر ماركت .. ودخل الكابتل في سين وجيم ولم يستطع أن يثبت أنه يعيش مستقلا عن الآخرين ، ولذلك وجد نفسه في السجن لمدة عام .. وعندما خرج الكابتل لم يكن يعرف من الحياة ، إلا الخرابة والشارع المجاور .. ولكنه اكتشف عند وصوله للخرابة أن الدنيا تغيرت ، وجد ملعبا لكرة القدم ، وأجوالا خشبية وشباكا حولها ، ورايات في الأركان ، ولكنه لم يهتم فلجأ إلى مكانه القديم وأشعل النار ونام . ويبدو أنه كان شديد التعب فلم يستيقظ إلا وحجر كبير يصطدم برأسه ، ثم اكتشف أن الحجر هو كرة أنبوية ، ثم اضطر إلى النهوض والابتعاد عن حدود الملعب .. كان الملعب مشغولا طول النهار ، تشغله فرق من كل الأصناف ، فرق من الشباب بملابس الكورة ، وفرق من الصبيان بملابس النوم ، ولعيبة بأحذية ولعيبة حفاة ، وحكام بصفافير وحكام يستخدمون أصابعهم لإطلاق الصفارة ، بعض الفرق كانت توزع برتقالا وبعضها يوزع سجائر ، وبعضها يدخل في خناقة حامية عقب انتهاء المباراة .. ذات صباح وكان يشاهد مباراة بين فريقين يلعبون بالفانلة واللباس ، استدعاه أحدهم وأمره أن يخلع جلبابه ويقف حارسا للمرمى بعد أن أصيب الحارس الأصلي واضطر للخروج من الملعب .. ووقف الكابتل دون أن تكون لديه أية فكرة عن مهمته ، ولكنه في أول مرة تسلم فيها الكورة أخذها بقدمه وسرح بها متجاوزا كل الخصوم وفات من حارس المرمى الآخر وركن الكورة في الشبكة ، وانهار عليه الجميع بالأحضان والقبلات ، ثم أخذوه معهم قلب هجوم للفريق ، وأطلقوا عليه لقبه الذي سيلازمه إلى النهاية - الكابتل ! وذاع صيت الكابتل في

□ الكابتل □

خرابة شمائل ، وانتقل من فرقة إلى فرقة ، وأصبح يلعب بملايس الكورة ، وصار له دخل معقول يغنيه عن سؤال اللثيم .. وذات يوم وهو جالس في الخرابة يعد لنفسه كوب شاي مضبوط هبط عليه رجل طيب وعرض عليه اللعب في صفوف فريق شركة السكر مقابل وظيفة براتب مائة جنيه في الشهر وبدون عمل محدد إلا الاشتراك مع فريق الشركة في مباريات الدوى . وانفتحت ليلة القدر أمام الكابتل وصار فرخة بكشك في الشركة ، واصطحبه مدير الشركة ذات صباح إلى المحافظة وحصل له على شقة تمليك .. وداعا لأيام الفقر والنحس والضيق .. الكابتل صار له حيثة في المدينة ، الناس على القهاوى يقفون احتراماً للكابتل ، وحضرة الصول نفسه عندما رآه داخل القسم ضرب له تعظيم سلام .

وفي كل صباح تمر عليه خادمة تنظف الشقة وتغسل الهدوم .. وصورته تظهر على صفحات مجلة الشركة ، ومعه دفتر توفير من ثلاثة أصفار . الله يرحمه ويحسن إليه ، أبوه الغليان لو عاش حتى رآه في هذا الوضع الممتاز ، ولو امتد العمر بأمة فعاشت حتى رآته والناس تهتف باسمه وتحمله على الأعناق ، ولكن كل شيء قسمة ونصيب ، وتجري يا ابن آدم جرى الوحوش وغير رزقك ما تحوش . وسبحانه رب العباد يسبب الأسباب ، ويضع سره في أضعف خلقه ، ومن يدري .. لولا الكورة لكان الكابتل الآن خلف الأسوار .

ولأن الكابتل ذاق التشرد والجوع ، فقد حرص دائما على توفير بعض النقود ، وحتى لا يعود إلى النوم في الخرابة إذا هبت الرياح بما لا يشتهي الكابتل . والغريب أن الذي كان يخشاه حدث بأسرع مما كان يتوقع .. في البداية سمع كلاما يتناثر هنا وهناك .. الشركة تنوى بيع الكابتل لنادى رمسيس ، الكابتل يباع ؟ وهل صار البنى آدم مثل الحمار وفحل الجاموس ؟ ولكن .. يا خبر بفلوس بكره يبقى ببلاش -

□ الكابتل □

استدعته إدارة الشركة وأبلغته أنه سينقل إلى نادى النجوم مقابل ١٠ ألف جنيه ، وسيكون نصيبه من الصفقة ١٥ ألف جنيه ، وسيحصل النادى على ٣٥ ألف جنيه ، وشعر الكابتل بأن قلبه يرفرف وعلى وشك أن يشق صدره ويخلق فى السماء .

١٥ ألف جنيه للكابتل .. لقد حرم نفسه من أشياء كثيرة لكى يدخر ١٥٠٠ جنيه تكون عوناً له فى مواجهة الزمن .. ولكن .. ما مصير الشقة ! هكذا سأل الكابتن مدير الشركة ، واطمأن عندما أخبره المدير أن الشقة من أملاك الكابتل ، إذا أراد أن يحتفظ بها فليفعل وإذا أراد أن يبيعها فهذا حقه .

يا قوة الله ، نادى رمسيس ليس من النوادى، إنه قطعة من الجنة .. وهؤلاء الأعضاء لا يمكن أن يكونوا من صنف البنى آدميين .. وأولئك الستات أشبه بورد قاعد على الكراسى ، والسندوتشات هنا حلوة قوى ، واللحمة طرية وحتى الكازوزة طعمها مختلف .. وهنا سيتقاضى الكابتل ألفين جنيه كل شهر ، والنادى يتفاوض معه الآن ليسلم لهم شقته ليشتروا له شقة أخرى فى القاهرة وفى حى المهندسين ، وهو لا يعرف أين يقع حى المهندسين هذا ، ولكن لابد أن كل من يسكن هناك مهندس ، وحتى أصحاب الدكاكين لابد من المهندسين .

وفى أول مباراة مع نادى رمسيس ، رزع الكابتل كورة من منتصف الملعب . لم يشاهدها حارس المرمى إلا وهى تتلعب فى الشبكة .. وقبل نهاية المباراة بدقائق أخذ الكابتل الكورة وهات يا ترقيص ويا تغزيل حتى حارس المرمى نفسه طرحه أيضاً قبل أن يركن الكورة فى الزاوية اليمنى .. ولم يخرج من النادى ليلتها إلا فى منتصف الليل ، ولم ينم طول الليل عندما شاهد صورته على صدر صحيفة (الأيام) ليته كان يجيد القراءة والكتابة ليعرف ماذا يقولون

□ الكابتل □

عنه في هذه الأوراق .. خلال الأسبوع التالي كان لدى الكابتل هدايا لا حصر لها .. أحدهم أهداة ساعة ذهب بالشئء الفلانى .. وأحدهم أعطاه باكو بألف جنيه .. وبعضهم قدم بدلتين واحدة فيهم بتلمع كأنها مصنوعة من خيوط الفضة - الفلوس زى الرز الآن ، والهدايا بالكوم وشقة المهندسين أصبحت حقيقية ، وحتى البواب ينادى الكابتل بلقبه الجديد .. يا باشمهندس !

ولكن كله كوم وما حدث للكابتل ذات صباح وهو يجلس مسترخيا على أحد المقاعد المنتشرة في الحديقة .. كوم آخر .. أقبلت عليه بنت شكلها زى العجرية ، عيونها واسعة وشعرها سايب على كتفيها وفستانها يظهر أكثر مما يخفى ، وعندما تجلس ترفع ثوبها إلى أعلى فتظهر أوراكاها ، وصافحت الكابتل ثم طبعت على خديه قبلتين .. يادى الفضايح يا ناس ، ولكنه عندما اختلس النظر فيما حوله لم يجد أحدا ينظر إليه ، الكل مشغول بنفسه وبمن معه ، وعندما دعت البنت على الغداء نظر في ساعته ، وطلب منها التمهّل حتى يبدأ المطعم فى العمل ، ولكنها جذبتة من يده ، لأنهما سيذهبان للغداء فى المطعم الصينى .. حلوة دى .. وهل هناك مطعم صينى ومطعم أمريكى ؟ وأنشرح قلب الكابتل لأن الأكل الصينى مش بطل ، وحراق زى أكل بلدنا . وبعد الغداء وجد نفسه فى شقة البنت العجرية ، لا .. ليست شقة ، ولكنها تسكن فى صالون حلاقة ، هنا مرايات وستائر ملونة ومزينة تخرج من الحيطان ، ثم جاءت بزجاجة وكاسات وعلبة سجائر من كل الأصناف ، علب من النوع الذى يجلبه البعض من بورسعيد . ولم يخرج من صالون البنت العجرية إلا فى مساء اليوم التالى .. خرج بعد أن لفت البنت حول رقبتة سلسلة ذهبية تحمل اسمه وخرطوشتين سجائر ، وشئء ملفوف فى ورق سوليفان ، أوصته بأن يكون حريصا على تناوله فى إفطاره ، لأنه يقوى الساقين ، ويجعله أقدر على تسجيل الأهداف .

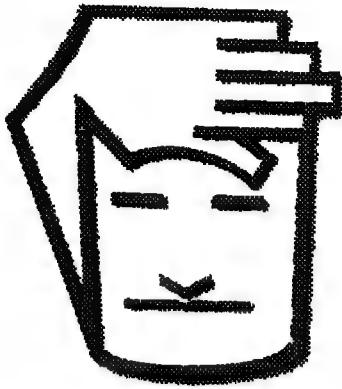
□ الكابيتل □

يا سلام يا ناس .. إذا أقبلت بأض الحمام على الودت ، وإن أدبرت
 شخ الحمار على الأسد ! والحمد لله لأنها أقبلت وستبقى في حالة إقبال
 على الدوام . المهم أن العلاقة بينه وبين البنت أصبحت أكثر تطوراً ..
 أغلب أيام الأسبوع يقضيها عندها .. ولكن بعد ذلك صار ينضم
 إليهما آخرون .. ذات سهرة جاء عدد من أصدقائها ، أحدهم رئيس
 المباحث . ولم يصدق الكابيتل أن الذي يجلس معه هو رئيس المباحث
 ولكنه تأكد من ذلك عندما زاره في مكتبه .. مخبرين إيه وعساكر إيه
 ومتهمين إيه ، آتخن شنب فيهم يقف مرتعشاً أمام البية رئيس
 المباحث ، ويا سلام على الدنيا لما تضحك للبنى آدم .. رئيس المباحث
 نفسه خرج لتوصيل الكابيتل حتى الشارع ، وأصر على أن يكون في
 شرف مرافقته حتى باب السيارة . ولما اكتشف أنه بلا سيارة
 استدعى سيارته بالسواق الشاويش لتوصيله .. أعجب شيء أن
 العساكر في الشارع كانوا يضربون تعظيم سلام للكابيتل وهو يخترق
 شوارع القاهرة بالسيارة .. البنت العجرية حلوة وطيبة وإيدها فرطة
 وفتحت له أبواباً كثيرة ، وقادته إلى عالم المزاج الأعلى .. الكابيتل جرب
 الحشيش وجرب الأفيون ولكن هذا المسحوق الذي يشبه السكر
 لا يعلى عليه .. شمة واحدة وكل شيء آخر مزاج .. في أول مرة كان
 عليه أن يلعب مباراة في اليوم التالي .. كان المزاج لا يزال يداعب خلايا
 مخه .. لم يشعر بشيء وهو في الملعب ، ولكنه عندما استلم الكرة
 تحول إلى شيطان ولم يترك الكرة إلا وهي داخل الشبكة . الناس
 الذين شاهدوا المباراة يؤكدون أن الكابيتل ممسوس ، وأنه في الحقيقة
 عفريت على هيئة إنسان وذات مساء في حفلة عند البنت العجرية ،
 دست إحداهن ورقة في يده ، وعندما ألقى عليها نظرة اكتشف أنها
 رقم تليفون . وتردد عدة أيام ثم أقدم على طلب الرقم ، وجاءه صوت
 ناعم جميل وصريح أيضاً ، قالت للكابيتل ، مثلك لا يصلح
 للخصخصة ، ولكن مثلك ينبغي أن يكون (قطاع عام) لأنك فريد

□ الكابتل □

عصرک ، أنت لست مثل الآخرين وحرام عليك أن تنقطع لواحدة فقط ، مع أن الدنيا كلها تفتح ذراعها لاحتضانك . ودعته إلى منزلها وذهب . يا قدرة الله . بيت البنت الغجرية مجرد صالة في بيت الست .. جمال إيه وغنى إيه ، كما أن يدها أكثر سخاء من الأخرى ، أخيرا حقق الكابتل حلمه ، سلمته السيدة الجديدة مفتاح سيارة جديدة باسمه . أين أنت يا ناظر الملجأ يا جحش لكى ترى الكابتل في ثوبه الجديد ؟ ولكن الدنيا لا تترك راكبا إلى الأبد ، ولا مركوبا إلى ما لا نهاية . جاءه شاويش ذات مساء ومعه خطاب من السجن ، والخطاب يحمل استغاثة من نزيل يعانى بشدة ، ولم يكن هذا النزيل إلا شقيقه ، الوحيد الذى بقى من أشقائه على قيد الحياة . وخطف الكابتل رجله إلى مدير المباحث . ولكنه اكتشف أن المسألة أكبر من طاقة مدير المباحث ، وعندما فاتح الست ، اتصلت تليفونيا وأرسلته لمقابلة مدير السجون ، واكتشف هناك أن شقيقه خبير تزوير ، وأنه محكوم عليه بالسجن لمدة ١٨ عاما ، سيقضى منها ٦ أعوام فقط خلف الأسوار .. واحتفل مدير السجون بالكابتل ، وقضى الوقت كله معه يتحدث حول الأهداف التى أحرزها الكابتل في مباراته الأخيرة . ومنحه تصريحاً بزيارة شقيقه ، وتحدث مع مأمور السجن وأوصى بشقيق الكابتل وحوله إلى لجنة طبية ، ووعد الكابتل بتدبير طريقة لشقيقه ليقضى فترة العقوبة في المستشفى ، وعندما غادر مكتب المدير أصر الأخير على أن يصحبه إلى الخارج ، وطلب منه أن يحضر إلى مكتبه في أى وقت إذا دعت الضرورة إلى ذلك ؛

ياله من وقت عصيب عندما وقع بصره لأول مرة على شقيقه في مكتب المأمور .. جلس معه ساعة كاملة ، وسلمه ما معه من مأكولات وسجائر ودس في يده مبلغا من المال ، ومنحه شمة واحدة من المسحوق الذى يشبه السكر . ووعده بزيارته مرة على الأقل في كل شهر ، وأعطاه أرقام تليفوناته ليتحدث معه إذا حدث ما يستدعى ذلك ، وعندما غادر السجن كان البية المأمور في وداعه حتى باب السيارة .

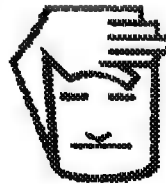


تقديم يا منقاد

الشيخ فتحي الحرامي

١٦

●● قبل دخول سجن القناطر كنت أتصور أن السجن هو المكان الوحيد الذي تتحقق فيه المساواة بين الجميع. فعقوبة السجن معناها النزول بسان الزنازين الى أحط مستوى اجتماعي يمكن النزول إليه فالطعام هدفه الحفاظ على الحياة فقط والملابس هدفها ستر العورات ، وطابور الشمس ليس للمتعة ولكن حماية للسجناء من الأمراض ، ولكنى بعد دخول سجن القناطر اكتشفت أن السجن جزء من الحياة ، وما يدور خارج الأسوار يحدث مثله تماما داخلها ، هناك المسجون الغنى ، والمسجون الفقير والمسجون الضائع والمسجون صاحب النفوذ ، وعرفت منذ اليوم الأول في السجن أن باستطاعة القادرين استنجا من يقوم بخدمتهم ولذلك استأجرت سجيناً لغسل الأواني وعمل الشاي ونقل جردل البول الى دورة المياه ، واستحضر مياه الشرب من حنفية المستشفى واحضار أرغفة الخبز من انفرن ●●





● الشيخ فتحي الحرامي ●

وجاءت قرعتي مع خادم يطلق لحيته بشكل مبالغ فيه ، ويمسك بين أصابعه بمسبحة طويلة ، وهو دائم الركوع والسجود في أوقات الصلاة وفي غيرها ، كما أنه كان حريصا على صوم رمضان والأيام الستة البيض ، أما في الأيام العادية فكان يصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع وفي السجن يطلقون على الخادم الأجير كلمة النوبتشي ، وبعد مراقبة دقيقة للشيخ فتحي .. هذا هو اسمه ، اكتشفت أنه صادق فيما

يبدو عليه من تدين وتمسك بأصول الدين - وخيل إلى أن جريمته ربما كانت القتل من أجل الثأر أو من أجل الشرف ، ولكن أدهشني أنه جاء إلى السجن في جريمة سرقة وأنه مسجل خطر سرقات ، كان الشيخ فتحي يحكي بصراحة متناهية قصة حياته السابقة ، كان مجرد حرامي وسخ يسرق الغسيل من فوق السطوح ، ويسرق الفراخ السارحة في الحارة ، ويسرق الأقراط الذهبية من أذن البنات ، وسجن عدة مرات سجيناً بسيطاً وعلى مدد تتراوح بين ثلاثة أشهر وسنة ، وأخيراً صدر ضده حكم سبع سنوات نظراً لتكرار جرائمه وتطور سرقاته التي بدأت بالفراخ وانتهت بسرقة خزانة مكتب البريد !

عند دخول فتحي السجن في المرة الأخيرة فكر بشكل جاد في الانتحار ، فسبع سنوات كفيلة بقصم ظهر جمل ، وفتحي له تجارب سابقة مع السجن ، ويعرف تماماً قسوة السجن خصوصاً إذا كان

□ الشيخ فتحي الحرامي □

السجين من الفقراء .. ولكن حظ فتحي الحسن أنه وجد في السجن ما جعله يعدل عن فكرة الانتحار . فاتحه أحدهم في خدمة رجل عجوز يحتاج إلى مساعدة في الذهاب إلى دورة المياه ، ويعد له كوب الشاي ، ويرافقه في طابور الشمس لأنه يعاني من روماتيزم حاد في مفاصل ساقيه . كان العرض مغريا لفتحي لأن الأجر الذي عرضوه عشر علب سجائر في الشهر وهي بالنسبة لفتحي ثروة كبيرة خصوصا أنه ضمن الطعام والشاي مع مخدومه العجوز . وتعجب فتحي عندما دخل زنزانه الرجل الذي سيتولى خدمته خلال الفترة المقبلة . كانت تدل على مدى الرفاهية التي كان يعيشها الرجل خارج الأسوار . وتصور فتحي أنه تاجر حشيش من المعدودين ، وتمنى فتحي لو وجد لنفسه مكانا إلى جانب الحاج رفاعي بعد خروجه من السجن . إنه لا شك في حاجة إلى رجل ميت القلب مثل فتحي ، يخوض بحر الأخطار دون أن يرمش له جفن . وليس هناك نسبة بين الأخطار التي يواجهها الحرامي الغلبان ، وتلك التي يواجهها مهربو الحشيش . لأن الحرامي الغلبان يمارس عمله بين جماهير أكثر منه غلبا ، ونهار أبوه أزرق لو انكشف أمره في حارة أغلب سكانها صياح وأرزقية على باب الكريم ، وليله أسود من الخروب إذا عكموه في أتوبيس أو في قطار . وبعد أسابيع من العمل عند الحاج رفاعي أدرك فتحي أنه عثر على ضالته أخيرا ، فالطعام أكثر من فاخر ، ويجلبه الحاج رفاعي من الخارج كل يوم ، والشاي متوفر والسكر يكفي لعدة شهور ، وخراطيش السجائر من الأرض إلى السقف ومع ذلك لا يقربها الحاج رفاعي ، لأنها للشاويشية والعساكر والحلاق والغسال والفران ، وأيضا لشراء ما يعرضه المساجين من سلع داخل السجن ويحتاج إليه الحاج رفاعي ولكن الذي أدهش فتحي أنه عرف أن الحاج رفاعي ليس من تجار الصنف . وقيل له إن تهمته سياسية ، وإنه دخل السجن في عام ١٩٦٥

□ الشيخ فتحي الحرامي □

لأسباب سياسية، فالرجل يعمل بالسياسة وهدفه خدمة الوطن والناس، ولكنه اختلف مع الحكومة فدخل السجن، وعانى الحاج رفاعي في سجنه كما لم يحدث لأحد من قبل. ولكن شاءت إرادة الله أن يرفع عنه معاناته، فمات الحاكم وجاء حاكم جديد، فخفت عن الحاج رفاعي القيود، وأمر بمعاملة الحاج وزملائه بالحسنى وتلبية رغباتهم، فخرج أكثرهم إلى المستشفيات، وأفرج عن الذين أمضوا نصف المدة، وعاش الذين بقوا في سجن القناطر عيشة السلاطين. لحظة دخول العبد لله السجن كان الحاج رفاعي قد غادره إلى منزله. وبقى فتحي لقضاء مدة العقوبة، ولكنه كان قد تغير على نحو لم يكن يتوقعه أحد ولا فتحي نفسه. فقد كان فتحي تحت تأثير الحاج رفاعي يواظب على الصلاة، ويحضر صلاة الجمعة ويحضر أيضا دروس الوعظ التي كان يشارك فيها الحاج رفاعي نفسه. وشيئا فشيئا اندمج فتحي مع الجماعة وأطلق لحيته وواظب على الصلاة والصيام، وأمعن في الطريق لدرجة أنه كان يصوم يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع ويصوم رجب كله، ولم تنقطع صلة فتحي بالحاج رفاعي، إذ استمر الحاج رفاعي في إمداد فتحي بين الحين والآخر ببعض النقود، وكان يرسل له في بعض الزيارات من يحمل له الأطعمة والسجاير وكميات السكر والشاي وبعض الطلوى وما يحتاجه الحاج فتحي من ملابس في بداية فصل الصيف وفصل الشتاء. وبالرغم من عدم احتياج الحاج فتحي إلا أنه قبل العمل ككوبيتشى مع العبد لله عندما عرف أن تهتمى سياسية كالحاج رفاعي. صحيح أن فتحي فشل في الحصول على جواب حاسم من الحاج رفاعي عندما سألته عن السبب في سجنه، مع أنه رجل طيب ويعرف الله ويمشى على طريقه. كل ما قاله الحاج رفاعي لفتحي : إنهم سجنوه لأنه يعبد الله ويؤدى واجبه كمسلم ويتطلع إلى عالم تسوده الطمأنينة والأمان.

□ الشيخ فتحي الحرامي □

ولم يعلق فتحي على جواب الحاج رفاعى، فهو يعلم بتجربته أن الحكومة ظالمة، وأنها أحيانا تسجن الأبرياء. وهو نفسه تعامل مع كل الحكومات التى تولت السلطة فى قسم روض الفرج ضابط مباحث يذهب وضابط مباحث يأتى. ولكن سلوك الجميع واحد، والظلم هو شعار الجميع .

— تصدق حضرتك. وأنا فى السجن هنا جاتلى الحكومة لحد هنا، عارف البيه ضابط المباحث عاوز إيه؟ عاوزنى اعترف بعشرين سرقة حصلت فى القسم بتاعه عشان ما يتحاسبش على التقصير .

وأنت مالكش دعوة بالسرقات دى ؟

— ولا أعرف عنها أى حاجة .

وعملت إيه ؟

— اعترفت له، عشان يستفيد هو، وأنا كمان مش هيحصل حاجة لأن أى حكم أخذه على سرقة تاريخها قبل سجنى يخش فى السبع سنين، هو القانون كده من غير مؤاخذة .

لكن ليه تعترف بجريمة أنت ما عملتهاش ؟

— طيب وأعمل إيه؟ إذا كانت الحكومة بذات نفسها جت لحد السجن. والضابط قعد معايا فى أودة الوكيل.. زميله وصاحبه أنا قلت لنفسى البيه الحكومة فى قسم روض الفرج يحفظ جميل، ويمكن يعاملنى كويس بعد كده، والبيه الوكيل كمان يرضى عنى عشان جاملت صاحبه. وصمت فتحي قليلا ثم قال :

— تعرف يا أستاذ.. فيه ناس هنا رفضت تعترف، اللى حصل لهم فى السجن ربنا ما يوريه لحد. ضرب وجلد ونوم على البلاط فى زنزانة التأديب سكت فتحي لحظة وسألنى فجأة :

— لكن أنت جابوك السجن ليه؟ مع أنك ما بتصلش بانتظام وما بتصومش الاثنين والخميس ؟

□ الشيخ فتحي الحرامي □

قلت لفتحي بصراحة :

الحقيقة يا فتحي احنا جينا نستولى على الحكومة، لكن أعداءنا سبقونا وإستولوا عليها وسجنونا وسألنى فتحي مندهشا .

— وانتو بقى الحكومة بتاعتكم فى قسم إيه، قصر النيل واللا فى الجيزة. اكتشفت فى تلك اللحظة أن الحكومة التى يقصدها فتحي هى : ضابط المباحث. فتحي لا يعنيه وزير المالية أو وزير الصناعة. كما أنه لا يعرف وزير الداخلية. وقد تذهب حكومة قاسية وتأتى حكومة معتدلة، ولكن فتحي لا يشعر بأى فرق فضباط المباحث لهم سياسة واحدة لا يؤثر فيها الزمان وهذه الحكومة التى يتعامل معها فتحي لا أمل فى إصلاحها. وليس هناك أمل فى عقد هدنة معها.. وحاول فتحي أن يعرف منى معنى محاولتنا الاستيلاء على الحكومة. هل نقتحم قسم البوليس ونحتل مكتب ضابط المباحث وندير العمل عوضا عنه. وحاولت أن أشرح له الأمر ولكنى فشلت، فلم يكن فتحي على استعداد ليصدقنى أو يصدق غيرى بأن ضابط المباحث ليس هو الحكومة، وأن الفرق كبير بين الاثنين.

— طيب تصدق بالله يا أستاذ، أتخن تخين فى روض الفرج لما يشوف ظابط المباحث يقف على رجليه يعظم. حتى المعلم عوضين المرعب الى بيhez الدنيا كلها بيبقى زى القطة قدام البية ظابط المباحث. وصمت بعض الوقت ونظر نحوى نظرة طويلة ثم قال :

— طيب وحضرتك مين الى جابك لحد السجن هنا؟ مش البية ضابط المباحث. أنا شفتك وأنت داخل والحكومة معاك وسلموك ع السركى وروحوا همه. مش كده بذمتك .

وهزرت رأسى بالموافقة، وبدأ على فتحي الرضا لأنه استطاع فى النهاية اقناعى بوجهة نظره التى هى الحقيقة الوحيدة وما عداها أكاذيب خدمنى فتحي سبعة عشر شهرا وفى غاية الانضباط. وكان

□ الشيخ فتحي الحرامي □

يؤدى واجبه دون حاجة إلى تعليمات من جانبى. يعد الشاى فى الأوقات التى يشعر فيها أننى محتاج للشاى. ويبحث عنى فى كل ركن يحتمل وجودى فيه. فى المستشفى فى الحوش فى المدرسة فى الملعب، وغالبا يبحث عنى عندما ينتهى من إعداد وجبة الغداء. وفى شهر رمضان كان مسموحا بفتح الزنازين إلى ما بعد وجبة الافطار. وكان فتحى الصائم يعد لنا وجبة الافطار، ويحرص على تدبير المواد الأولية اللازمة لطبق السلطة. ولا يعوقه شىء عن تدبير ما نحتاج إليه من خضراوات، كان يجلبه غالبا من مزرعة السجن، وكانت علاقته بالحرس على مايرام، باعتباره من المسلمين الطيبين الذين يرضى عن أمثالهم رب العباد. وكان الحراس يصطفون خلفه فى صلاة الظهر والعصر، وكان الشيخ فتحي يؤذن للصلاة بطريقة تشبه الأذان فى ريف مصر، وكان الحراس يستمتعون بصوته المتحشرج الذى هو فى نظرهم علامة التقوى والإيمان .

وعندما حانت لحظة الإفراج عن العبدلله، تركت لفتحي ما تبقى عندى من سجائر وشاى وسكر وبعض الملابس وبطانية ملكى فاخرة وحذاء وبعض الملابس الداخلية والجوارب، كانت كلها جديدة لم استعملها فى أى وقت. وشكرنى فتحي وهو يودعنى طالبا لى حياة جديدة آمنة وعلاقة حسنة مع البية ظابط المباحث فلا أعود مرة أخرى إلى هنا .

أما ربنا يفك سجنك أبقي فوت على وربنا يكرمك بشغلة شريفة ويتوب عليك من السرقة والسجون .

وقال فتحي

— سرقة تانى مش هيحصل ، أنا ربنا تاب على من السكة دى وهاعمل الى يرضيه. والحاج رفاعى كان وعدنى بشغلة شريفة، وهافوت عليه الأول، إذا ربنا وفقنى هابقى أجيبك عشان أسلم عليك.

□ الشيخ فتحي الحرامي □

وإذا ما حصلش هاجليك عشان تدور لى على شغلانة إن شا الله فى مسجد أهلى أو فى دكانة أو مكتبة أو أى حاجة شريفة تبعدننى عن الطريق اللى كنت ماشى فيه .

ومر عام كامل قبل أن أرى وجه فتحي مرة أخرى، جاءنى فى ثياب بيضاء نظيفة، وإن كان جلبابه أقصر من المألوف. ويلف رأسه بشال أبيض، كان يحلق شاربه ويرسل ذقنه بطريقة مهذبة تلفت إليه الأنظار .

وبادرنى فتحي قائلا :

— الحمد لله اللى جمعنا على خير، أنا جى أسلم عليك بس، الحاج رفاعى ربنا يخليه شاف لى شغلة حلوة قوى، وادانى اجازة لمدة شهرين أشوف فيها حالى وأدير أمورى، وادانى قرشين لأجر مطرٍ بعيد عن روض الفرج، وبالفعل لقيت سكن كويس مع ناس كويسين نواحى البدرشين. وبينى وبينك أنا طول النهار فى الجامع بأصلى وأحفظ كتاب الله. ثم تنهد ونفخ نفخة شديدة وقال :

ياسلام.. دا الاستقامة دى حلوة قوى، دا الواحد كان مخبوط فى عقله وكان عايش زى الحيوان .

عندما استأذن فتحي فى الانصراف، حاولت أن أدس فى يده ببعض الأوراق المالية، ولكنه رفض بشدة. فلما أصررت قبلها .

بس عشان حضرتك ما تزعلش منى، أنا مش محتاج والحمد لله، والحاج رفاعى ما بيقصرش .

اختفى فتحي طويلا، ثم عاد لزيارتى قبل أيام من مغادرتى مصر إلى منفأى الاختيارى فى عام ١٩٧٤. ولم يكن وحده، ولكن كان بصحبته شخص آخر يرتدى نفس ملابسه ويطلق ذقنه بنفس طريقة فتحي. وتصورت أنه جاء بصديقه بحثا له عن وظيفة. ولكنه قدمه لى باعتباره شريك الزنزانة التى كان يقيم فيها بسجن القناطر .

□ الشيخ فتحي الخرامي □

بس أنت حضرتك ما شفتوش، أصلهم أفرجوا عنه بعد وصولك السجن بأسبوع وراخر كان نوبتشي عند الحاج زيدان، راجل طيب زي الحاج رفاعي بالظبط وهمه الاثنين كانوا أصحاب واتمسكوا مع بعض واتسجنوا مع بعض. راخر كان آخر إيمان وصلاح، وتقوى .
وأشار إلى أن زميله أنصلح حاله على يد الحاج زيدان، الناس دي ربنا خالقهم عشان صلاح الدين والدنيا. حاولت تقديم مساعدة للشيخ فتحي أو زميله ولكنه رفض. وقال في سعادة واضحة :

كفاية نعرف حضرتك ونشوفك، دا ناس كثير تعرف حضرتك
بيقولوا بس لو ربنا يشرح صدره للإسلام .

نظرت لفتحي نظرة غاضبة وقلت له :

وأنا مش مسلم يا فتحي ؟

ورد على الفور :

لا.. أنا أشهد أنك مسلم كويس وتعرف ربنا، لكن همه بيقولوا لو
قلمه يخدم الإسلام .

يعنى ايه قلمه يخدم الإسلام يا فتحي .

صمت عدة لحظات ثم قال :

والله أنا سمعتهم بيقولوا كده .

همه مين يا فتحي اللي بيقولوا كده .

الاخوة اللي معانا، أصل أنت ما تعرفش إيه اللي حصل — الحاج رفاعي والحاج زيدان وناس ثانية جمعوا ناس كثير زي حالاتي كده من اللي كانوا ماشيين في سكة الشيطان. تعرف يا أستاذ لقيت يبجي عشرة من اللي كانوا في سجن القناطر إيشي حرامية وإيشي نشالين وإيشي بلطجية ، وجمعونا كلنا في البلد دي ، أى والله وعاملين مزرعة حلوة قوى ، أرض صلحوها في الجبل اللي عند سقارة وبزرع دلوقت أحسن زراعة ، وكل واحد بيشتغل شغلته وبقية الوقت في الجامع ،

□ الشيخ فتحى الحرامى □

دروس دين ورياضة وحاجة حلوة قوى .

مش قادر أقولك احنا مبسوطين قد إيه ؟ وكفاية رضا ربنا علينا .
وبينى وبينك يا أستاذ الحكومة الموجودة اليومين دول كويسة ،
مش زى الحكومة دوكها ، البيه ظابط المباحث ندهلنا عنده فى
البدرشين ، وسقانا قهوة فى مكتبه ، أى والله ، أول مرة نشرب قهوة مع
الحكومة وقال لنا أنا عارف انتومين وكنتم إيه قبل كده . لكن دلوقت
أنا مبسوط منكم قوى ، السكة الى انتو ماشيين فيها دلوقت هى
السكة الصح .

وربنا يوفقكم وياريت تهدوا كل الناس الى زيكو .
كان هذا اللقاء هو آخر عهدي بفتحى .. غادرت مصر فى رحلة .
امتدت مائة شهر كاملة ، ثم عدت فى عام ١٩٨٢ ومريت أربعة عشر
عاما طويلة دون أن يقع بصرى على فتحى ، ولم يحاول فتحى
الاتصال بى ، وتصورت أنه إما غادر القاهرة وإما انتقل إلى رحاب الله .
ومنذ أسابيع قليلة وقع بصرى عليه ، صورته منشورة فى جميع
الجرائد اليومية . فتحى بلحمه وشحمه ، مطلوب القبض عليه فى
حادث سطو على محل مجوهرات فى الصعيد ، يا قوة الله ، الشيخ
فتحى الحرامى عاد إلى مهنته القديمة ولكن فى ملابس جديدة ، وبعد
أن هادنته الحكومة وشرب قهوة مع البيه ظابط المباحث ، ودعا له
بالتوفيق فى هداية أمثاله من الحرامية والنشالين !
كم كنا فى منتهى السذاجة جميعا ، الحكومة والناس والعبد لله
أيضا كان على رأس طابور المغفلين !



• من طقطق لسلامو عليكو •

- طيب مش الأول نتعرف على حضرتك .

ورد الأفندى على الفور .

- مش مهم تعرف أنا مين، المهم نشغل سوا .

ثم قال بلهجة أمرة :

- افتح الشنطة واتفرج .

فتح المعلم (طقطق) الشنطة ويا لهول ما رأى .

عشرات من طرب الحشيش ملفوفة بأناقة ومرصوصة

بعناية ورائحتها النفاذة تتصاعد في الجو . والمفاجأة

عقدت لسان المعلم ولم يستطع أن يصلب طوله فجلس على المقعد

الوحيد المتهاك المزكون داخل الدكان . ماهذا الذي يراه؟ هل هي

ورطة؟ هل هو كمين؟ ولزم الصمت فترة راح يلتقط فيها أنفاسه

بصعوبة، ثم نطق عدة كلمات بصوت خافت للأفندى :

- طيب مش من غير مؤاخذة نعرف الحكاية إيه ؟

وقال الأفندى :

- ولا حكاية ولا رواية، بضاعة أنا جاييها لك، انت حتصرفها

وتأخذ حسنتك، وكل ما تخلص من شنطة هاجيبك شنطة ثانية .

- لكن دى فلوس كتير قوى، وأنا من غير مؤاخذة بالعيب في أبونكلة .

- مفيس حاجة بتفضل على حالها، والصغير بيكبر يا معلم .

- لكن اشمعنى أنا ؟

- أنا درستك وعرفت عنك كل حاجة، وانت راجل طيب ومالكش

دوسيه في الحكومة .

□ من طقطق لسلامو عليكم □

- طيب وانت عرفت ازاي ؟

- أنا باعرف حاجات كثير قوى، وبعدين مالهاش لزوم الأسطة
الكثيرة دي. خللي علاقتنا في حدود الشغل .

- طيب مش ممكن أعرف اسم سيادتك وبتشتغل إيه ؟

- ولازمته إيه، هو أنا هاخد منك حاجة، أنا هاديك.. وبعدين عن
إذنك أنا مستعجل .

نادى المعلم (طقطق) على الأفندى وتوسل إليه أن يتمهل قليلا،
وعندما عاد الأفندى إلى مكانه الأول، قال له المعلم :

- طيب انت مش خايف أحسن أكلك أو انصب عليك ؟

وقال الأفندى بلا مبالاة وهو يستعد للانصراف :

- أنا ما حدش يقدر ياكلنى أو ينصب على، توكل على الله يا معلم،
إن شاء الله هتشوفنى قريب لما تصرف البضاعة .

عندما اختفت السيارة بعيدا سارع المعلم (طقطق) بإغلاق الدكان،
وأخذ الشنطة معه إلى داخل البيت، وانتابته رعشة شديدة عندما عاود
فتح الشنطة، إنه لم يحلم في حياته بأن يذهب في تجارة الصنف إلى هذا
الحد. بهذه الشنطة التى بين يديه قفز المعلم (طقطق) إلى مصاف كبار
المعلمين، سار مثل المعلم قرقر والمعلم كتكت والمعلم طلبة، وهو وضع
لايحتمله المعلم (طقطق) لأنه يعلم أن الحياة أخذ وعطا، وعلى قدر ما
تأخذ على قدر ما تعطى. والبحر الذى كان يعوم فيه ديتة بسيطة،
سته أشهر سجن وأقصاها سنتان. أما هذا البحر الجديد الذى وجد
نفسه فيه فديته تبدأ من المؤبد وتنتهى بالإعدام. والمعلم (طقطق)
لايخاف المصير المنتظر، ولم يكن لديه مانع من الحياة خمس سنوات
فقط في العز والنعيم ثم يحدث بعد ذلك أى شىء. ولكن الشىء الوحيد
الذى يقلقه هو ابنته، لقد أصبحت البنت على وش جواز، وماذا يكون
مصيرها لو ذهب إلى السجن المؤبد، وتعلق في حبال المشنقة. لا حول

□ من طقطق لسلامو عليكم □

ولا قوة إلا بالله، مصير أسود نهاية سيئة للعائلة الصغيرة التي حاول دائما حمايتها من شر الزمان. وفكر في أن يرفض عرض الأُنسدى الغامض ويرد له الشنطة، ويتشبت بموقعه كتاجر قطاعي، لا يلفت نظر رجال المكافحة ولا تطارده أسراب المخبرين. ولكن.. من الذي يرفض ثروة هبطت عليه من السماء؟ ومن يستطيع مقاومة إغراء الصعود على سطح الدنيا بدلا من البقاء في السرداب؟ وهل ترفض حلاوتهم ابنته أن تقب على وش الدنيا؟ هل ترفض أن يكون لها حشم وخدم وأن تعيش حياة البنى آدمين؟ لم يغمض له جفن طوال الليل، وكان بين الحين والآخر يقوم من مضجعه ليلقى نظرة على البنت حلاوتهم. وكان يسعده أنها في عالم آخر لاتشعر بقلقه ولا تحس بالنار التي تأكل قلبه المذعور.

كان على المعلم (طقطق) أن يخرج من عزلته التي فرضها على نفسه على حافة الصحراء في أرض النعام. أصبح لزاما عليه أن ينزل السوق لتصريف الصنف على من يستطيع دفع ثمنه. وبالفعل ذهب المعلم (طقطق) إلى الباطنية حى المخدرات، وفاتح المعلم درويش الذى يتعامل معه فى القطاعي. وهو معلم متوسط ولكنه يعرف أحوال السوق، وله علاقات بعدد من الحيتان الكبار. وحاول أن يعرف من المعلم درويش معلومات تفيده دون أن يكشف له عن سره، ولكنه لم ينجح فى الوصول معه إلى شىء.

ويبدو أن المعلم درويش حذر أكثر من اللازم، أو أنه لايعرف أى شىء. وأخيرا استقر رأى عم (طقطق) على أن يذهب إلى الباشا دون سابق معرفة وأن يعرض عليه الصنف وليكن بعد ذلك ما يكون. كان الباشا يتخذ من أحد كازينوهات شارع الهرم مكانا مختارا، يسهر فيه مع أصدقائه، ويعقد فيه الصفقات مع عملائه. وانبهر المعلم (طقطق) بمنظر الباشا، يا سلام باشا بحق وحقيق. أسطول سيارات

□ من طقطق لسلامو عليكم □

في انتظـاره، وطقم كامل من الالاضيش حوله. بعضهم للحراسة وبعضهم لوضع كل ما يدور في عقل الباشا موضع التنفيذ. يا سلام يا ناس، هكذا تكون العيشة واللا بلاش. المائدة حافلة بكل الأصناف، والجميلات حوله كالفراشات. والباشا نفسه يهمس ولا يشخط يشير ولا يفصح، ويومئ ولا يأمر. ولا تعرف يساره مادفعته يمينه لأنه لا يحاسب ولا يدفع، ولكن الذين حوله يقومون بالعمل كله والحساب يجمع يوم الحساب. وبالرغم من الهيل والهيلمان استطاع المعلم (طقطق) أن يفاتحه في الأمر، كان الباشا يستمع بأذنه بينما عيناه سارحتان في تعاريج جسم الراقصة التي تتلوى على المسرح. وعندما انتهى المعلم (طقطق) من عرضه، أشار الباشا إلى أحد الحاضرين، ثم أشار للمعلم (طقطق) بالذهاب معه. وركب الاثنان معا انطلقت بهما السيارة إلى أرض النعام. ولعب الفار في عب المعلم (طقطق) فلم يحدث بينه وبين الباشا أى اتفاق، فقط إشارة من إصبعه وغمزة من عينه وسلام عليكم وعليكم السلام. ولكن.. هل يمكن لرجل مثل الباشا أن ينصب عليه؟ هل يطمع رجل مثل الباشا في بضاعة (طقطق) الغلبان؟ ومن الذى يستطيع الإجابة على هذا السؤال؟ وما الذى يستطيع (طقطق) أن يفعله بعد أن وقعت الفاس في الراس. نزل من السيارة الفاخرة التي أقلته إلى أرض النعام، ودخل بيته وألقى نظرة اطمئنان على حلاوتهم، وارتاح قلبه عندما اكتشف أنها تغط في نوم عميق. ثم تناول الشنطة وسلمها للبيه وكيل الباشا، الذى تناولها بعدم اهتمام ومضى إلى حال سبيله دون أن يتبادل كلمة واحدة مع المعلم (طقطق) يالها من مصيبة كبرى إذا انتهت المسألة عند هذا الحد؟ وما الذى سوف يحدث له إذا عمل الباشا طناش وأكل الشنطة بما فيها من رزق وفير؟ ومر أسبوع كأنه الدهر كله، وذات مساء والكلاب تعوى

□ من طقطق لسلامو عليكم □

بجنون حول البيت توقفت سيارة ونزل أحدهم منها وطرق الباب، وعندما فتح المعلم (طقطق) اكتشف أنه أمام البية نفسه الذى استلم منه الشنطة منذ أيام. ولم يفتح الرجل فمه بحرف، مد يده وسلم المعلم (طقطق) نفس الشنطة التى كانت تحتوى على الصنف. ياداهية دقى... هل لم يعجبهم الصنف؟ هل باظت الصفقة؟ فتح الشنطة على عجل ليكتشف أن الصنف اختفى وحلت محله رزم أوراق مالية... يا قوة الله. أغلق الشنطة وركنها خلف الباب وجرى خلف البية قبل أن ينطلق بالسيارة، وسأله وهو يرتعش :

- ما قدرش أشوف الباشا ؟

ونظر إليه البية نظرات متفحصة وقال :

- حاضر، نقوله، ولما يحدد لك ميعاد هنجى ناخذك .

ثم انطلقت العربة كالسهم، بينما تصاعدت أصوات الكلاب داخل الصحراء. وطول الليل لم يغمض للمعلم جفن، انهمك في عد الأوراق المالية، يا قوة الله... مائة ألف جنيه بالتمام والكمال. ولكن هل هذا هو ثمنها الحقيقي؟ وهل يخفى جزءا لنفسه أم يقدمها كله للأفندى المجهول؟ المهم أنه في الصباح ترك النقود كما هى في الشنطة ولم يدخل في النوم إلا والشمس تتسلق العلالى. وعندما جاءت حلاوتهم لإيقاظه كانت الساعة تشير إلى الغروب. وقد تصورت حلاوتهم أن والدها مريض، ولكنه نفى لها ذلك، وتعلل بأنه مصاب ببرد خفيف، وأنه سيعاود نشاطه في اليوم التالى. ولكن... هل يعاود فتح الدكان مرة أخرى، ويصبر على «رذالات» الزبائن، وسخافات اللى يسوا والى ما يسواش؟ طيب... ولو قفل الدكان.. هل يثير ذلك انتباه أحد؟ المسألة في حاجة إلى تفكير، وأفضل شىء أن يهجر أرض النعام كلها وينتقل إلى الحياة في أحياء البنى آدمين. هذا أفضل من البقاء هنا،

□ من طقطق لسلامو عليكم □

ولكنه لا يستطيع الانتقال قبل إخطار الأفندى المجهول .
في اليوم التالي مباشرة حضر الأفندى المجهول، وما أن وقع بصره
على المعلم (طقطق) حتى سأله :
- هيه .. كل شىء تمام ؟

ومد المعلم يده بالشنطة ووضعها أمام الأفندى، الذى قام بفتحها
ثم ألقى نظرة على ما فى داخلها، نظرة خاطفة مع ذلك تمكن من معرفة
المبلغ الذى يرقد داخلها، ولم يعلق إلا بعبارات بسيطة :
- ميت ألف بس، دا بقى حرامى الباشا ده، هوه ضحك عليك فى
مبلغ زى ده، ولازم تقولله كده عشان يعرف إنك فاهم .

ثم مد يده فانتزع عشرة آلاف جنيه ووضعها أمام (طقطق) ثم
أخذ الشنطة وسلمه شنطة غيرها، شنطة لها نفس المواصفات ونفس
المقاس وبها نفس الصنف. والله ابتسمت لك الحياة يا عم (طقطق)
وحظ بمب يا حلاوتهم وربك عالم بالغلابة، ولكن ماذا لو تأخر
مندوب الباشا فى الحضور ؟ ولم يطل انتظاره فبعد أقل من أسبوع
حضر له مندوب الباشا وحمله حيث يوجد ضمن شلة من الناس
الكبار، وفى هذه المرة كانت الجلسة فى عوامة على صفحة النيل. وسأله
الباشا فى استنكار :

- هيه ، معاك تانى واللا شطبت ؟
- خير ربنا كتير يا باشا، بس السعر دا ما ينفعش .
- خلاص ، هنزودك خمسين ألف، بس يكون هوه نفس الصنف .
غادر المعلم (طقطق) العوامة د البية وكيل الباشا وسلمه الشنطة
وبعد يومين عاد مندوب الباشا ومعه الشنطة بالفلوس. وهكذا مضت
الحياة بالمعلم (طقطق) والأفندى والباشا ومندوبه، وفى عدة أسابيع
كان المعلم قد جمع حوالى خمسين ألف جنيه، كان لا يتصور أن يراها

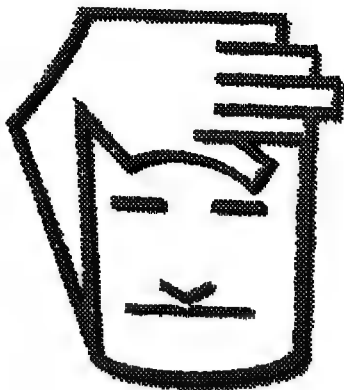
□ من طقطق سلامو عليكم □

في الأحلام. وذاع أمر المعلم (طقطق) في السوق، واتصل به آخرون من كبار تجار السوق، وصار يسهر كثيرا في مصر، يعود إلى أرض النعام في الفجر، وفي كل يوم يسأل الله الستر، فهو بطبعه يحب العزلة، والاختفاء أفضل من الظهور، ولكن ما باليد حيلة، وكان عليه أن يجارى المرحلة الجديدة، فانتقل من أرض النعام إلى مدينة نصر، وفي مسكن واسع وحجراته كثيرة، وأصبح لديه ثلاثة وبوتاجاز وغسالة وخادمة ترعى شئونه وتلبى حاجات البيت. وأصبحت حلاوتهم بعد انتظام مواعيد الأكل والمعيشة في مسكن صحى كالقمر المنير، ولابد سيأتى لها عدلها في يوم من الأيام، وتغيرت أحوال المعلم (طقطق) كما عرف السهر في الخارج، عرف السهر في البيت، وصار يدعو المعلمين إلى منزله، وأصبحت حلاوتهم هى المشرفة على السهرات. وكان قلب المعلم يوجعه كلما ضبط عيون الضيوف تكاد تلتهم القوام المفلوف والوجه المضىء كالقمر ليلة التمام. وتمنى على الله أن يرزقها بابن الحلال بعيدا عن سوق المعلمين كم يسأل الله أن يرزقها بأفندى مستوظف يعيش بالحلال وفي الحلال، فهذه المهنة التى يعمل بها المعلم لا أمان لها ولا ضمان. وياما في السجون معلمين كانت كلماتهم أوامر ورغباتهم قوانين، ثم خسروا كل شىء، وما جرى لأسرهم يحتاج إلى موال من مواويل محمد أبو دراع!

ياسلام يا معلم (طقطق) سترى الدنيا على حقيقتها الآن. دعاه المعلم عواد على رحلة فوق ظهر مركب تطوف بموانئ البحر الأبيض، سترسو في تونس وفي طنجة وفي لشبونة وفي مرسيليا وفي بيريه باليونان وعلى الشاطئ التركى والشاطئ السورى ثم تعود إلى الاسكندرية في أمان الله. ويا ميت قل على البحر المتوسط وعلى خواجاته. وهو معزوم على حساب المعلم عواد، ومع ذلك فالفلوس

□ من طقطق لسلامو عليكم □

معه كالرز، وسيدلع المعلم نفسه ليثأر من سنوات الفقر والغلب.
ولكن حلاوتهم؟! لايزعجه الآن إلا أمر حلاوتهم. ومع ذلك فقد صارت
واحدة ست، وهى عاقلة وتستطيع أن تتصرف، وستقوم هى باستلام
الشنطة وسيحضر المندوب لاستلام الشنطة منها، ودولاب العمل
سيدور كما لو أن المعلم (طقطق) نفسه موجود فى مصر .
وهمس لحلاوتهم بنصائحه، وأوصى الأفندى الغامض عليها،
وأوصى المندوبين الذين يتسلمون الشنط، وأوصى الست الشغالة
التي ترعى شئون البيت، ثم ودع الجميع وركب البحر مع المعلم
عواد، رحلة اكتشاف لذيدة للعالم الوردى .

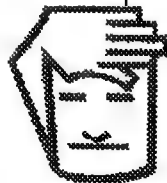


تعالى يا معلم

أبو شنطة !

١٨

●● يا سلام على عظيم صنع الله وعميق
حكمته .. لم يتصور المعلم طقطق صورة
البحر، كما يراها الآن ، كان يتصور أنه أكبر من
نهر النيل ربما عشر مرات أو عشرين مرة ،
يا قوة الله !! إنه أكبر من مصر كلها ، ربما أكبر
من مصر وما جاورها من بلاد .. ومن لطف
الله أن البحر لا يطفى على البر، ولو فعل
لابتلع الأرض والناس وانتهت الحياة ●●





● أبوسنطة ●

بالتأكيد سيطغى البحر يوم القيامة على البر فيهلك
الحرث والنسل ، ثم ينفخ في الصو ويحشر الناس حشرا
أمام رب العرش سبحانه !

عند هذه النقطة انتابت المعلم طقطق رعشة شديدة
وارتفعت درجة حرارته وتصيب العرق من جبينه .

يا لطيف بعبادك يا الله .. وبسمل المعلم طقطق
وحوقل وتوسل بالأنبياء والأولياء أن يغفر الله له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر .. والحمد لله لأن المعلم
طقطق لم يغضب الله قط ، ولم يمارس إلا ما يرضى الله

ورسوله .. بعض الناس يقولون إن الاتجار في الصنف حرام ، وهو
الأمر غير الصحيح على الإطلاق ، لأن التجارة حلال ، وسيدنا عثمان
كان يعمل بالتجارة ، وعبد الرحمن بن عوف كان شهبندر تجار
زمانه .. والشيخ سعد قطب بنفسه أكد للمعلم طقطق أن الصنف
نفسه ليس من المحرمات ، لأنه لا يخامر العقل ولا يذهب به ، والدليل
على ذلك أن الشيخ سعد قطب نفسه يتعاطاه ..

ومن هو الشيخ سعد قطب ؟ الرجل الطيب الذي درس أصول
الدين واشتغل بالوعظ ويلتف حوله الألوف من أهل الطريق ، والحمد
لله لأن صفحة المعلم طقطق ليس بها ما يغضب الله ورسوله .

انتزعت المعلم طقطق من تأملاته أصابع المعلم عواد وهى تغوص
في لحم بطنه .. ناداه أكثر من مرة ولكن المعلم طقطق لم ينتبه ..
وعندما انتبه أشار له المعلم عواد إلى نقطة ناحية البحر .

كانت هناك أعداد هائلة من سبع البحر تقدم استعراضا رياضيا

□ ابوشنطة ! □

في الماء .. ما أحلى الحياة يا معلم طقطق ، وما أكثر نعم الله على عبده .. استغرقه المنظر فسرح في عظمة خلق الله .. هذا القطيع من سباع البحر يبدو أنهم من عائلة واحدة ، لابد أن يكون سكان البحر مثل سكان الأرض شعوباً وقبائل . وما يراه الآن هو استعراض تقوم به قبيلة واحدة قبيلة مثل حاشد وبكيل وعنزّه وشمر .. القبائل هي الأصل في كل شيء .. هو نفسه المعلم طقطق أصله من جزيرة العرب ، وهو من قبيلة يافع التي سكنت الجزيرة في بداية عهد أهل مصر بالإسلام .. وأهله كانوا دائماً في عز دائم .

ولكن الحياة ليس لها أمان ، أحياناً في الطالع وأحياناً في النازل .. على كل حال .. أيام البؤس ولت ياعم طقطق ، والحياة ستعود الآن على قبائل يافع بالعز الذي كان !

ويوم وبعض يوم مضى ورسّت السفينة على البر في مالطا .. الله يرحم أيام زمان ، اضطر المعلم طقطق أيام الحرب العالمية إلى العمل في (الأورنس) داخل معسكرات الجيش الإنجليزي ، الإنجليز كانوا يعاملون الناس معاملة طيبة ، ولكن أحدهم كان أغبر أشعث ، ضيق الصدر ، وكان يعامل الناس بغلظة وبوقاحة ، وكان يجيد العربية ويشتم العمال بها ، وكان يهوى الأذية فيوقع عليهم الغرامات والخصومات وأحياناً كان يعتدى عليهم ضرباً باليد ، ثم علم المعلم طقطق أن الرجل (الغلس) ليس إنجليزياً ولكنه من مالطا . إذن هذه هي مالطا بلد الرجل الشر ، ولعل المعلم طقطق عرف الآن سر غلاسته .

فهذه أرض الحجر ، حجر ناشف حاشف والزرع قليل والمساحة أقل والرزق محدود . المباني هنا مثل مباني شارع محمد على أيام زمان .. بواكي وحواري معلقة ، والميادين تشبه ميدان العتبة أيام زمان ، لم يهزه إلا منظر البحر ومراكب الصيادين ، وبعد ليلة واحدة أبحرت السفينة إلى تونس الخضراء . تونس بلد عربي .. هكذا فهم

□ ابو شبنطة □

المعلم طقطق ، يعنى إيه بلد عربى ؟ يعنى زى مصر تماما .. الناس تتكلم اللغة العربية وتكتب بالعربية ، ولديهم مشايخ ومساجد .. وبعض ركاب السفينة يؤكدون أن فى تونس أزهر شريف مثل أزهر القاهرة ، يا قدرة الله جل شأنه .. هذه أول أرض عربية خارج مصر يقع عليها عين المعلم طقطق ، وهذه ميناء مثل الإسكندرية ، ينطبق عليها المثل القائل .. الماء والخضرة والوجه الحسن .. وجوه ستات تونس حلوة وقوامهم ملفوف .. واللهجة حلوة زى الحمصية والسسمية .. والمزاج واحد هنا وهناك ، الشيشة والكباب والشاى بالنعناع وأغانى أم كلثوم وعبد الوهاب ، والسماهى هى .. كمال الشناوى وأنور وجدى ومحمود يس والست سعاد حسنى وليلى علوى وفردوس محمد ونجمة إبراهيم .

ياميت حلوة على تونس يا ناس .. لو ضرب الحظ معاك يا معلم طقطق وبنيت لنفسك بيت هنا على شاطئ البحر فى تونس ، ولبست الجلابية والعباية التونسية ، وجلست على الشاطئ ودلدلت رجلتك فى ماء البحر والشيشة بين أصابعك .

ليت المركب انكسرت على شاطئ تونس لكى يبقى المعلم طقطق فى تونس إلى ما شاء الله . ولكنهم أيام ثلاثة فقط ، ثم أطلقت الباخرة صفارتها وتوغلت فى البحر الواسع الغويط .

قضى المعلم طقطق وقتا طويلا فى البحر قبل أن تلقى المركب مراسيها على شاطئ طنجة . هذه أرض عربية أيضا ، بلاد العرب حلوة وجميلة والعرب طيبين وحلوين ، وطنجة جوها حلو وشاطئ البحر عريض وطويل . ولكن المنظر مش ولا بد .. ستات زلط ملط على الشاطئ .. استغفر الله وأعوذ بالله من كل شيطان رجيم .. أغلق المعلم طقطق عينيه وأشاح بوجهه ناحية البحر .. ولكن المعلم عواد أقنع المعلم طقطق بأن النظر ليس محرما لأن صنف الستات الزلط الملط من غير العرب ، والتمتع بهم ليس حراما لأن الله خلقهم

□ ابو شنتة □

للاستمتاع .. صحيح .. رحمة ربنا واسعة وفضله على العباد ليس له حدود ، وصنعة ربنا في الستات دليل على عظمة الخالق ، الخصر المخنوق والصدر الناهد والعنق الذى مثل سن الفيل ..

الله يرحمها ويحسن إليها أم العيال كانت مثل سيد قشطة ، إذا مشت .. يا أرض انهدى ما عليكى قدى ، وإذا جلست كأنها قبة سيدى الشيخ عطوة ، وإذا نامت كأنها جثة مضى على طلوع الروح منها عشرة أيام .

ولكنها والحق يقال كانت ست طيبة ، عاشت ع الطوة والمرة وتحملت نصيبها من الشقاء والعذاب ..

يا لها من أيام ربنا ما يعيدها بحق جاه المصطفى ..
وانتبه المعلم طقطق على السفينة ترسو على جبل طارق . الله يرحم العرب الشجعان الذين فتحوا هذه الأرض بسواعدهم وأقاموا عليها أجمل وأعظم حضارة عرفها البشر في العصر الوسيط .

جبل طارق جبل فعلا ولكنه جبل ولا كل الجبال ، اشمعن جبل المقطم عندنا لا يبيخ إلا ترابا وغبارا ودقشوم من كل الأحجام ..
الجبل هنا مزروع وعلى قمته أشجار وبيوت وقروء أيضا .

والناس هنا خواجات ، ولكنهم بعكس الخواجات الابتسامة على الشفاه ، والدلع في الحركات ، يقولون إنهم عرب أيضا ولكن الزمان مال بهم فمالوا مع الزمان ، والله يرحمه الحاج مصطفى بتاع عزبة النخل ، قال يوما ما ، مل مع الريح لو مالت وإلا فاحتمل ! وقليل من الناس هم من الصنف الذى يحتمل ، أما الأغلبية العظمى فلا يحتملون .

المعلم طقطق نفسه احتمل ما لا يستطيعه البشر عندما مال الزمان .. ولكن فى المقابل .. الله يكافئ الذين يحتملون ، وفرجه قريب ونعمته خير تعويض لهؤلاء الذين يحتملون .. يا ترى البنت بنته عاملة إيه دلوقت مع الناس الغيلان الذين يتعامله معاها .. ربنا

□ أبو شنطة ! □

يعينها على اللى هيه فيه ! لكن البننت جدعة وبنت أبوها وربنا كبير
وستار وعالم بعبيده الطيبين .

ويا ميت حلاوة على اللى حب ولا طالشى ، أهى دى الجنة يا ناس
ولا حدش واخذ باله ، مارسيليا .. الفرنساوى .. إيه النضافة دى ؟
وإيه الحلاوة دى ؟ وإيه الدنيا دى ؟ العبد اللى ربنا راضى عليه
يعيش فى البلد دى .. لو الود ودك يا طقطق تعيش هنا على آخر العمر ..
ونتأهل بواحدة من بنات البلد دى ، وتشوفك مصلية على حرف
البحر ، ولو جوزه نضيصة وتعميرة حلوة ، تبقى ضمنيتها يا حاج
طقطق دنيا وأخرة .. يا سلام ع الراجل المعلم عواد يسوى تقله ذهب ،
راجل فهيم صحيح ويعرف ربه ويعرف حقه فى دنياه .. تاجر ألقى
بصحيح ومرزق والناشفة تصبح فى إيده خضرة ، وربنا يدبيله على قد
نيتة . الفلوس عنده كالرز ، والرزق جارى زى حنفية الحريق ،
ودولابه شغال على ودنه ، وعنده تفانين حلوة قوى .. جاءه فى المساء
واقترح عليه البقاء فترة من الوقت فى البلد الحلوة دى .

— طيب والمركب يا عواد ؟

— المركب مش مشكلة ، اللى خلقها خلق غيرها .

— والتذكرة اللى معانا يا عواد ؟

— التذاكر كتير ، واللى هنخسره شىء بسيط ، إيه رأيك ؟

— إن كان على الفلوس فى ستين داهية ، بس أنا قلقان ع البننت .

— يا راجل وحد الله ، بنتك راجل ، والناس اللى معاها طيبين .

— وهنقعد كتير يا عواد ؟

— نقعد لنا كام أسبوع .

— مفيش مانع ، وعلى رأى المثل .. زى ما ترسى دقلها !

مضت الأيام بالمعلم طقطق على شاطئ البحر فى مرسيليا، حكمة
الله أن فى مرسيليا حوارى ولا حوارى مصر .. الفرق الوحيد أن
حوارى مرسيليا نضيصة ، لا زبالة ولا مجارى .. والدكاكين تبيع

□ أبو شنة □

الجبنة ولكن ولا أى جبنة فى أى أرض .. جبنة رومى ولا جبنة زمان
وجبنة حلوم ولا جبنة ستى هدية يرحمها الله . والعيش الفينو يؤكل
حاف ، إنه عيش ولحمة ، عيش بغموس .. حكمة الله .. وكله كوم
والنسون هنا كوم آخر .. والأكادة كل شىء عادى وكل شىء مباح ..
المرّة من دول تقولها أنت حلوة تشكرك تحسس عليها تشكرك ..
تطلبها للونسة تشكرك ، تطلبها للفراش والهراش جوزها يشكرك ..
والمعلم عواد ناصح وابن حنت ، لا يعود فى المساء إلا ومعه عدة تنف
من اللى قلبك يحبها .. الشىء المدهش أن فرنسا تعرف الصنف ،
ولكنه صنف من النوع الفشنك ، وهو مغربى درجة تانية ، الصنف
اللبنانى لا يعلى عليه . مصر محظوظة لأن الصنف اللبنانى هو
المفضل عند المصريين .. ولكن يا ترى البنّت بتعمل إيه دلوقت فى
السوق ، ما ينهش قلب المعلم طقطق أن تليفون البيت لا يرد .. لابد أن
العطب أصاب التليفون .. ولكن المعلم عواد مطمئن ويطمئن بين الحين
والآخر .

مرت أسابيع طويلة قبل أن يعود المعلم طقطق للبحر ، لم يعرف
لماذا اختار المعلم عواد السفر على هذه المركب بالذات ، مركب فى
طريقها للإسكندرية ولكن عن طريق برشلونة وجبل طارق وطنجة
وتونس ثم الإسكندرية فى نهاية الأمر .. وشهر بطوله والمعلم طقطق
يجوب البحر الأبيض ، رحلة مملة لأنها مكررة .. والمعلم طقطق لا
تحتمل صحته كل هذا الإرهاق .

وفى تونس لم يغادر السفينة ، شعر كأنه خارج لتوه من معركة
مع عدة فتوات .. حرقان فى الصدر وصداع فى الرأس وزغلة فى العينين
. وشعر وهو على سريريه فى السفينة والموج يتلاعب بها فى طريقها إلى
الإسكندرية أنه لن يكتب له الوصول إلى هناك .. وتمنى المعلم طقطق
أن ينفخ الله فى صورته حتى يصل إلى بيته ويرى ابنته ويطمئن عليها ،

□ ابو شـنطة ! □

ثم بعد ذلك فليكن ما يكون.. ومر وقت طويل قبل أن تستقر السفينة على رصيف ميناء الإسكندرية .

أخيرا .. ها هو البيت بعد طول غياب ، ورن المعلم طقطق جرس الباب ، ولكن حتى الجرس أصيب بالخرس ، واستعان بنجار ليفتح الباب ، ليفاجأ المعلم طقطق بأن الشقة خالية من السكان وعارية من الأثاث ، أين البنت ؟ الله يخرب بيتك يا معلم عواد ، الولد وكيله الغندور العايق أكل عقل البنت ، وبعد أسبوعين تزوجها واشتغل معها في الصنف ، جاءها الرجل الغامض بالشنطة الممتلئة بالصنف ، وبعد أيام جاءها بالشنطة الثانية ولكنه لم يجد الشنطة الأولى الممتلئة بالفلوس ، واعتذرت البنت بأن الشنطة تأخرت لأسباب خارجة عن إرادتها ، ووعدت بأن تكون الشنطتان جاهزتين بالفلوس في الأسبوع القادم .. ولكن الرجل فوجيء عند عودته ، أن الجميع هجروا البيت .. لا ناس ولا شنط فلوس ، والرجل الغامض صاحب الشنطة لا أحد يجرؤ على النصب عليه .. ومن يفعل ذلك تخترق صدره رصاصة في الظلام ، أو تطيح به سيارة مسرعة في شارع قليل الحركة .. ولكن البنت والولد الذي تزوجها فص ملح وداب .. وتصور الرجل الغامض أن المعلم طقطق شريك في العملية القذرة ، لأنه هو الآخر فص ملح وداب .

ولكن الرجل الغامض من طبعه عدم التسرع في اتخاذ القرار ، بقدر ما هو شديد الحزم قدر ما هو طويل النفس والصبر .. انتظر الرجل الغامض حتى عاد المعلم طقطق من رحلة الأحلام .. وعندما اجتمع به في منزله جلوسا على البلاط ، كان المعلم طقطق بحالة لا يمكن وصفها، كان شديد السعادة لأنه على حد قوله :

— أنا شفت يا أستاذ اللى ما حدش شافه قبل كده . اللى صعبوا على أهلنا اللى ماتوا قبل كده . أهم دول عاشوا وماتوا ما شافوش

□ أبو شنتطة □

حاجة أبدا ! وفي الوقت نفسه كان المعلم طقق شديد الغم وشديد القلق .

— لكن نقول إيه يا أستاذ ، الناس ما بتسبش الناس في حالها . وأدى أنت زى ما أنت شايف ، أنا جيت لقيت الحال اتشقلب ، البنات زى ما يكون عفاريت خطفوها ، وأنا خايف ليكون الواد اللي ضحك عليها قتلها ورمأها في أى خرابة . وبعدين الفار بيلعب في عبي ، وخايف ليكون المعلم عواد له ضلع في الملعوب ده . حاكم دا راجل راسه توزن بلد . لكن أقول إيه وأعيد إيه ؟ بقول الغايب حجتة معاه . لم يعلق الرجل الغامض على الأمر إلا بكلمات قليلة :

— شوف يا معلم ... الشغلة بتاعتنا دى شغلة وسخة لكن اللي بيشتغلوها لازم يكونوا زى الجنيه الذهب ، لأن الغلطة بتكلف كثير !

— وحضرتك خدت على أى ملحوظة ؟

— لسة .. مش هيبان دلوقت .

— إن شاء الله مش هتسمع عنى إلا كل خير .

— إن شاء الله .. المهم دلوقت ، ناوى تشتغل ولا خلاص ؟

— أنا تحت أمرك ، ومن إيدك دى لإيدك دى ، وربنا يعلم أنا

مكسوف منك أد إيه !

— شغلتننا دى ما تحبش الكلام ، دى شغلة هات وخد . وع

العموم الشنتطة أهه ، وهافوت عليك بعد أسبوع .

عندما رأيت المعلم طقق في سجن القناطر ، كان قد مر عليه أحد عشر عاما في السجن ، كان آخر عهده بالحياة خارج الأسوار هو هذا اللقاء الذى تم بينه وبين الرجل الغامض ، كان اللقاء في العصر ، وفي المساء هجموا على البيت وعثروا على الشنتطة ، و ...

— من يومها يا أستاذ ما شفتش الأسفلت .

— طيب ومين الراجل دا يا معلم ؟

□ ابو شـنطة ! □

- لو كنت حضرتك تعرف يبقى أنا أعرف .
- وما حاولتش تسأل ؟
- واسأل ليه ؟ والرزق بعنوا لى ربناام السماء ، والرزق يحب الخفية .
- وبينتك .. مفيش أخبار عنها ؟
- ربك أعلم بيها .
- وعایش إزای فی السجن ؟
- ربك بيدبرها .
- عاوز تقوللى ما حدش سأل عنك أبدا .
- المعلم عواد بعث لى جوابات وزارنى مرة وحط لى فلوس فى الأمانات ، بس دا أول سنة ، وبعدین أدى وش الضيف .
- وما سمعتش أى حاجة عن بنتك ؟
- إذا كان حضرتك سمعت يبقى سمعت أنا راخر .
- غريبة !!
- ولا غريبة ولا حاجة .. كل شىء فى الدنيا دى بحساب ، الطلوع فوق بحساب ، النزول له حساب ، مش مولد وصاحبه غايب زى الناس ما هى فاهمة ، وبعدین أنا الى استاهل ، ماكنت قاعد كافى خيرى شرى فى الحقة الى كنت مرزوع فيها وبنتى معايا وقافل بابى على وحامد شاكر ربنا ، لكن تقول إيه للطمع .
- وعندك كام سنة دلوقت يا معلم ؟
- ٦٢ سنة من غير مؤاخذه .
- وهتطلع امتى م السجن ؟
- الأصول بتاعة ربنا اطلع دلوقت . عشان أنا قضيت ثلاث أربع المدة ، وسلوكى فى السجن آخر تمام .
- وليه ما طلعتش ؟

□ ابو شنة □

— قدمت مظلمة للباشا مدير السجون ، لكن ما حدث سأل فيه .

— ليه ؟

— أبخات بقى يا بيه .. وبعدين بقى .. ربنا ينتقم م الظالم .

ولزم المعلم طقطق الصمت ، وراح ينكش فى أسنانه بعود نجيل أخضر انتزعه من أرضية حديقة السجن .. وقطعت عليه صمته قائلا :

— ومين اللى ظلمك يا معلم ؟

وكانما لسعته بجمرة نار ، فانتفض صارخا .

— و النبى يا أستاذ ما تقلب على المواجه .. ربنا يسترک .

— فيه حاجة إنت مخبئها عنى يا معلم .. إيه هيه ؟

— ربنا يخليك تسكت .. أنا مش ناقص .

— وخايف من إيه يا معلم طقطق ؟ هيجراك إيه أكثر م اللى جراك

— ممكن يجرالى حاجات كتير قوى ، أنت باين على نياتك .

دار هذا الحوار بينى وبين المعلم طقطق ذات نهار فى حوش السجن، وكان الجو شتاء وفى عام ١٩٧٣ . وعندما جاء الصيف واقترب موعد الافراج عن العبد لله . جمعتنى مستشفى السجن بالمعلم طقطق . وذات مساء انتابته نوبة كحة شديدة كادت تقطع شعيرات صدره . واعتقد أنه كان يبصق دما عقب كل نوبة سعال شديدة ، واستدعيت له طبيب السجن الذى أعطاه مهدئا ، ويبدو أنه أعطاه جرعة منومة أيضا ، وسألنى المعلم طقطق فجأة :

— أنت خارج امتى ؟

— بعد أسبوع إن شاء الله .

مال برأسه ناحيتى وقال .

— أنا كنت عاوز أقولك حاجة .

— أتفضل .

— عارف الراجل بتاع الشنة إياها ؟

ماله

□ ابو شنطة ! □

— أنا شفته كتير .

— منين ؟

— فى الجرايد وفى التليفزيون .

— صحيح .

— زى . ما بقولك

— مين هوه .

— كفاية كده يا أستاذ أنا مش ناقص .

ثم انتابته نوبة سعال جديدة ، وعندما تخلص منها كان قد استسلم للنوم ولم ألتق به بعد ذلك ، وعرفت بعد عدة أشهر من الإفراج عنى أن المعلم طمطق مات فى السجن بعد أن أنشب السرطان أظافره فى رثتيه ، ومات الرجل ودفن ومعه سره ، والرجل الغامض أبو شنطة ربما لحق به ، ربما لا يزال على قيد الحياة . ربك وحده هو الذى يعرف السر .. وما أغرب الحياة !

الفهرس

صفحة

(٥)	■ المقدمة
(٩)	■ البية المأمور
(٢٧)	■ الدكتور
(٣٩)	■ المعلم جمل
(٥٣)	■ سر وفاة الطواني
(٦٧)	■ الأسير
(٧٩)	■ الزعيم
(٨٩)	■ المرتبة
(٩٩)	■ الخواجا من أجل الشعب
(١١١)	■ حزب ست الحباب
(١٢٣)	■ الشهيد
(١٣٣)	■ الأسد الجربان
(١٤٣)	■ العمدة
(١٥٥)	■ تعرف الحاج عطوة
(١٦٣)	■ البيض على الوند
(١٧١)	■ الكابتل
(١٨١)	■ الشيخ فتحى الحرامى
(١٩٣)	■ من طلق لسلامو عليكم
(٢٠٣)	■ أبو شنطة

رقم الايداع ٧٧٣٤ / ٩٧
I. S. B. N. الترقيم الدولى
977 - 08 - 0645 - 5

ملء الكتاب

الكاتب الكبير محمود السعدني خلقه الله ليكون كاتباً
ساخراً.. فهو ساخر بالفطرة أو بالطبيعة.. وقادر على أن
يجعلك تضحك طوال الوقت الذي تقرأ له دون أي جهد
أو تعب لأنه يكتب دون أن يتكلف السخرية أو يصطنعها
بل يجعلك تحس بخفة دمه دائماً.

وقد برع محمود السعدني في أن يكون ساخراً دائماً
مهما كان الموضوع الذي يكتبه والذي يحتاج إلى قدر من
الجد وسواء كان الموضوع سياسياً أو اجتماعياً أو حتى عن
الكرة والرياضة فهو مثل الكاتب الإيرلندي برنارد شو
لا يستطيع أن يتخلى في كل كتاباته عن سخريته
اللاذعة!!

وهي هذا الكتاب يواصل «الولد الشقي» سخريته
اللاذعة وذكرياته المريرة.. والولد الشقي هو الاسم الذي
اختاره محمود السعدني لنفسه ليكتب ذكرياته وسيرته
الذاتية أو عن رحلاته أو عن المقالب التي دبرها ووقع
ضحيتها الناس الطيبون!!
«وتمام يا فندم» كتاب جديد من كتب الولد الشقي
لمحمود السعدني.

نبيل أباطة

الشيخ ٥ جديرات

طبع بمطابع أخبار اليوم